
ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية
الحياة العربية بين المعقولية واللامعقولية
الانترفيرون.. معجزة الطبيعة والطب

تحية إلى قطر..

شهد الشهر الذي مضى يومين هامين من أيام قطر الفتية .. يوما مشرقا للتأسيس والانطلاق الى رحلة العمل التنموي الخلاق .. هو الذكرى الخامسة لتولي حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، أمير البلاد المفدى ، مقاليد الحكم في البلاد ؟ ويوما لفعالية التضامن والتعاون الأخوي الرشيد عندما اجتمع في الدوحة وزراء الإعلام في دول الخليج لمواجهة محاولات الحقد والدسيسة الصهيونية لاستلاب وتشويه الملامح الحضارية والانسانية لإبداع المسلمين والعرب في تاريخ العالم المعاصر والحضارة الانسانية بوجه عام .

ويأتي هذين اليومين ثمرة طبيعية ومنطقية لأوليهما . ففي الثاني والعشرين من فبراير عام ١٩٧٢ تولى سمو الأمير سلطاته الدستورية متحملا مسئولياته تجاه الشعب والوطن ، منطلقا نحو أهداف سامية لإحداث نقلة حضارية شاملة توظف قدرات الانسان القطري وأصالته وقيمه وتراثه وثروات بلاده باستخدام حصيف لمنجزات الانسانية في حقلي العلم والمعرفة النافعة لخير الوطن والأمة والانسانية جمعاء .

وكان لحرص سمو أمير البلاد المفدى ، يوم تولى مقاليد الحكم ، على إضاءة البلاد بفيض من التحديث والمعاصرة اليد الفعالة لاقيما انجزته دولة قطر من تقدم وعمران ونهضة كبرى شاملة غيرت وجه الحياة بصورة جعلت من ذلك اليوم اللخالد مناسبة قومية مجيدة في تاريخ الشعب القطري فحسب بل فيما اتاحت به من حيوية على علاقات الاخوة الحميمة والتعاون الوثيق والتكامل والتنسيق في كل ما يدفع عجلة التقدم والرخاء والارتقاء في منطقة الخليج وأمدت للعمل العربي المشترك امكانات قادرة لجمع شمل الأمة العربية وتعزيز وزنها الدولي وقوتها التي تكفل لها القدرة على النصر في معاركها الكبرى ضد الصهيونية والاستلاب المادي والمعنوي لحقوقها وأراضيها ومقدساتها ، وفي طليعتها القضية الفلسطينية التي تقف دولة قطر بامكانياتها المادية والأدبية الى جانب الأشقاء العرب لتحمل مسئولية استعادة الأراضي العربية المحتلة وفي مقدمتها القدس الشريف ، واسترداد حقوق الشعب العربي الفلسطيني ، وفي مقدمتها حقه في وطنه وفي تقرير مصيره فوق تراب هذا الوطن .

وقد حرصت دولة [illegible] سمو أمير البلاد المفدى الرشيدة على [illegible] في تدعيم التضامن [illegible] [illegible] [illegible] والمساواة [illegible] الحضارية في العلاقات الدولية المبنية على القيم المثلى والمبادىء الرفيعة . وما استضافة دولة قطر للمؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية واستقبال القرن الخامس عشر الهجري بهذا العمل الإسلامي الجماعي والفكري الا تمكينا لوحدة الأمة الاسلامية وتعريفا بالشخصية الإسلامية لكل الدول المشتركة في المؤتمر .

وهذا الوعي نفسه هو الذي تسترشد به مساعي دولة قطر لدعم أواصر التعاون والتضامن مع الدول الافريقية ، التي تربطها بالعرب والمسلمين روابط تاريخية وثقافية وجغرافية جعلت تقديم العون والدعم لها ضرورة قومية .

ان اهتمام مجلة الدوحة بهذا الحدث التاريخي انما ينبع من كونها هي نفسها ثمرة من ثمرات هذا التطور التاريخي الحضاري لدولة قطر . والذي أكد الدور الفاعل للثقافة والعمل الثقافي .. لقد كان الهم الأول لحضرة سمو الأمير هو تكوين الانسان القطري بحسبانه هدف التنمية الحقة والروحية ، ودعامة التطور والتقدم . والثقة بالعمل في عملية بناء الوطن والاضطلاع بقضايا الأمة العربية والاسلامية لا من باب استرجاع دور مفقود وانما كانطلاق واع لمساهمة الانسان العربي المسلم في التاريخ والحضارة ، وذلك بتحريره وتخليصه من رواسب واثار الاستلاب المادي والثقافي الذي قام به مستغلو ثرواته ومغتصبو أرضه .

والمجلة لا تسعى بما تسجله هنا للتوثيق فذلك اكبر من ان يسعه كتاب ، وانما تعمد الى التذكير ، وخاصة في عالم يبدو فاقد الذاكرة حتى يتعلق الأمر بتطور وتقدم ومساهمات العالم العربي والاسلامي في الفكر المعاصر .

وفي التاسع من الشهر الذي مضى ، وفي زمن اشتدت فيه الحملة الاعلامية الخطيرة على العالم العربي والاسلامي ، وعلى انسانهما وقيمه وحضارته ودوره ومساهمته الانسانية والمادية والثقافية ، انعقد المؤتمر الخامس لوزراء الاعلام في دول الخليج ، وكان الموضوع المهم في هذا المؤتمر هو الاعلام الخارجي وموقف العرب فيه . وقد تم تناول الموضوع لأول مرة بجدية متناهية ، واخضع للتخطيط العلمي المدروس لنقد ونتائج وخطر .

ويجد القارىء في صفحات هذه المجلة ، التي تحاول هي نفسها ان تكون معبرا ايجابيا في مجال خدمة الانسان العربي المسلم والتلاقح الحضاري الانساني الامثل ، ما سمح به نطاقها من تسجيل لما اجمع عليه ذلك المؤتمر .

الدكتور محمد ابراهيم الشوش



التوفيق بين الأصول والمؤثرات الحضارية



إن القول الذي تجهر به بعض اجهزة الإعلام وتتناقله بعض الاقلام انطلاقا من عدد من الاحداث الدرامية المعاصرة الايجابي منها والسلبي ، التي انطلقت مؤخرا في انحاء متفرقة من العالم الإسلامي ، بان عالم اليوم يشهد بوادر انطلاقة فكرية اسلامية تقوم على احياء حضاري مخطط مدروس ينتظم الجماهير الإسلامية بقيادة مثقفة واعية ، ووفق فلسفة اسلامية محددة المعالم متينة الاسس واضحة الاهداف ، هو قول يتجاوز الحقيقة الى التمني والوهم الخلاع ، ويدخل في دائرة التهويل الاعلامي الذي تعودناه ، والذي يسمي الاشياء بغير اسمائها ، ويجعل - كما يقول اهلنا الطيبون - من الحبة قبة ، ومن افتتاح مدرسة ثورة تربوية ، ومن رصف لشارع ثورة عمرانية ، ومن بناء مصنع لم تكتمل له الدراسات الاولية ثورة تنموية عملاقة ، ومن قرارات مؤتمر - لا يذكر احد منه شيئا سوى لحظات الانس والحبور - منعطفا تاريخيا خطيرا ، ومن تبادل التحية والمجاملات الودية توافقا كاملا في وجهات النظر .

وحقيقة الامر ان هنالك وعيا متزايدا لدى الجماهير المسلمة الحريصة بواقع انتمائها الديني ، ورغبة صادقة في ان تلعب من خلال هذا الواقع دورا فعالا في اطار الحضارة الإنسانية المعاصرة ، لا موقف المتفرج الحالي ، ولا موقف المستهلك المنقاد ، ولا موقف الرافض قولا المستكين فعلا وواقعا ، ولكن موقف المؤثر في الاحداث . ولكنه في مجمله وعي لا يزال يفتقر الى الاطر الفكرية المعاصرة التي يتحرك في فلكها وهي الاطر التي تعتمد على وجود قيادة فكرية مؤمنة شجاعة ومثقفة ، وهو موقف تكمن خطورته في ان تستنفد هذه الطاقة التي تفجرت في النفوس دون ان تبلغ من غاياتها واهدافها شيئا او ان ينحرف بها المنحرفون - في غياب القيادة الفكرية الامينة - الى غير ما يراد لها .

وحقيقة الامر ايضا ان هنالك اهتماما ملحوظا هذه الايام في الغرب بما يحدث بين ظهرانينا من احداث مهما تفهت وصغرت ، يسلط عليها ضوءه الكاشف الذي يعشي الابصار ، وإذ كل تصرفاتنا وما يحتمل في عقولنا ووجداننا في الماضي والحاضر وحتى المستقبل تحت مجهره ، لا تخفى عليه خافية كل حادثة ترصد وكل مسئول اوشبه مسئول - كان من قبل في اعلامهم كما مهملا - تفسح له الآن الصفحات العراض يتحدث بما يعرف وما لا يعرف ويتحدث بما يعني وما لا يعني ، ويستطيع ايضا ان احاديث الغرب وتآليفه عن الإسلام قد تزايدت وكثرت وتفجر بها الكيل هذه الايام بعضها مغرض جاهل ، وبعضها يحاول تحري بعض الحقيقة فلا يبلغ من تلك شيئا ... ولكن هذا الاهتمام كله لا لاننا نشكل تحديا حضاريا او لاهمية ... في عالمنا - فكريا وثقافيا - لا يجب ان ... ولكن فقط لاننا نحتل الموقع الاستراتيجي الذي يمكن ان يحوله في صراعه الكوني ونملك الخامة التي يمكن ان تحقق تطوره وتحقق راحة مواطنيه .

دراسة التجارب السابقة

ولكي يتحول هذا الاحساس الوجداني الذي ينتظم الامة الاسلامية حاليا الى حركة احياء فكرية حقيقية واعية تفجر طاقاتها ، لا بد من التصدي الشجاع من قبل القيادات الاسلامية المثقفة لقضايا التحديث والمعاصرة بصورة تمكن من التفاعل الإيجابي مع الحضارة الانسانية الماثلة والتاثير فيها في اطار المحافظة على كيان العقيدة الإسلامية : تفاعل المبدع الخلاق لا تفاعل المتقاعس المستهلك .... وان يتم هذا التوافق في جو من الحرية بعيدا عن مزالق التعصب البغيض والاتهام العشوائي والارهاب الفكري ....

هذا التصدي ينطلق من تأمل التجارب السابقة ودراستها دراسة علمية موضوعية متأنية بعيدة عن الغرض ، واستخلاص النتائج التي تحمي هذه الانطلاقة الفكرية من مواطن الزلل والخطأ . وكما ان دراسة التجربة وحدها لا تقوم بديلا في النهاية عن الاجتهاد الفكري الذي يتوصل الى تصور فلسفي واضح لكنها بداية لابد منها للوصول الى ذلك الهدف .

من هذا المنطلق تنبع الاهمية الفكرية القصوى بل والحاجة الآنية الملحة لاطروحة الدكتوراه التي قدمها للجامعة الامريكية الزميل الدكتور محمد جابر الانصاري حول



النزعة التوفيقية في الفكر العربي المعاصر . ولعل مجرد تناول رسالة جامعية لقضية مصيرية كهذه يعتبر في حد ذاته انجازا علميا مقدرا ، فقد ظلت رسائلنا الجامعية في غالبها وخاصة في مجال الدراسات الانسانية والاجتماعية تسبح في فضاء السلامة بإسم الموضوعية العلمية ، بعيدا عن أجواء الصراع وأحداث العصر ، تتناول بالتفصيل الممل والتمحيص المستغرق والتدقيق الدءوب قضايا لا تتصل بهموم العصر ولا تهم أحدا

حقيقة المشكلة

والقضية الاساسية المطروحة الآن أمام الفكر الاسلامي والتي ظلت مطروحة في صورها المختلفة عبر القرون هي قضية التوفيق بين الاصول الدينية التي لا تقبل التعديل والتبديل ، والمؤثرات الحضارية الوافدة عبر الازمان المختلفة في التاريخ الاسلامي دون خروج واضح أو صريح عن هذه النصوص ، وهي قضية تصبح أكثر الحاحا وضرورة عملية في اطار الواقع الحضاري الغربي المعاصر ، فهو واقع يفرض شمولا جغرافيا يتعدى كل الحدود ... وراثها الحضارات الانسانية السابقة لا ... استطاعت هذه الحضارة بحكم ... التكنولوجية الهائلة أن تجعل من العالم الحديث ...

الخلفات في كل مجالات النشاط الانساني السياسي والثقافي والاقتصادي . لكنها برغم شمولها الانساني الكوني وبرغم أنها نتاج كل الحضارات التي مرت بها البشرية ولنا في صنعها اسهام كبير ، إلا أن منطلقها العصري منطلق غربي يضرب بجذوره في أعماق التقليد الفكري الغربي الوثني في ماضيه البعيد والمتشرب بالروح المسيحية في تاريخه القريب ، والغرب بموروثاته القديمة ونمط حياته وتفكيره المعاصر هو الرافد الذي يمدها الآن بمقومات وجودها وتطورها ويحدد اتجاهاتها وخطواتها .

هي إذن حضارة بحكم شمولها وطغيانها الكوني لا يمكن اغفالها أو ادارة الظهر لها أو تجاهل وجودها . وهي بحكم جذورها الفكرية والفلسفية وبحكم نظرتها المرتبطة بالتراث الوثني ثم المسيحي الغربي لا يمكن قبولها أو الانصهار الكلي فيها من واقع الايمان بالعقيدة الاسلامية والتي لا انفصام فيها بين الايمان الروحي والحياة المادية للمسلم ... الاشكال .

فالذين يعتقدون أن السبيل الوحيد للمحافظة على كياننا الاسلامي يكمن في رفض الحضارة الغربية المعاصرة ... من جهتنا يتوهمون ...

... الانصهار في تيارها الغالب

وتقبلها بكل علاتها باعتبار ان ما يصلح للغرب يصلح لنا ضربة لازب ، او من منطلق حتمية السلوك الذى يفرضه التقدم والاخذ باسباب الحضارة مع امكان المحافظة فى نفس الوقت على التعاليم والمفاهيم الاسلامية يتوهمون .

والذين يعتقدون ان لدينا غربالا وميزانا منصوبا يمكننا من اختيار ما يتمشى معنا ورفض ما يتعارض معنا ، هكذا فى بساطة متناهية وبلا عناء فكرى ولا صراع . معتقدين بامكان الفصل بين الواقع المادى المعاش فى اطار مفهوم حضارى معين ، وبين القيم المنبثقة عن ذلك الواقع والمرتبطة به واهمون .

والحـل ؟

والحل الوحيد هو الذى توصل اليه التفكير الاسلامى النشط عبر التاريخ والذى يتمثل فى المحاولة الدائبة للتوفيق بين الاسلام كعقيدة روحية وواقع معاش وبين متطلبات العصر المادية والثقافية والفكرية ، بصورة تزيل فى نفس المسلم المؤمن اى تناقض بين ما يعتقده وما يحكمه الواقع الذى يعيشه فكرا وممارسة .

والتوفيقية نشاط فكرى يقوم على تعقل الاصول وفهمها



فهما متفقا واعيا ، وعلى ادراك عميق مماثل ومواز للمؤثرات الحضارية الوافدة ، مادية كانت ام ثقافية ، ثم محاولة فكرية على ضوء هذا الفهم المتلازمين لاعادة صياغة العنصر المستعار بما يتلاءم مع روح الاسلام ، او تأويل النص الدينى عقليا ليحتمل هذا التوافق ، كل ذلك مع قدرة على جعل هذا التكوين التوفيقى مقبولا لا يصدم مشاعر الرأى العام الدينية ولا يتعارض مع معتقدها ، وبالتالى فالمتحجرون فى الفقه والاصول وحدهما مهما بلغ من تبحرهم ليسوا بقادرين على هذا النشاط الفكرى ، والمتعمقون فى بحر العلوم الحديثة مهما بلغ من تعمقهم ليسوا بمؤهلين للتصدى له .

والذى عمدت له هذه الرسالة الجامعية هو اعطاء تصور تاريخى علمى مستنير لهذه المحاولات الفكرية وماصاحبها من مد وجزر وما احاط بها من صعوبات وما حققته من انجازات .

والمؤلف الباحث اتخذ منذ البداية موقفا توفيقيا فى تناوله لهذه القضية برمتها . فهو يبدأ بطمأنة القوى السلفية ـ التى يعترف وان لم يصرح كم هى مقلقة اذا استثيرت استحثها ـ وذلك بتأكيد حقيقة سببية وهى ان الخاصية الاساسية للفكر العربى كما برزت فى اعمق الفلاسفة المسلمين الاوائل كالكندى والفارابى وابن سيناء وابن رشد هى رفض فكرة الصراع بين المتناقضات والثنائيات وبالتالى التقاء التخير تنقيض دون اخر ويؤكد وحدة الحقيقة . كما يؤكد ان الاسلام بفلسفته الجامعة المتسعة يرفض الازدواجية ـ التى تدين بها المسيحية ـ والتى تقبل فكرة الفصل بين الجانب الروحى من حياة الانسان والجانب المادى . فالعقيدة الاسلامية والفكر العربى يقومان على منهج التوفيق والتوسط . كما ان المناخ الاجتماعى الذى يقوم على وجود طبقة تجارية متوسطة فى صدر الاسلام اتاح لهذا الاتجاه ان ينمو ويتغلغل فى حياة الامة الاسلامية وتفكيرهـا .

اذن فالاتجاه التوفيقى فى نظر الكاتب اتجاه نابع من داخل التقاليد الفكرية الاسلامية وليس من خارجها كما انه جزء لا يتجزأ من التكوين العقلى العربى . وبرغم اننا نتعاطف مع الكاتب فى محاولته ان ينطلق من منطلق اتفاق مع التيار العام باضفاء صفة الشرعية والقبول للاتجاه التوفيقى إلا ان التاريخ العربى ـ بكل اسف ـ يكذب هذا الظن . فالعقل العربى قد يميل الى منهج التوفيق والتوسط بطبعه إلا فيما يتعلق بالارتباط العضوى والغريزى بالماضى فهو اقرب الى المحافظة ميال الى الرجعة الى الماضى يستمد منه السند والثقة والطمأنينة ... ولقد كان المنطلق الاول والاساسى لرفض العرب للاسلام فى مبدأ الدعوة انه دين محدث وافد من خارج تقاليدهم وتراثهم لم يؤمن به اسلافهم بل ذهبوا الى القــول انه لو كان حقا لامن به آباؤهم واجدادهم ، حتى تبين لهم ان الدين الاسلامى ليس محدثا وانما هو دين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام . ثم تجمعت ظروف فكرية وتاريخية وثقافية وسياسية حتمت الرجعة الى الماضى

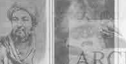



واستعادة نصوصه لحسم عدد من القضايا الدينية والمذهبية واللغوية ، فالرجوع الى القرآن الكريم باعتباره اساس كل تشريع اسلامى والى الحديث النبوى الشريف لحسم كثير من قضايا التشريع ، امر يتصل بصلب العقيدة الاسلامية ومنطقها الذى لا يعطى للخليفة او لاى سلطة بشرية حقا فى سن التشريع الاسلامى او ابطال العمل به او تعديله كالذى يتمتع به البابا فى المعتقد المسيحى الكاثوليكى . ولقد كان من اسباب اختلاق الاحاديث النبوية فى صدر الاسلام وبخاصة فى اوائل العصر العباسى ، رغبة الافراد والجماعات فى تأكيد صحة مذاهبها لا عن طريق الاقناع الجدلى وانما بايجاد نص صريح يسندها ويحسم الخلاف . ولقد ادى ظهور بدع مستنكرة فى العهدين الاموى والعباسى الى بروز نموذج تاريخى ناصع يتمثل فى فترة الخلفاء الراشدين يعود اليها الناس يلتمسون منها المثل الصالح والقدوة الحسنة . ومن الناحية الادبية ايضا ادى اضطرار اللغويين والنحويين المكلفين بوضع قواعد لضبط اللغة الى العودة الى الشعر الجاهلى لحاجتهم الى شواهد ، باعتباره يمثل اللغة البدوية الصافية قبل ان تدخلها الالفاظ المولدة الهجينة ، وقد ادى هذا الى اعتبار الجاهلية ذاتها تمنح الشعر ميزة فنية له واعتبر اهتمام اللغويين له دليل عظمته وامتيازه فكان التقليد لنماذجه بل والمحاكاة والتقليل من شأن شعر المولدين .

ايديولوجية التوسط

ومن ناحية اخرى فان المؤلف ـ بعد ان يؤكد اصالة الاتجاه التوفيقى وشرعيته فى العقيدة والفكر يتجه فى تحديد مسيرته التاريخية منحى لا اعتقد اننى اوافقه عليه . فهو يضع الاتجاه التوفيقى فى مرتبة المنزلة بين المنزلتين فيجعله فكريا بين نقيضين : الاول الاتجاه السلفى الملتزم حرفيا بالنص لا يحيد عنه ولا يتقبل اية مؤثرات خارجة عنه مهما بدت لها من ضرورة ، ولا يقيم اى وزن لتغيير الاحوال المعيشية وتطور اساليب الفكر والحياة ، بل ويعتبر مرور الزمن الدنيوى بعدا عن نبع الطهارة الدينية الاولى ، والثانى الاتجاه الرفضى للاصول الاسلامية وتقبل الافكار الوافدة وان كانت متعارضة مع الدين والايمان المطلق بحدس الباطن او قوة العقل . فوضع الفكرة بهذه الصورة قد يوحى بان الاتجاه التوفيقى موقف فكرى مذهبى كالاتجاه السلفى او الرفضى ...

والحقيقة ان هناك اتجاها واحدا سائدا بين الجماهير العريضة وهو الاتجاه السلفى المحافظ والذى يعتبر التيار الفكرى الاساسى بينما الاتجاه التوفيقى والمواقف الرفضية ليست الا مجرد محاولات يقوم بها افراد بين الحين والآخر يصيبون احيانا ويخطئون احيانا ، تجد افكارهم قبولا لدى الجماهير السلفية احيانا وتجد الرفض والتعنت احيانا حسب الظروف التاريخية كالتعرض لغزو او لتهديد خارجى او نحوه وعلى قدر معقولية الافكار المطروحة وطبيعة القائمين بها واسلوبهم فى عرضها ..



الغزالى

ليس هناك اذن اتجاه سلفى له جماهيره واتجاه توفيقى له جماهيره واتجاه معارض او رفضى له جماهيره ولا يمكن وضع تقليد فكرى غالب فى نفس منزلة الاجتهادات الفكرية الفردية التى تبرز بين الحين والآخر .

هذا المنحى الذى اتخذه المؤلف جعله لا يفطن او لا يأبه كثيرا بالدور الذى يمكن ان تلعبه السلفية المستندة على السند الغريزى الجماهيرى فى احباط كثير من محاولات الاجتهاد التوفيقى حتى ولو كان شديد الاعتدال ، وبخاصة اذا ما وجدت محرضا يستثيرها عاطفيا وديماجوجيا ... والتاريخ مليء بالامثلة على سخرية القدر ان رسل الحضارة الغربية قد عرفوا كيف ومتى يستغلون ذلك لضرب القيادات الفكرية المستنيرة . وعدم وجود هيئة دينية عليا فى الاسلام تقرر ما هى العقيدة الصحيحة المستقيمة استغلته الاتجاهات المتطرفة لتعطى نفسها قوة غير محددة وغير منضبطة ، وهذا عكس ما يراه المؤلف عندما يقرر بان « عدم وجود ذلك الفاصل القاطع (الرسمى) بين العقيدة والانحراف هو الذى اتاح نشوء تيار وسطى متحرر عريض (التوفيقية) بين التيارين الآخرين النقيضين دون ان يتعرض لادانة فقهية اجماعية صريحة » والمؤلف ينسى ان الادانة الفقهية الاجماعية تعتمد على بيئة واضحة وهو امر لا يخشاه المفكر اذا كان واثقا من موقفه . ولكن يخشى ما يخشاه صاحب الفكر اتهام عشوائى

بيد أن المقارنة والبحث عن أوجه التشابه التى ركز عليها الكاتب وأسبغ عليها أهمية كبرى بين الظروف التى صاحبت الاتصال الاسلامى بالمؤثرات الخارجية فى أوج ازدهار الحضارة الإسلامية فى العصر العباسى ، والظروف التى صاحبت الاتصال بين الامة الاسلامية والحضارة الغربية المعاصرة ، ومظاهر التفاعل والتوفيق فى الحالتين ، قد يؤدى الى نتائج خاطئة تبعدنا عن فهم الصعوبات الحقيقية التى تواجه أى اتجاه توفيقى معاصر . فليس هناك ثمة مقارنة بين ما حدث فى العصر العباسى من اتصال بالافكار الفلسفية الاوروبية القديمة وبين ما حدث ويحدث فى هذا العصر . لقد كان ذلك تلاقحا طبيعيا عرفت مثله جميع الحضارات فالتراث الاغريقى والهلينى والرومانى هو تراث انسانى عام وما من حضارة اغلقت على نفسها النوافذ والابواب . وما كان لحضارة حية فى اوج ازدهارها كالحضارة الاسلامية ان تغفل عن هذا التراث الانسانى وما تم نقله واستيعابه من التراث الفلسفى الاغريقى امكن امتصاصه فى اطار التيار الفكرى الاسلامى الغالب حينذاك . وعندما تكون الحضارة غالبة واثقة بنفسها وعمق مجراها فان ما يصب فيها يتحول الى مجرى الدين والحضارة الغربية المعاصرة فى غلبتها وهيمنتها لا تستفيد من التلاقح مع تراث اقوام وأمم لا تتمتع بأى ازدهار حضارى .

تلك شيء واختيارنا هذه الحضارة الغالبة شيء آخر تماما ... فنحن فى موقف القوة ونحن فى موقف الاختيار كما ان وجود معادلة لتكيفنا مع هذا الوضع فى اطار معتقدنا الدينى امر عاجل لا يحتمل التاجيل والا جرفتنا وجرفت اجيالنا اللاحقة مؤثرات خطيرة لا نملك لها ضبطا ولا نملك عليها سيطرة ، ويكون الطوفان ولا حول ولا قوة إلا بالله ... وكل يوم يمر دون التوصل إلى هذه المعادلة التوفيقية يجعل من الصعب مقاومة هذا التيار الذى يحيط بكل أوجه الحياة





علي عبد الرازق



يأتيه من حيث لا يعرف وينتشر فى أوساط [illegible] ودون امكانية دفاع .

المقاومة والرفض

ولقد خلا المسرح فى مستهل الاتصال بالحضارة الغربية المعاصرة من هؤلاء الأفراد المجتهدين المصلحين التوفيقيين لأن التوفيق انما يكون بمعرفة المؤثرات الوافدة وفهمها ، ولم يمر وقت كاف لتكوين طبقة مثقفة علمية بجوانب هذه الحضارة الحديثة الوافدة،وكان طبيعيا ان يكون التيار الغالب رافضا ومعاديا لهذه الموجة الحضارية الجديدة التى برزت أول ما برزت بوجه استعمارى كالح يمثل بقوته المادية الجديدة التى برزت فى هيمنته العسكرية ، معتز بحضارته لايرى للاخرين وجودا او حقا فى الوجود . وكان النفور عنه ينسحب ايضا على كل ما جاء وبشر به ... وقد رأت الامة الإسلامية فى هذا الوجه بعض الملامح التى رأتها ابان الهجمات الصليبية وتغلبت عليها . فكان طبيعيا ان تعتبر الذى حدث مجرد حلقة جديدة من سلسلة هذه الهجمات التى تصدت لها من قبل .. ولقد نفذ الكاتب الى الحقيقة بقوله :

« لقد وقعت السلفية العربية الحديثة فى ابهام تاريخى عندما فاتها التمييز بين الاستعمار الغربى الحديث (ومن ورائه حضارته الحية الجديدة) وبين الحملات الصليبية ، (وإرثها الدينى الوسيط) وهى الحملات التى تحدت السلفية فرصدها ثم ركنت مطمئنة الى انتصارها ، الامر الذى فوت عليها ادراك خمسة قرون من النهضة الانسانية الحضارية الجديدة .. »

ويجرف امامة كل السدود الفكرية الرخوة وتلك التي شاخت ونخر في اساسها الصدأ ..

وبنفس القدر نبحث هنا مقارنة بين النشاط التوفيقي المعتزلي الذي انصب على استيعاب مؤثرات فكرية في اطار حضارة اسلامية عقلية ، وبين المواجهة الفكرية الحضارية الحالية للتوفيق بين العقيدة والتمسك بمبادىء الاسلام الجوهرية ، والتكيف مع المتطلبات الفكرية والمادية لحضارة تحيط بنا احاطة السوار بالمعصم رضينا أم كرهنا . لان مثل هذه المقارنة التاريخية قد توقعنا في نفس ما وقعت فيه السلفية حين ربطت في ذهنها بين هجمة الحضارة الغربية المعاصرة وهجمة الصليبيين في ظلمات العصر الوسيط .

واذا كان جمال الدين الافغاني ١٨٣٩ ـ ١٨٩٧ ومحمد عبده ١٨٤٩ ـ ١٩٠٥ قد استطاعا في مستهل هذا الاتصال بالحضارة الغربية ان يحققا بعض النجاح ، ويكسبا الكثير من الثقة ، ويواجهها القليل من ردود الفعل العنيف الذي لقيه الرعيل الثاني من التوفيقيين ، فذلك لان معالم الحضارة الغربية لم تتضح امامنا بعد حينذاك . ولم يبد خطرها الكاسح ، ولم يتغلغل تأثيرها في نفوس الجماهير ... وظلت كل التأويل والاجتهادات التوفيقية ... بعيدة عن هموم عامة الناس ... قضايا تشريعية لا تصل إلى أس العقيدة ... وفي نفس الوقت لم يتكون بعد قطاع قيادي ... من منبر علمي كما حدث لطه حسين ... التكفير ، وارتفعت اصوات الادانة من داخل الحرم الجامعي

أحمد العقلاني

اما الرعيل الثاني من التوفيقيين فقد جاءوا في زمن اتسع فيه المد العثماني ... وتقلصت تركيا بدءا من الخلافة الاسلامية وبدا كما لو ان غلبة التأثير الغربي العلماني المادي امر حتمي لا مناص منه ولا محيص وبدأ احتكاك الطبقة المثقفة يزداد بهذا التيار الفكري الجديد عن طريق رسلهم في البلاد المختلفة ، وعن طريق المعثات العلمية الى اوربا . واستمع هؤلاء المثقفون الى الكثير مما وجدوه يتعارض ظاهريا وما يعتمل في جوانحهم من ايمان وتمسك بالعقيدة يرقى بعضه الى درجة الاتهام الذي يحتاج تبريرا ودفاعا . يتمثل بعض هذا فيما اثاره اللورد كرومر حين تحدث ، عن منطق التفكير الغربي ، عن الدور المتخلف للمرأة في الاسلام والتعالي ... وجمود الشرع وقطعية العقيدة . ... هذا الرعيل من المفكرين لعمق هذه الهجمة قبل ان ... وفي وقت كان الانبهار والاعجاب ... الجديد لا يزال يملأ وجدانهم ويبهر ... غريبا ان يتحرى هذا الرعيل في مبدأ ... لبعض هذه المشاكل الحساسة ... الاعجاب والاقتناع بالمنطق الغربي ... في الوقت ذاته للتجربة ما تعلمه حديثا من منهج علمي متحرر من كل قيد . فكان ان تعرض احمد لطفي السيد للقضية القومية المتحررة والمنفصلة تماما عن الدين ،







حملة الصليبيين في ظلمات العصر الوسيط



أحمد حسن الزيات

ومنصور فهمي لحالة المرأة في التقاليد الاسلامية وتطوراتها ١٩١٣ ، وعلى عبد الرازق لقضية الاسلام واصول الحكم ١٩٢٥ ، وطبق طه حسين في كتابه الشعر الجاهلي المنهج النقدي الغربي على الاصول الدينية والفكرية الاسلامية بما في ذلك نصوص القرآن الكريم وانبرى محمد حسين هيكل يغرف من نبع التراث الغربي في لهفة المتعجب المنبهر . ولم يكن الطريق ممهدا ، كانت الهوة التي تفصلهم عن وجدان الرأي العام المسلم كبيرة ، ما قطعوا لعمقها.

وكانت الحملة الضارية وكان التهديد والوعيد والاتهام . وفقد كل من طه حسين ومنصور فهمي وظيفتيهما واوذى اسماعيل احمد ادهم (احد العقلانيين الغلاة) في دمه وسمعته وقضى منتحرا . وبدأت هذه الموجة من التفكير المتحرر في الانحسار بعد عام ١٩٣٠ لتفسح المجال لمد ... مرتبط بالتراث يضفي عليه هالة من المحبة والتقديس والتعلق الروحي .

ويرجع المؤلف ذلك الى عوامل نفسية داخلية لدى هؤلاء المفكرين ... في احساسهم بخيبة الامل من موقف الغرب ... بين ما يبشر به من تقدم وتحديث وما ... تحتلها من تخلف وجهل وحيلولة ... الى ... التحديث لتظل اسيرة استقلاله وجشعه ... الى الاستغلال ... الاعجاب بالغرب بعد ما تبين من اعراض مرضية في كيانه الفكري انعكست في انهيار مؤسساته الاجتماعية والاقتصادية ابان الازمة التي اجتاحت العالم في عام ١٩٣٠ ، وادت الى ظهور المؤسسات الفاشية العسكرية وجرت العالم الى ويلات الحرب العالمية الثانية ، وازداد الاحساس بالخيبة والمرارة لموقف الغرب من فلسطين .

ولكن المفكرين انفسهم ومعاصريهم يرجعون هذا الانحسار في التفكير المتحرر الى عوامل خارجية لا دخل فيها لاقتناع المفكرين انفسهم او تراجعهم التطوعي الذاتي .. فقد عزا احد المعاصرين هذا الانحسار الى « عامل الرأي العام الذي كان قويا مسلحا بالغلب والنقم واصبحت له السلطة التامة وانهزم امامه فريق المفكرين الصرحاء هزيمة منكرة » . وطه حسين نفسه يرجع ذلك الى « السياسة التي تدخلت وافسدت الفكر » ويعني بذلك قمع الحكومة للمفكرين ارضاء للجماهير واستغلالا لمشاعرها الدينية المحافظة كما يرجعه الى تخلى الجمهور المثقف عن مساندة هؤلاء المفكرين حين تعرضوا للمحنة ، فهو يقول بان ذلك « يعود على الجمهور المثقف الذي صفق من بعيد ، ثم انقطع دعمه للمفكرين الاحرار في ساعة التجربة والامتحان » .وهذا الرأي يؤكده احمد امين في اوائل الثلاثينات حين يدلل على صحة الحركة النقدية العقلية بقوله « كان يؤلف الكاتب الديني مثل كتاب الاسلام واصول الحكم فتنشب معارك حامية وينقسم



التوفيق بين الأصول والمؤثرات الحضارية



المفكرون الى معسكرين وفي كل معركة شحذ للاذهان وتمحيص للحقائق وكان ذلك علامة حياة ادبية وثورة فكرية. ثم يحدثنا متحسرا كيف حدث هذا كله.

- وهل اتاك نبأ ما كان منذ شهرين إذ نشر شاب رسالة في الحديث النبوي وتعرض فيها للرواية والرواه فاجتمع مجلس الوزراء وقرر مصادرة الرسالة مع ان المعتزلة منذ الف سنة قد انكروا اكثر الاحاديث إلا ما اجمع الرواة على صحته ولم يطردهم احد من اجل ذلك. الا يدل هذا وامثاله على اننا اصبحنا اضيق صدرا واقل حرية ؟ ومن الغريب ان احدا لم يحرك لهذا ساكنا ولم يفه ببنت شفه، ولو وقع هذا الحادث من عشر سنين لقام له الكتاب الاحرار وقعدوا ودافعوا ونقدوا.

- ومهما يكن من تبرير لهذا الاندفاع فان السبب الرئيسي يعود الى انبهار إنفعالي بالغرب لا غرابة فيه، نزع بهم منزعا اخرجهم عما كان يجب ان يتحلوا به من حذر، فكان الصدام مع المشاعر المسلمة. ولقد كان من الطبيعي ان يعود هؤلاء المفكرون بحكم اصالتهم وصدق مشاعرهم الدينية إلى ذلك التوازن الذي اختل لحظة الانبهار والدهشة الأولى وذلك بالانكباب على الاصول ودراسة العناصر الذاتية في الاسلام، إذ ان ذلك هو الطريق الوحيد للربط والملاءمة العلمية السليمة مع مظاهر الحضارة المعاصرة ومؤثراتها.

وكان مفتاح هذه الدراسة شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم باعتبار هذه الدراسة المنطلق الرئيسي الاول لهذا الاستبطان الداخلي، وهو، ما اشار إليه احمد حسن الزيات حين قال بأن، شخصية الرسول الكريم وسيرته أصبحت اليوم في الشرق والغرب موضع الدرس المفصل، وموضع التحليل العميق. حاول هيكل تعريف هذا الاشراق الالهي من

طريق العقل فاتخذ الدليل، وحاول طه حسين أن يصوره عن طريق القلب فاصطنع الاسطورة وحاول توفيق الحكيم أن يمثله عن طريق الغريزة فاستعمل الحوار».

معالم الطريق

إن السؤال الذي يطرح نفسه ويطرحه الكاتب صراحة بعد هذا العرض التاريخي هو: ثم ماذا بعد؟

إن الكاتب لا يعمد ـ ولا يدعي أنه يعمد ـ الى ايجاد حل أو صيغة للحل أو تحديد موقف ذاتي تجاه حل قضية الاصلاح الديني في الاسلام في ارتباط بالواقع الحضاري المعاصر، لكنه يكتفي بتوضيح الصورة التاريخية ثم ينفذ دون تفصيل الى التعرض لبعض الملامح التي قد تعين في إنارة الطريق المؤدي الى هذا الحل.

فهو يؤكد حقيقتين أساسيتين: أولهما أن أي اصلاح للأمة الاسلامية قد ارتبط عبر تاريخها بالدين، مستندا الى ذلك على قول مشهور لابن خلدون يصف فيه جمهرة المسلمين بأنهم «لا يخضعون ولا ينقادون الا لرسالة دينية أو نحوها»، والى قول المستشرق المعاصر برنارد لويس «إن جميع الثورات في تاريخ الاسلام إصطبغت بالصبغة الدينية وكانت ثورات باسم الاسلام وضمن نطاقه لا ضده ولا بقصد الخروج عليه».

اذن فإن الطريق الى الاصلاح إذا أريد له أن يكون اصلاحا حقيقيا جادا مستمرا فلابد أن يلم عن طريق الدين...

والتجارب المعاصرة التي تعرض لها الدكتور الانصاري بالتحليل والتدقيق العلمي تشير الى أن التمسك بالاصل مع تفسير متعنت يرفض أية فكرة لتقدم البشرية واكتسابها تجارب جديدة تثريها وتنميها على مر العصور بما وهبها الله من عقل وارادة، أمر لا يؤدي الى هذا الاصلاح المنشود.

والخروج الكامل عن دائرة الدين والانقياد الأعمى غير الناقد لكافة المؤثرات الخارجية والتي هي وليدة ظروف مختلفة وبيئات متباينة، منهج لن يؤدي الى هذا الاصلاح.

وتبقى التوفيقية هي المدخل الوحيد لهذا الاصلاح المنشود، وتعني ذلك المفهوم الواعي للتجديد من داخل الاطار الديني ذاته يستوعب النظرة التقدمية ويحاول التوفيق بينها وبين الأصول، أو كما يقول المؤلف، يحاول التوفيق بين ظاهرة التطور وظاهرة الثبات في ديمومة حياة الأمة والحضارة بتركيز محور ثابت يسمح بدوران المتغيرات ويتيح تحركها الدينامي موفرا لها القاعدة التي تمدها بالاتساق والاتزان».

هذا هو الهدف ولكن كيف ومن أين نبدأ؟

نبدأ بمناقشة فكرية حضارية موضوعية جادة تدعو لها كافة القيادات الفكرية المثقفة في عالمنا الاسلامي، نفسح لها مجالا واسعا في اطار الرسالة الثقافية التي اضطلعت بها هذه المجلة منذ نشأتها متخذين من هذا العمل العلمي الخلاق مدخلنا اليها، والله الموفق الى قصد السبيل.

د. محمد ابراهيم الشوش

من مواد العدد القادم
والأعداد القادمة

حكومة الرسول كانت تجسيدا لروح الحضارية
بقلم: أحمد بهجت

الكلام في السياسة
بقلم: د. حسين مؤنس

تطوير الأزهر، عقبات في طريقه
بقلم: د. محمد البهي

المستشرقون في الإسلام
بقلم: د. عبد الجليل شلبي

اللغة العربية في مواجهة التحديات
بقلم: أنور الجندي

شكسبير مصدر الهام في كل العصور
بقلم: محمد محمد الخطابي

إيليا أبو ماضي
بقلم: د. عيسى الناعوري

جبران.. والمرأة
بقلم: بلند الحيدري

رحلتي المغربية
بقلم: جمال الغيطاني

كهوف الرعد
بقلم: أحمد عبد السلام البقالي

نعمان عاشور

لقاء مع طه حسين

- لم يكن طه حسين الكاتب الهين الذي يقال له : اكتب فيستجيب لذلك
- ترددت في زيارة عميد الأدب العربي خوفا من تقريعه واستنكاره للعامية
- لا يحب الكلام في التليفونات لأنه لا يستطيع أن يغفر هذا العنوان السخيف



الذي أكره وكان ذلك في السنوات الأولى من الستينات ... انني كنت أقوم بتحرير باب أدبي أسبوعي بجريدة الجمهورية التي تصدرها دار التحرير ربما عام ١٩٦٢ أو ما بعدها . وذات صباح وأنا أقدم مواد الباب للمراجعة والنشر فاجأني الزميل الصديق المرحوم سامي داود بأنه مكلف من المشرف على الدار .. الصاغ صلاح سالم عضو مجلس قيادة الثورة باستكتاب الدكتور طه حسين بوصفه من كتاب الدار . وكان سامي رحمه الله محرجا من هذا الطلب ... صحيح أن الدكتور طه حسين معين ومن المفروض أن يوالي الجمهورية بكتاباته ولكن طه حسين لم يكن الكاتب الهين الذي يقال له اكتب فيكتب ... ولم يكن أحد يدري لماذا انقطع طه حسين عن الكتابة والفترة طالت لعدة شهور انتهز المرحوم سامي داوود الفرصة تقديمي للباب الذي أحرره ... وطلب الي بصفتي مسئولا عن الجانب الأدبي أن أقوم بهذه المهمة نيابة عنه ... ولكنني لم أطاوعه رغم تلهفي على لقاء طه حسين خصوصا أنه كان أبلغها بكلف سكرتيره بإبلاغي عن رأيه في كل مقال أكتبه ... وأبلغها كنت أقوم بالدفاع عن كتاباتي للمسرح ... وكان الدكتور طه حسين يتابع مقالاتي ساخطا لاصراري على كتابة الحوار بما كان يعتبره اللغة العامية ، أو لغة الكلام الدارج بدلا من استعمال العربية الفصحى » ... ترددت في زيارة طه حسين خوفا من تقريعه ولما كان يصيبه من استنكار لمسرحياتي بالعامية ولم أحاول من قبلها ان صراحة لم أكن أجرؤ على أن أطلب من سكرتيره الذي شجعني أكثر من مرة على مثل هذه الزيارة ... فلما ألح سامي داوود رحمه الله يلح في ضرورة ذلك ... عرضت عليه أن أصحبه ولا أذهب وحدي ... وتواعدنا على اللقاء في موعد حدده لنا طه حسين ولكنه لم يحضر في الموعد ...

المفاجأة والتأنيب

بعد بضعة أيام ... نشرت الجمهورية مقالا لطه حسين في الصفحة الأولى فأدركت أن سامي داوود لابد وأن يكون قد قابله وحده ... ولكن اتضح بعد ذلك أنه لم يذهب لأن طه حسين كان قد أجل الموعد المحدد ... وأبلغني سامي بإخطار سكرتير طه عن السبب في محاولة لقائه ... وهو رغبة الدار في أن تحظى جريدة الجمهورية ببعض مقالاته . وبالفعل أرسل المقال ونشر ولكنه نشر في نفس العدد الذي كانت فيه كلمة لي كتبتها بعنوان « اللغة العامية من تاني » . فإذا بي ألجأ بمكالمة تليفونية والمتحدث هو الدكتور طه حسين بنفسه قال انه لا يحب الكلام في التليفونات ولكنه لا يستطيع أن يغفر لي هذا العنوان السخيف ويتطاول على اللغة الفصحى



طه حسين وزوجته

الى هذا الحد ولدرجة ان اختار عنوانا تمققى بهذا الشكل ... وحاولت وانا فى غاية الذهول من المفاجأة ان اعتذر .. ولكنه رفض قبول اى اعتذار « عن هذا الجرم » وترك السماعة لسكرتيره كى يطلب الى ان اقابل طه حسين فى مساء نفس اليوم بفيلا « رامتان » بالهرم ...

الاستعداد للمقابلة

ذهبت اجرجر النفس كما يقولون ... كان الموعد فى السادسة بعد الظهر فوجدتنى ارتدى ثيابى قبلها بساعات ... ولما كنت الفان بالحيرة فقد قررت ان اذهب ماشيا على قدمى لان المسافة لم تكن بعيدة ... وكان اللقاء المنتظر قد بعث فى نفسى من الرهبة ما جعلنى اشبه بالطائر الجريح الذى يرفرف بجناحيه فى الهواء ولا يدرى فى اى مكان سيقع ... وهذا اللقاء كنت اخشاه دائما وقد حاولت تلافيه لعدة مرات ... لانه كان لقاء خاصا ... ومع من ... مع طه حسين ... طه حسين الشخصية الكبيرة الضخمة التى عشت فى ظلها منذ عرفت القراءة والكتابة ... منذ كنت صبيا فى الخامسة عشرة .. حين قرأت كتابه عن الادب الجاهلى ثم الجزء الاول من « الايام » .. انتى لن اقابل رجلا .. بل سأقابل تاريخا طويلا حافلا شامخا لذلك كان احساسى وانا اسير بخطى ثقيلة فى الطريق اليه وصادفت فى التجافى نحو شارع الهرم على بداية النفق .... احدى المقاهى التى تعودت الجلوس فيها ... فسارعت الى مقعد بعيد وطلبت فنجانا من القهوة السادة ... كان باقيا على الموعد اكثر من ساعتين .. وسبح خيالى لينقض على شتات من ذكرياتى .. هذه ليست المرة الاولى التى اقابل فيها طه حسين ... ولكنها المرة الاولى التى يحادثنى تليفونيا وينتظرنى فى لقاء خاص ببيته ... يا سبحان الله ! ! كان يخيل الى اننى اعيش فى حلم !!!

الاعتداء على طه حسين

وارتدت بى الذكرى بعيدا ... فى الثلاثينيات ... كنت قد بدأت اشغف بكتابات توفيق الحكيم ... ولكن شخصية طه حسين وكتاباته كانت هى التى تظلل كل حياتى وكيانى المشبث نحو هذا العلم الشاسع الساحر عالم الادب والفكر ... وكان طه حسين هو معبودى فى تلك الفترة ... ومن اجله سحبت اوراقى بعد شهر كامل من كلية الحقوق لالتحق بكلية الآداب الذى كان هو عميدها مغاضبا والدى واهلى جميعا ... طه حسين الذى دخلت الى حجرته بكلية الآداب عام ١٩٣٦ وانا لا زلت طالبا فى الثانوى مع جمع من الطلاب الآخرين لنحميه من محاولة الاعتداء عليه من جانب اعدائه السياسيين من الطلاب التابعين للاحزاب المعادية للوفد وهو من ابرز رجاله ... تلاحقت الذكريات تجر بعضها بعضا ... كيف وقف بشجاعة لمقاومة الهجوم وهو يضحك ساخرا بينما كانوا يهتفون فى وجهه بانه كافر وملحد وعدو للعرش ... وكيف احطنا به وهو يغادر الغرفة فى ثبات حتى اوصلناه الى سيارته فراح يشكرنا لوفائنا واخلاصنا للحرية ... ثم حين عرضت عليه اوراقى لقبول تحويلى من كلية الحقوق الى كلية الآداب فاستدعانى كطالب علم ... وراح يختبرنى ليتبين مدى صدقى واحقيتى فى الالتحاق بالآداب .. اننى لازلت اذكر السؤال البارع الذى وجهه الى وانا مرتبك فى وقفتى عند الطرف البعيد من الغرفة .. ماذا قرأت من كتب الادب ؟!! فلما اجبته باننى قرأت الايام ... استبعدها جانبا .. وهو يردد ... والكتب الاخرى .. فسارعت الى ملاحقته .. مسرحيات شوقى والديوان للعقاد



لقاء مع
طه حسين


طه حسين


طه حسين في مكتبة بيته


طه حسين مع عبد الناصر

والمازني واهل الكهف لتوفيق الحكيم .. وكل روايات المنفلوطي وجورج زيدان .. فهز رأسه بسما وهو يقول لمن حوله : «يقبل تحويله فورا» ..

العلم كالماء والهواء

مرة اخرى بعد التحاقي بكلية الاداب وكان قد ترك العمادة ..... ذهبت الى داره مع جمع من الطلاب . وكان ايامها لا يزال يقطن في الزمالك ... فرضوا علينا ونحن في نهاية عام التخرج ان ندفع المصروفات المتأخرة والا حرمنا من الامتحان ... وهذه المصروفات كان قد اعفانا منها في ايام عمادته للكلية ... فالعلم كالماء والهواء لا يباع ولا يشترى ووعدنا خيرا ، وحذرنا بان لا نوقع على اي تعهد بدفع هذه المصروفات من مرتباتنا بعد التخرج والحصول على وظيفة كما قرروا او اشترطوا ... كان لا يزال عضوا في المجلس الاعلى للجامعات .. وقال ان مثل هذا الاجراء لن يتحقق طالما هو موجود ... وفي اليوم المحدد لاجتماع المجلس .. احطنا به وهو في طريقه الى الجلسة فطلب الينا ان ننصرف في هدوء ومنعنا من اي هتاف .... وعقد المجلس ... وكانت الجلسة علنية ويرأسها لطفي السيد باشا وامتلأت طرقات ادارة الجامعة بالطلبة ولم يستطيعوا ان يبعدونا عن القاعة ... ووقف طه حسين بعد ان اعطى الكلمة فقال انه يعتبر ما يجري نوعا من الابتزاز .. لان الذين عادوا الى فرض ضريبة على العلم وبهذه الصورة الجبرية .. تلقوا جميعهم التعليم بالمجان .. فكيف يطالبون اليوم بتحريمه على غيرهم .. وسكت وطلب بقية الاعضاء التصفيق من القاعة وتحول جلسة المجلس الى جلسة سرية .. والتهى الاجتماع بعد ساعة الى قرار قاطع باعفاء الطلبة من دفع المصروفات المتأخرة عليهم والسماح لهم جميعا بدخول الامتحانات ، انا لا انسى هذا الرجل الذي تولاه لنا الى ان تم تعليمنا !!

وعادت بي الذكرى الى لقاء اخر في عام ١٩٥٦ بعد وقوع العدوان الثلاثي على مصر .. منحني المجلس الاعلى لرعاية الاداب والفنون « ميدالية » تقديرا لمسرحيتي « عفاريت الجبانة » التي قدمها المسرح القومي اثناء العدوان ... وكان ترتيبي الاول في الجوائز وحضر الحفل الدكتور طه حسين . فلما انتهى توزيع الجوائز استدعاني وهو واقف في حديقة المجلس ... وقال متجهما .... انا سمعت « الماس اللي تحت » ... وعجبتني ولكن للاسف .. لماذا لم تكتبها بالفصحى وحاولت ان اجيبه ولكنهم كانوا قد استدعوه الى حفل الشاي ..

استقبال المقابلة

تذكرت كل هذا وانا اخطف الطريق بالقدمين متجها الى الموعد ، والخيرا عثرت على الشارع الذي تقع به فيلا « رامتان » ... كانت الساعة قبل السادسة بدقائق ... والموعد في السادسة واخذتني الحيرة والارتباك .. ولكني اندفعت لادق الجرس ... اخذوني الى صالة واسعة نوعا ... وقالوا ان « الباشا » وكان هذا هو اللقب الذي تعودوا ان يلقبوه عليه ... سيقابلني فورا .. جلست على المقعد المقابل لمقعده وسارعت الى اخراج سيجارة ... كنت في حاجة الى ما يشجعني على ملاقاته ... وانقضت دقائق قليلة كانت وكأنها ساعات ... وبعدها اقبل طه حسين مستندا الى يد سكرتيره ... حياني بسما بسمته الشهيرة الساخرة ولكنها كانت هذه المرة بسمة صامتة لا يصاحبها صوت الاستخفاف الملازم لها دائما ... وجلس على مقعده وكنت لازلت واقفا بعد استقباله فطلب الي ان اجلس ... ولم ادهش امام هذه اللفتة منه فقد سبق ان دخلت ذات مرة الى محاضرة له في احد فصول الدراسات العليا ايام كان عميدا للكلية ... تسللت من الباب وراء احد المعيدين فما كان منه الا ان صحح معلقا ان الحجرة دخلها اكثر من واحد ولعله لايكون مسموحا ... وكنت انا هذا الواحد ولكني لم اجرؤ على اي تعليق وانما عدت فخرجت ثانية مغلقا الباب ورائي بصوت مسموع .

طلب سيجارة واشعلتها له وبعدها مباشرة افهم سكرتيره انه لا يريد اي مقاطعة تليفونية او غير تليفونية ... معنى هذا انه كان شديد الاهتمام بوجودي !!!

● اسمعني حتى النهاية أنا المتكلم وأنت المستمع ولهذا اطلبك للحضور

● لم يكن يعيش في ماضيه بقدر ما كان ينتفض حيا في الواقع الذي نعيشه


أحمد لطفي السيد


رفاعة رافع الطهطاوي

قال وهو ينفث دخان السيجارة ... اظنك تحسب انني لا اعرفك .. انت اصلا لست من تلاميذي ... فاجبت مسرعا .. كلنا تلاميذك يادكتور .... صمت لحظة ثم ضحك ساخرا ... لا ... تلاميذي لا يكتبون باللغة العامية ابدا . وعبثا حاولت ان ارد حين لمحت سكرتيره يشير على بالصمت ومن طرف المكتبة ... بينما الدكتور طه يتابع كلامه انا اعرف تماما جميع الحجج واللغة المراسية التي تقول عنها ... كلام فارغ .. يمكن ان يغتفر لو انك لم تكن صاحب اسلوب عربي جيد وقادر على الصياغة بافصح عبارة .. لا . لا انت تكابر وقد غرك النجاح الجماهيري ... وعدت لمحاولة الرد ...

ولكنه اوقفني قائلا .... اسمعني حتى النهاية ... انا المتكلم وانت المستمع ... ولهذا طلبتك للحضور .. لناخذ مثلا عنوان كتابك « هذا العنوان السخيف « اللغة العربية من ثاني » .. لماذا استعملته على هذه الصورة فاجبته تلقائيا .. كلمة « من ثاني » اوقع واكثر دلالة وتعبر عن المعنى بصدق وحرارة .. فاندفع بقهقه ساخرا ثم سألني .. هل تظن ذلك .... وحاولت الاستشهاد بما قرره رفاعة الطهطاوي عن صلاحية اللغة العامية في احيان كثيرة للتعبير الاقوى فلاحقني قائلا ومع ذلك فلم يكن يكتب إلا بالفصحى .... ووجدتني مجبرا على الصمت فليس في طاقتي ان احاجي طه حسين خصوصا بعد ان لاحظت علامات الغضب تتجمع فوق شفتيه ...

وانقضت ثلاث ساعات لا تنسى وانا جالس انصت إليه ... كنت احيانا اجيب بكلمة واحيانا اكتفي بهز المخرفة ...

وكان الرجل يتحدث بكل حرص واهتمام عن رايه في الحياة الادبية الثقافية ايامها والتيارات الجديدة التي تعيش في ... وينقد ... كل ... بكل توجه الى ... وايضا يبطئه قليلا الرؤية المتشيعة الاوضاع العامة وكان يلمح الى بان الصدمة فيما اقترب ... ولم يخل تحديث من حملة صارخة على جيلنا الذي امثله جيل يخطف القراء خطفا كما كان يقول دائما ... لكن اهم انطباع خرجت به من هذه الجلسة .. ان طه حسين لم يكن يعيش في اسر ماضيه ومجد ماضيه بقدر ما كان ينتفض حيا في الواقع الماثل الذي نعيشه بفكره الواعي النقاد وانطلاقاته الحرة المتفتحة التي عرف بها دائما في كل مراحل عمره ... لم يتوقف ... الفكر للركون عند مفاهيم جامدة ولم يفارقه الوعي الكامل المتجدد الذي كان يمكن ان يقف به جامدا وهو على مشارف الشيخوخة .. حقا ان الفنان والمفكر لا عمر لهما .. كان يقرع ويلوم ويرفض ويسخر من كل ما لا يوافق عليه او يرضاه .... ولكنه كان يتقبل بل اكاد اقول يسبق في تقاربه الكثيرين من الذين يشتبهم الكاشف بالمستقبل ولعل مرجع ما كنا نتعاه عليه ايامها من عنت انه صاحب منطق حاسم وماض وحاد لا يخلف وراءه إلا الصدمة المباغتة . وتلك صفة اكتسبها عليه ثقافته الفرنسية ذاتها .

الفلاش وتناقض

لكن هذا لم يكن لقائي الاخير بطه حسين .. فقد كان اتصالي به مقطوعا حتى انني لم احظ بمقابلته إلا بعدها بسنوات . وبمناسبة غريبة ايضا ... تتعلق بعملي الصحفي ... في ختام ١٩٦١ وكنت لا ازال في جريدة الجمهورية صدر امر بنقلي ضمن اكثر من عشرين كاتبا للعمل في هيئات ومؤسسات القطاع العام . وكان طه حسين على راس القائمة التي استبعدت من الجريدة . ولم يكن من اللائق تعيينه في مؤسسة او هيئة . ولذلك اكتفوا بقطع مكافاته الشهرية المقررة ... كان موقفا مشينا اثار ضجة غير هينة في داخل الدور الصحفية وخارجها بقدر ما اثار غضب واستنكار كافة المثقفين ... وكان طبيعيا الا يحيا طه حسين بمثل هذا التصرف وان يقابله بالسخرية ان لم يكن بالغضب وحدث بعدها مباشرة ان التحقت بدار اخبار اليوم ... وكنت اتولى كتابة اليوميات وتحرير اكثر من باب ادبي وثقافي ووجدتني غير قادر ان اسكت . كان استبعاد طه حسين عن الكتابة الصحفية في الصحف يعني اكثر من التحريم السياسي ... فالرجل معروف بانه كان من رجال الاحزاب السابقين ولم تكن اوضاع السلطة السياسية القائمة تتحمل وجودهم ... ولكن استبعاد طه حسين كان له معنى كبير اخر فهو يعني توجيه ضربة قاصمة



طه حسين مع [illegible]

لصرح ثقافي شامخ .. وإذا كان قد امكن ذلك بالنسبة لطه حسين فما أسهل أن يتم بالنسبة لأي كاتب آخر من تلاميذه .

وطه حسين مهما كان موقفه لم يكن معاديا لثورة ١٩٥٢ بدليل حفاوتها به في البداية كواحد من كتابها وبدليل اختياره عضوا مؤسسا للمجلس الأعلى لرعاية الآداب والفنون .. الخ . الخ .. والحق انه كان موقفا غير مفهوم ومتناقض يبعث على الحيرة ربما ادت اليه حالة الافلاس التي كانت تعانيها الجريدة ابانذاك وان ما حدث انما كان من باب التوفير بسبب العجز المالي .. لكن وقع مثل هذا التصرف لم يكن هينا ... لان طه حسين كان من أشد الملتزمين بقضايا التقدم الجوهرية .. قضية حرية الرأي والديمقراطية بل انه كان من قبل الثورة احد المنادين بالعدالة الاجتماعية ثم ان مواقفه معروفة ومشهودة بالنسبة لأهم القضايا الثقافية . وهو صاحب الدعوة الى ان التعليم كالماء والهواء وانه حق طبيعي لكافة المواطنين ويجب أن يكون بالمجان وفي جميع المراحل ... تماما كما اخذت بذلك ثورة يوليو من البداية في صلب مبادئها الاساسية ....

لكن ... هل كان من الممكن ان يتكلم طه حسين ؟ وان يسمح بعد ذلك بنشر كلمة ... [illegible] الأخبار بمقالات طه حسين في الأخبار وأخبار اليوم ... [illegible] بعد أمضى الآن اذهب لمقابلته ... [illegible] الصفحة الثقافية بسكرتيرة الأستاذ فريد لتحديد موعد مع الدكتور العميد ... وانصرم اسبوع واكثر بكامله قبل أن اتلقى المكالمة المنتظرة وان الدكتور يرحب بلقائي فقط لزام ان احدد موضوع اللقاء . كان هدفي ان اطلب اليه الموافقة على الكتابة ... وبالفعل صارحت الأستاذ فريد غير انه اشار على أن لا افاتحه في ذلك ابدا ... فعرضت ان يقبل اجراء حوار معه حول القضايا الادبية الملحة والمشهد الثقافي العام كما يراه ... فترك السماعة وذهب يستشيره ثم عاد الى مكالمتي ... الدكتور موافق ... تفضل بكرة الساعة السادسة .

آخر لقاء

وكان هذا هو آخر لقاء لي مع طه حسين ... كنت قد نويت ان اخذ نفسي على حد تعبيره بالتزام الصمت ... ولكني ماكدت اجلس اليه حتى وجدته يطوي ذراعيه على صدره ويطالبني بالكلام .. وفي البداية ارجعت موقفه هذا الى مرضه .. لان وجهه كان مصفرا وكان يتململ في ضيق ويتكلم بصوت خافت وقد زايلت شفتيه البسمة الساخرة المعتادة .... اكيد ان صحته لم تكن على مايرام ... وطال الصمت من جانبي فتنحنح متسمدا وطالبني بالكلام ... تلعثمت قليلا ثم اندفعت لاعتذر له عما حدث فنهاني بقوله ... دعك من هذا الموضوع ... ورحت اسأله رأيه في شتى القضايا والمشاكل الثقافية والادبية القائمة وانا حريص كل الحرص على أن اسجل كلامه حرفيا ... كان يتحدث ببطء وكانه يعرف انني اكتب كل ما يقول ... ودار الحديث في كل مدار ... حول مهمة الادب واهمية الثقافة ... ونظرته الى المسرح ورأيه في جيلنا الخ ... الخ .. من الموضوعات التي نشرتها في صفحة كاملة بالاخبار . ولم تخرج في مضمونها الكلي عن ارائه المعروفة عن كل هذه القضايا ..

وانتهت المقابلة ... وكان هو الذي انهاها بعد ساعتين احسست انه متعب ومرهق ويتحامل على نفسه ...وابتسم وهو يقف ليودعني قائلا ... لا احسب انني اتيت بجديد فيما قلت ولكني احب دائما ان القاك .. وشكرته على هذا التقدير ... وفيما انا انصرف .. اخذت يده وقبلتها وعيوني تغمرها الدموع .. وسحب يده بسرعة وقد بدا عليه التأثر وذقنه ترتعش وقد تقطب جبينه ... لقد فوجيء الرجل بما فعلت .. وانا نفسي لم يكن في نيتي ان افعل ما فعلت .. فلم يحدث ان قبلت يد احد في حياتي غير يد والدي وانا صغير جدا .. وكتبت ذلك كله فيما نشرته عن هذا الحديث معه في جريدة الاخبار فاتصل بي سكرتيره بعد ذلك ليبلغني تحية الدكتور العميد وشكره الخالص العميق .. في حين واجهني اكثر من زميل وصديق صحفي باللوم والتقريع .. لانه ما كان يليق في نظرهم ان اقبل يده لانني اديب وكاتب مثله ..

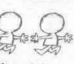
يا سبحان الله .. كيف كان يمكن ان يحدث غير ذلك وقد كنت لازلت اعتبر ما فعلت اقل ما يستطاع من وفاء بشخصية ومكانة واثر طه حسين على حياتي بل وعلى حياتنا جميعا نحن صناع الكلمة في كل مكان على ارضنا العربية ...

نعمان عاشور

في أزمة الانسان المعاصر ٣

الانسان ومخاطر التطور

د. عون الشريف قاسم









يوحي ظاهر الحال بأن مقدرات الحضارة الحديثة موجهة لتدريب ملكات الانسان وتثقيف عقله – فانتشار التعليم النظامي وتعدد وسائل الاتصال الحديثة من اذاعة وتلفزيون وسينما وصحافة وما اليها جعلت الثقافة والمعرفة في متناول الرجل العادي بعد أن كان ذلك مقصورا على فئات معينة في المجتمع . ومن هنا ذهب الذاهبون الى أن وجهة التطور ستصبح عقلية لا حسية . ولكن الامر المشاهد في معظم المجتمعات يوضح أن مجرى الحياة الحديثة يميل في كثير من مظاهره الى اللاعقلية – فقد كان من نتائج نجاح فكرة الديمقراطية أن اتجهت الطبقات الحاكمة الى غزو الحياة العقلية للجماهير وتشكيلها بالطريقة التي تضمن لها استمرار السلطة . فالانسان في عصر الحرية والديمقراطية ليس في حاجة كبيرة الى وسائل القرون الوسطى في القهر والاستبداد فقد ابتكر العلم الحديث من الوسائل الخفية للتأثير على الجماهير ما لا يرقى الى مستواه تعذيب أو ارهاب . فقد وضح أن الانسان العاقل الذي يختلف عن الحيوان بتميزه بملكة التفكير قد يؤتى من هذه الناحية ومن مأمنه يؤتى الحذر . إذ التفكير مهمة شاقة تكلف الانسان الشطط وتقلق راحته . ونحن في معظم أوقات حياتنا نحلم أحلام اليقظة ونجتر ذكريات الماضي أو نقلد ولا نفكر تفكيرا جديا إلا مضطرين . ومعظم نشاطنا العقلي قوالب جاهزة يصنعها أتباع المجتمع . وقد وضح أن الانسان في عمومه ميال الى التقليد سريع الى تقبل الايحاء الخفي ومن هنا نجح الشيطان في مهمته في اغراء الناس إذ انه يوسوس في صدور الناس وكاد المسلمون أن يقتتلوا إذ انهم يصدقون بما أمروا بتبليغه من هداية .

العلم وحرية الرأي

فحرية الرأي وحرية الاختيار التي هي عماد الشخصية الانسانية معرضة في عالمنا الحديث ليس فقط لأخطار الكبت والاضطهاد والمصادرة التقليدية التي تقوم على القوة والبوليس ، وانما هي معرضة خاصة في المجتمعات الديمقراطية الى خطر أخطر وأضل سبيلا وذلك باستغلال استعداد الانسان للايحاء والتلقي . وذلك بأن توحي الى الجماهير بشتى وسائل الاعلام برأي بعينه لأنه يخدم مصالح معينة أو مجموعة معينة . ومن أوحى لك بأمر وجعلك تتقبله فقد أجرم في حقك وإن كنت أنت المجرم الفعلي . ولا فرق كبيرا بين هذا النوع من الايحاء وفكرة التنويم المغناطيسي حيث تشل قوى الفرد ويفعل ما يوحي به المنوم . وواضح أن الوحي يستغل ضعفا بشريا عاما لابد من التنبيه اليه إذا أريد للناس أن يحكموا عقولهم لا عقول الآخرين المغرضة . لقد وضع العلم في أيدي المتسلطين وسائل رهيبة في هذا المجال ومكنهم بواسطتها احداث ما يشاءون من

● وسائل الإعلام الحديثة أحدثت ثورة في ميدان الثقافة والترفيه والتعليم

انطباعات في عقول ضحاياهم واستغلوا وسائل الاعلام المختلفة التي توحي الى الناس إيهاما دون عنف وطبقوا في ذلك النتائج الخطيرة التي كشف عنها علم النفس فيما يسمونه سايكولوجية الاعماق التي بدأ استغلالها أولا في الدعاية للتسلح ثم بدأت تستغل لترويج الحروب وانتهت في بعض الحالات بتغيير عقول الناس فيما يسمونه بغسيل المخ .

العنف والمزيد منه

ان الاعتماد على العنف لا ينجم عنه الا المزيد من العنف ، ومستقبل البشرية الآن وعلى المدى البعيد يتهم فيما يظهر في كف عفريت مارد ، ليس خياليا كما كان الشأن في الماضي ، بل هو عفريت حقيقي يتمثل في السلاح الذري . وصنع هذا السلاح وتخزينه يتطلب تمركزا في الاقتصاد والسياسة والحياة العقلية أيضا . وضرورات هذا التمركز تتطلب توجيه الرأي العام الوجهة التي ترتضيها الدوائر الحاكمة والمصالح التي تستفيد من امكانيات المجتمع المادية . وواضح ان التقدم العلمي الآن موجه في معظم صوره واضخمها نحو تنمية الحروب والتسلح ولابد أن يترك كل ذلك آثاره الخطيرة على حياة الافراد والجماعات . لقد رأينا بعيوننا كيف تضلل شعوب العالم في وضح النهار بنشر الاكاذيب والدعايات المغرضة . وقد شاهدت بنفسي ما قامت به الدعاية الصهيونية ابان حرب يونيو في تضليل الشعب البريطاني الى الحد الذي يدفع به الى العمل ضد مصالحه الحيوية في الشرق الاوسط خدمة للمآرب الصهيونية والاستعمارية . ومثل هذا يحدث على نطاق اوسع في أمريكا وغيرها من الشعوب الغربية . ويكفي ما حدث بالامس من تآزية وقالية ومصرية .

وكل ذلك لا يتم بالعنف والمنسا بوسائل الاغراء والتكرار والايحاء . فقد أحدثت وسائل الاعلام الحديثة ثورة ليس في ميدان الثقافة والترفيه والتعليم فحسب بل في ميدان القيم والاخلاق والتقاليد البشرية التي هي لصالح الانسان . تعالج فيعض المهن الى الموازنة بنشر الاذاعة والصحافة والتليفزيون وسينما المسارح كافة الوسائل والاحابيل . واستخدمت مجلة الدعاية تخلق من (الفسيخ شربات) حتى في أرقى المجتمعات . لقد تطور فن الاعلان والاغراء وتطورت البحوث التي تجري عن كيفية السيطرة على الجماهير عن طريق التنويم الصناعي بحيث أصبح خطر الديمقراطية بالكيفية التي تدار بها الآن في معظم المجتمعات الحديثة اكثر من نفعها .

الخطر على حقوق الانسان

ان الخطر على حقوق الانسان ينبع في كثير من الاحيان من داخل الانسان ذاته ففي النفس البشرية مواطن ضعف كثيرة وثغرات ينفذ منها أصحاب الأرب من سطوة وجاه وغيرهم . ومع أن هذه الحقوق تبدو بالفطرة بديهية ومفروغ منها وضرورية للانسان العاقل كما هي ضرورية للانسان المدنية العاصرة الا انها لم تتأكد الا في العصور الحديثة . ومن هنا احتاج الانسان الى أن يتعلمها ويتدرب على ممارستها .

وما دامت غاية المجتمع الحديث خلق جنة على الارض يجد فيها جميع البشر الشبع والري والكساء والسكن فامكانيات العلم الحديث الذي سخر طاقات الطبيعة لخدمة الانسان لا تقف في هذا السبيل عند حد . لقد كانت مسيرة البشرية في ماضيها القريب تكدح طوال حياتها من أجل لقمة العيش وتهلك دون بلوغ غايتها . ولذلك كانت مشغولة بعذابها عن التفكير فيما سواه . واختلف حال البشرية الآن وكفلت وسائل الحياة الحديثة للجماهير مستوى أعلى من الحياة ووفرت كثيرا من الوقت الذي كان يستغرقه الكدح اليومي . وبذلك واجه الرجل العادي مشكلة الفراغ الصحراوي في حياته . وقد فتحت امكانيات الحياة الحديثة أمامه الفرص للاقتناء واشباع كثير من الرغبات التي لم يكن يجد من وقته وامكانياته ما يستطيع به اشباعها . ولكن هذه الرغبات الحسية لا تشبع ومهما اغرق الانسان فيها فهو مضطر الى المزيد من الاغراق فيها بحيث تصبح حلقة مفرغة لا يدري الانسان أين طرفاها . فالمتع الحسية لا تنتهي . والانسان في ذلك ليس كالحيوان تنظم دورته البيولوجية غريزة متحكمة تضبط نشاطه وتحدد مداه . بل هو يعتمد في توجيه عواطفه على عقله وقد رأينا ان تطورنا العقلي والروحي يواجه بخطر كبير من جراء تطورنا المادي ومن هنا نلحظ هذا الاغراق في اهدار طاقات البشر في المتع الحسية التي القاءتها علينا الحياة المادية الحديثة .

وكان من آثار ذلك ان أصبحت أهداف الناس محصورة في تحسين أحوالهم المادية لغاية الجميع الثراء والكسب المادي . وأصبح المال رأس كل قيمة واستوى الها معبودا يخضع كل شيء من أجله . ولكنه السيء من قبل . الا قليل منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب مال . ولقد وضح أن الجنة الموجودة على الارض لم تشبع كل طموح الانسان بكل أنواعها

● التفكير على مستوى الإنسانية ينبغي في كثير من الأحيان من داخل الإنسان
وبوسائل تختلف بين الحضارات في مجتمعات تتجه إلى إشباع الرغبات

ومقدراتها ومثلها العليا ؟ فماذا بعد أن يشبع الانسان جنسه ورغبته في المال وما اليه ؟ هل يستمر في الحلقة المفرغة التي لا تنتهي والتي يعقبها اليأس والقنوط فالانتحار ؟

الخطر المحدق بالبشرية

ان الخطر المحدق بالبشرية في رأي برتراند رسل ليس خطر الفناء الذري بقدر ما هو خطر الملل الحضاري في مجتمعات كل ما فيها موجه لاشباع رغبات الحس في أفرادها ، ومن هنا احتاجت هذه المجتمعات لكسر حدة هذا الملل بالبحث عن الاثارة والهاب غرائز الصاخبين التي لا تشبع فكان التركيز بعد المال على الجنس والعنف والقتل واشعال الحروب وأصبح كل ذلك تجارة رائجة وصناعة مربحة ، ومن هنا كان هذا الاغراق الذي تشهده في الاثارة والجنس والعنف في السينما والتلفزيون والصحف والمجلات وفي الحركات الاجتماعية التي تفاورت مع المجتمعات الغربية بعد الحرب العالمية الثانية ! فالملل وحياة الدعة والفراغ وعدم الاثارة مما يجعل الحياة رتيبة فالجنس والعنف الصارخ ضرب من التسلية ونوع من التعويض ، وقد يكون ذلك تصويرا لحالة المجتمع المادي الذي عمه الثراء بأي ثمن ، أو تصويرا لحالة العصاب الذي يتعرض له الافراد في هذا المجتمع التنافسي المليء بالتحديات القاسية .

هل يكفي أن نقول ان كل هذه القضايا نتيجة حتمية لتمكن النظام الرأسمالي الغربي الذي يهدف الى الربح والمزيد من الربح وان أدى ذلك الى تدمير أقدس مقدسات الانسان ، انسانيته ؟ أم أن ما حدث هنالك أمر ملازم لتطور الحضارة الصناعية حيثما كانت ؟ وكل هذه الفوضى الغارقة نتيجة حتمية لتغير القيم والمفاهيم بتغير وسائل الانتاج والعلاقات الاجتماعية في المجتمع الصناعي ؟

قد يكون كل هذا صحيحا لقيم الانسان ومفاهيمه كانت وليدة ظروف

برتراند راسل

المجتمع [illegible] وقد تبدو المجتمع تعبر متمثلة في كل عزم ولذلك [illegible] نفسه القاضي [illegible] والأمدى مما يصبح [illegible] لأجيال لاحقة يكون في مجتمع البدائية قد يكون في مجتمع مجالا رتيبا .

القيم والتعبير عنها

ولكن الانسان مضطر الى أن يفرق هنا بين القيم الانسانية والتعبير عنها ، فالقيم الاخلاقية مما نعبر عنه بالمثل العليا لا تتغير كثيرا لانها نابعة من تجربة الانسان في حياة المجتمع وقد توصل اليها بعد جهاد مرير ضد كل أنواع العدوان والاثرة في نفسه وفي غيره وتحصر فيها الشروط اللازمة لبقائه في حياة المجتمع ، فهذه القيم الانسانية قبل أن تكون مثلا عليا مجردة كانت ضرورات حيوية رأى فيها الانسان الحد الادنى من الضمانات التي تكفل له الحياة في مجموعة يتعاون أفرادها في سبيل الصالح العام ، فحرم القتل وحرم الزنا والسرقة وما اليها ودعا الى التعاون والصدق والكرم وما اليه لأن كل ذلك ضرورة لازمة لقيام حياة الاجتماع ، فهذه القيم وأمثالها باقية

بقاء الانسان ولكن التعبير عنها يختلف باختلاف الازمان والمجتمعات .

ولعل من القضية هنا يكمن في الربط بين قيم الانسان والدين ، فقد لعبت الانسان منذ فجر نشأته تجربته الحضارية في اطار الدين ، فكانت النظم الدينية تعبيرا عن المستوى الفكري والروحي والاخلاقي لعلاقة الانسان بالطبيعة وبما وراء الطبيعة وبالمجتمع ، وحاجة الانسان الروحية نابعة من طبيعة تكوينه وانقسام شخصيته الى جسد وعقل أو روح ، فهو دائم البحث عن أفق أسمى من مستوى حاجاته الجسدية ، وهو دائم التسامي الى ما فوق نزوات الجسد ومن هنا سعى دائما الى التعبير عن تسامية الروحي فخلق الاساطير واكتشف السحر وتلمس طريقه الى الدين فخلق من أوهامه في بداية أمره آلهة ورسم لها صورة مثل صورة مجتمعه ، وهو يسعى دائما الى التجريد والى التجسيد في ذات الوقت فالانسان والرجوع منذ الرمز والصورة ، فالاله رمز ولكن لابد له من صورة ، ومن ثم عبد الانسان الاصنام وظواهر الطبيعة وخلط بين التماثيل وما وراءها من قيم ، وهو يريد تجسيم كل شيء وتلخيصه في شكل معقول بحيث يحسه ويمتلكه ، ولذلك عبر عن القيم المجردة باشكال محسوسة واتخذ من طقوس الدين أدوات لترسيب كثير من المفاهيم والقيم والاصول المهمة لحياة المجتمع ، فالانسان ابن العادة وهو محتاج الى التعليم بالنموذج والتكرار وهو في ذلك يختلف عن الحيوانات الغريزية التي تكون معارفها في معظم الاحوال غريزية ، فالدين نموذج كل هذا التراث الانساني وهو في ذات الوقت عنصر هام من عناصر الالتزام الخلقي والردع الاجتماعي لما فيه من ترغيب وترهيب وثواب وعقاب ، وفي الالتزام بقيمه التزام بفطرة الله التي فطر الناس عليها وجاءت رسالات السماء تذكر الناس بهذه الفطرة وتردهم اليها بالأحكام والشعائر والعبادات والمعاملات .

● إذا حرم الانسان من التمتع من تطلعاته الروحية بشكل طبيعي فإنه سيعبر عنها بأساليب أخرى وبطرق ملتوية



ولكن الدين يرتكز في أساسه على الايمان بقوة علوية خارجة عن إرادة الانسان توجه مسيرته وتتحكم في مصيره • وقد زعزع تطور العلوم الطبيعية في القرون الاخيرة كثيرا من إيمان الناس ودفع بالكثيرين منهم الى البحث عن مصدر الالهام في نفوسهم بدل ان كان النظر متجها الى خارج الحياة الانسانية ورأينا تركيزا على حياة الانسان العقلية وقامت دعوات عديدة بعضها يرتكز على العلم وبعضها على أسس لا تمت للعلم بصلة وكلها تحاول تفسير الظاهرة الانسانية وترسم للانسان طريق المستقبل • ولا يبعد الانسان ان قال ان كثيرا من هذه الدعوات العقلانية قد اتخذت الديانات التقليدية السماوية إدهانات حديثة أرضية لها كتبها وطقوسها ومسلماتها وان تغيرت الأساليب والمظاهر • ولا ينسى الانسان ما حدث إبان الثورة الفرنسية حين حاول بعض قادة الثورة فرض عبادة العقل على الناس بمسألة الها تقام له التماثيل والطقوس •

حاجات الانسان الروحية

وليس في كل ذلك عجب • فحاجات الانسان الروحية أمر نابع من طبيعة تكوينه الذي فطره الله عليه وإذا حرم الانسان من التمتع من تطلعاته الروحية بشكل طبيعي فإن كل محاولة [illegible] الشريعة [illegible] ... [illegible] الناس من [illegible] العقل الحديث [illegible] حوائجه [illegible] حجبت عن كثير من الأذهان المظلمة الى كل عصبية تنكر أن الدين وسيلة لإشباع الاعتداء وأمثل السبل التي يحقق بها انسانيته وفق قوانين الله التي فطر الخلق عليها • وهو من هذه الناحية الوسيلة الوحيدة الفعالة لحفظ تراث الانسان المترسب من تجربة الماضية خلال القرون لاكتشاف هذه الفطرة في نفسه وفي علاقاته بالآخرين • فهو تجسيد القيم مترسبة منتزعة من تجربة معاشة جاءت كل الرسالات تأكيدا لها وارتقاء بها حتى يتطابق سلوك الانسان ومعايير الفطرة فيحقق خلافة الله في الأرض • وقد أدى رفض هذا الاطار الديني الى ازالة معظم الضوابط الاجتماعية بالتبدل • وأهم من ذلك عنصر الردع المطلق في الدين • فمن الواضح أن الكثيرين من البشر مدفوعون الى الفضيلة بدافع الخوف ولذلك قال دستويفسكي : اذا كان الله غير موجود فكل شيء مباح •

ولعل المشكلة التي تواجه الاديان في العصر الحديث هي أنها مستودع للجواهر والاعراض • بمعنى انها تضم القيم والمثل العليا ولكنها في ذات الوقت تعبر عن هذه القيم في أشكال محددة • فالأسس العامة أو الرموز الباقية لابد أن تجسد في أشكال يمكن تطبيقها وتكرارها يستفيد منها الناس • وهذه هي القضية • فهذه الاشكال التي بقيت صورها لا تقبلها كل العصور وإن تلك القيم التي تقف وراءها وحاولت التعبير عنها بأشكال مختلفة •

والسؤال الذي يوجهه كل مفكر في مجال الحديث عن القيم والاخلاق هو هل هناك مجال كبير أمام البشرية لاحداث تغييرات جذرية في هذه القيم حيث تكون تجربة الانسان الطويلة في حياة المجتمع والتي تلخصها في صورة أو أخرى في الاديان غير صالحة لواكبة التطور الحديث في عصر الصناعة والذرة ؟ أم أن ما ترسبت عليه القرون في هذا السبيل هو في جوهره ـ وإن اختلفت أعراضه وصوره ـ الحد الادنى الذي يلخص تجربة الانسان في حياة المجتمع ويكفل له تحقيق انسانيته في كل العصور ويقيم ميزان التعادل بينه وبين عالمه المحيط من جهة وبينه وبين نفسه من جهة أخرى ؟

الجنس وحياة المجتمع

لنأخذ حياة الجنس مثلا والتي تعرضت في حضارتنا لكثير من التجارب • فالجنس غريزة حيوانية غايتها حفظ النوع وهي ضرورة حيوية من هذه الناحية ولكنها ليست ضرورة حيوية كالطعام والشراب والهواء إذا فقدها الانسان يموت بفقدها • فهي غريزة تتصل بالجوانب الروحي والباطني من الانسان • ويلاحظ الإنسان في هذا المجال انه ليست هناك قوانين لتنظيم غريزة الأكل والشراب وكل الغرائز الحيوية الاخرى ما عدا الجنس لانه لا يمس الفرد وحده بل

● هل هناك مجال امام البشرية لاحداث تغييرات جذرية في قيمها؟!
● التغيير الاجتماعي يستدعي ويأخذ شكل الثورة على كل قيم الماضي

هو الصلة التي تربط بين الافراد ومن ثم تربط بينهم وبين المجتمع ولهذا السبب فالعنصر الاجتماعي يكاد احيانا يطغى على الجانب البيولوجي فيه ومن هنا جاء التعقيد في المسائل الجنسية واختلفت النظرة اليها باختلاف المجتمعات والازمان • ومن هنا اختلف الانسان عن الحيوان فاضطر الانسان لتعلمه وضبطه والتحكم فيه في الوقت الذي يمارسه فيه الحيوان بدافع طبيعي غريزي منظم • فالجنس كالنار قد تحرق وتدمر ان تركت دون ضابط ويكون فيها النفع او نظمت وتمت السيطرة عليها • ولذلك احتاج الانسان للتعامل مع الجنس بخلاف الحيوان فاضطر الى الستر والزينة وطقوس الزواج وما الى ذلك • والواضح ان سلامة المجتمع وسلامة العلاقات فيه تعتمد على تنظيم العلاقات الجنسية ومن هنا تم الربط بين الجو المجتمع وبين الجنس ومن هنا كانت محاولة كبت الغريزة الجنسية لأغراض اجتماعية لا بيولوجية •

والاتجاه الحديث هو السعي لتجريد الجنس من مضمونه الاجتماعي وعدم ربطه بأي قيمة كالشرف والعرض وما اليه بحيث يصبح ضرورة بيولوجية لا غير كالأكل والشرب والهواء التي لا تحتاج الى قوانين • وتأرجحت بعض المجتمعات بين الاباحة والتقييد ويذكر الانسان في هذا المجال تجربة الاتحاد السوفياتي الذي احس بالاخطار الاجتماعية الناجمة عن الاباحة المطلقة فعدل كثيرا من قوانين الزواج بعد عام ١٩٣٦ لتحول دون انتشار هذه الاورام الاجتماعية • وما يشاهده الانسان الآن في بعض المجتمعات الحديثة من تكالب على الجنس واغراق فيه لا يدل على ظاهرة صحية بقدر ما يدل على اعراض مرض خطير يصيب الامم في حالة تحللها وانحدارها كما علمتنا تجارب الماضي •

التطرف ميزان التعادل

هل نقول ان التطور في التكافؤم



ان مجتمع الانسان المادي بالقياس الى تطوره الروحي والخلقي هو الذي احدث هذه الهزة العنيفة في موازين الانسان الاخلاقية والقيم الانسانية ؟ ان خلال العصور كلما جاءت مثل ظروف الرفاهية التي يعيشها انسان العصر الحاضر تأتي هذه الهزة • وكذلك اقترن الثراء والسلطة دائما بالفساد (الفراغ والشباب والجدة مفسدة للمرء اي مفسدة) • « ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة » • وفي مثل هذه الظروف يجد الحيوان فينا فرصة الاشباع فيجور على الانسان فينا فيكون الاسراف في الشهوات والتمتع ويحدث التطرف وينجم عن ذلك التمزق فالانهيار فيضطر الانسان اضطرارا الى الرجعة الى ميزان التعادل القديم ليكبح جماح شهواته ونزواته ويؤكد عنصر الانسان فيه الذي هو دائما وسط بين تقطي

التطرف ؟

ولكن هذا الكلام لا يعني ان ميزان التعادل هذا الذي هو وسط بين حدي الافراط والتفريط هو امر يسهل الرجوع اليه في كل حين • فالقيم الانسانية باقية ولكن ترجمتها الى واقع معاش يلائم حياة الانسان من اصعب الاشياء • فالمجتمع ليس في حاجة الى شعارات جوفاء وقوالب مثالية من احسن في باب الوعظ والارشاد بل لابد لهذه الشعارات من ان تتحول الى عمل يحقق به الانسان ذاته • ولابد لهذه القوالب من ان تتلوى بما يلائم طبيعة العصر من اشكال والوان • وصعوبة المسألة هنا ناشئة من ان السلوك الانساني الذي هو التعبير الفعلي من القيم وهو الشكل الخارجي الذي يتغير بتغير الازمان لا يتغير بالسرعة التي تتم بها التحولات البيئية نسبة لروح المحافظة عند الانسان ، ولذلك يحدث هذا الاحتكاك والتصارع بين انماط السلوك التي فرضتها ظروف الحياة في فترة سابقة والانماط الجديدة التي تفرضها ظروف الحياة الماثلة • وبما ان القيم يصعب فصلها عن اشكالها التعبيرية يزداد امر التحول تعقيدا ويختلط الجوهر بالعرض ويبدو التغيير الاجتماعي وكأنه ثورة على كل قيم الماضي ومواضعاته •

ومن هنا كانت قضية الانسان في العصر الحديث تهمنا وتهم مجتمعنا لأننا على الدرب سائرون وقد تفيدنا العبرة وان تقبل الانسان والنا الدخول في التجربة •

الخرطوم ــ د• عون الشريف قاسم

في عـــدد قـــادم ..
لقــــاء مع الشـــارقة
الحـــديثـــة في الادب
نعـــمان عاشـــور

أحمد بهجت

الإسلام وقضية الحرية

● ليست السماء حرة في التصرف بالشكل الذي تختاره
وليست الأرض حرة في الدوران في الفلك الذي تريده

يختلف موقف الكون عن موقف الانسان من قضية الحرية ..

وعلى المستوى الكوني .. تتضاءل حرية الكون تماما ، وتنعدم قدرته على الاختيار بين البدائل المختلفة ، وليس أمامه سوى الطاعة ..

ليست السماء حرة في التصرف بالشكل الذي تختاره ، وليست الأرض حرة في الدوران في الفلك الذي تريده ..

إنما يخضع الكون كله بمجراته الهائلة لقانون المشيئة الالهية الحاكمة . قال تعالى في سورة فصلت (ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين)

تعني الآية القرآنية أن الله تبارك وتعالى أمر السماء والأرض فأطاعت السماء والأرض ، وقوله تعالى (طوعا أو كرها) يعني انعدام حرية السماء والأرض في الاختيار ، ويعني أن السماء والأرض مأمورتان بالطاعة ، محكومتان بنواميس الله وقوانينه ..

وهناك من يفسر هذه الآيات فيتصور أن الله عز وجل قد خاطب السماء والأرض ، وردتا عليه سبحانه بالانصياع والطاعة ، وهناك من يعتقد أن الله تبارك وتعالى صور ما حدث بأسلوب الحوار لتقريبه من الذهن وتأكيد معناه وايضاحه ، وكلا التفسيرين جائز .

المهم أن الآية القرآنية تثبت الحقيقة التالية ..

أن الكون ليس حرا ، انما هو مأمور مسخر موجه تحكمه قوانين الله ، ولهذا السبب ليس الكون مكلفا بالتكليفات الشرعية ، ليس مسئولا عن حركته أو أفعاله ، وبالتالي فلا حساب على الكون يوم القيامة لأنه ليس حرا .. نحن نعيش في كون يفتقر إلى الحرية ، كون هو عبد طائع لله .. عبد طائع بحكم خلقه وحكم تكوينه ، عبد لا يملك حريته ، عبد يخضع لنظام محكم لا تفلت منه ذرة من ذرات النجوم أو المجرات أو الكواكب .

اذا كان هذا حظ الكون من الحرية .. فما هو حظ الانسان منها ، وأي قدر منحه الله له ؟

يحدثنا الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم عن قصة خلق النوع البشري .. وسوف نجد الجواب على سؤالنا في القرآن ..

قبل الانسان

[illegible] بالبداية [illegible] حوار [illegible] الله [illegible] ملائكته [illegible] تعالى في سورة البقرة (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال إني أعلم ما لا تعلمون) .

مرة ثانية تومض الآيات أمامنا أمام حوار بين الله سبحانه وتعالى .. ومثلما حدثنا الله عز وجل عن خلق السماء والأرض بأسلوب الحوار ، حدثنا عن خلق الانسان بنفس الاسلوب . ومن المهم أن نفهم أن اخبار الله تعالى الملائكة ليس استشارة منه سبحانه ، كما أن سؤال الملائكة ليس اعتراضا منهم وجدالا .. فالله يتعالى على استشارة أحد من خلقه ، كما أن الملائكة أكرم من أن يعترضوا على الله عز وعلا . يقول تفسير القرطبي أن الله سبحانه وتعالى كان قد أنبأ ملائكته أنه اذا جعل في الأرض خلقا أفسدوا وسفكوا الدماء . فلما حدثهم الله أنه سيجعل في الأرض خليفة قالوا أهذا هو الخليفة الذي حدثتنا عن إفساده في الأرض وسفكه الدماء أم خليفة غيره .. واذا كان هو نفسه فلماذا اختاره الله بينما الملائكة يسبحون بحمد الله ويقدسون له .. كانت دهشة الملائكة هي التي تحركهم الى سؤاله سبحانه وتعالى . وقد أجاب الله على سؤالهم بإحالتهم الى علمه المحيط وعلمهم القاصر فقال إني أعلم ما لا تعلمون .

وبهذا الجواب ألهم الله تعالى ملائكته الكرام أن هناك حكمة تكمن في خلق هذا الكائن المسمى بالانسان .

وهي حكمة تتفوق رغم افساد الانسان وسفكه للدماء .. وسنرى فيما بعد أن هذه الحكمة تنبع من الحرية .. وتستهدف المعرفة .

(وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضها على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم ، قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم ، فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون)

يمضي سياق القصة القرآنية فنرى الله تعالى يعلم آدم أسماء الأشياء ، أي يعلمه القدرة على المعرفة واستخدام الرموز . وهي قدرة لم يؤت مثلها الملائكة . وهي قدرة تنطق بإعجاز الله أن يخلق من طين بشرا يملك أدوات المعرفة .

تريننا الآيات كيف هدى الله الملائكة في حيرتهم .. وكشف لهم أن دهشتهم من استخلاف آدم في الأرض قامت لأن علمهم قصر عن إدراك الحكمة . قبل أن نرى ذلك سنسمع [illegible] الله تبارك وتعالى وهو يصدر أمره للملائكة أن يسجدوا لآدم سجود تحية وتكريم .

وقد صدر الأمر للملائكة قبل أن يخلق الانسان .. وحدد الأمر توقيتا معينا للسجود .. هو نفخ الروح الالهي في آدم .

الأمر الأول

قال تعالى في سورة (ص)



{ إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين ، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين . فسجد الملائكة كلهم أجمعون ، إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين }

حين فتح آدم عينيه على الحياة ، كان أول ما شاهده هو تحية الملائكة له ، ورفض إبليس واستكباره . ولقد أتيح لآدم أن يشهد بعد خلقه مباشرة ، قدر الحرية التي يعطيها الله لمخلوقاته المختلفة ..سأل الله تعالى إبليس لماذا لم يسجد لآدم . { قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ، استكبرت أم كنت من العالين . قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين . قال فاخرج منها فإنك رجيم وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين . قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون . قال فإنك من المنظرين ، إلى يوم الوقت المعلوم . قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين ، إلا عبادك منهم المخلصين . قال فالحق والحق أقول . لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين }

وقع هذا الحوار بين الله عز وجل وإبليس بعد اللحظات الأولى من خلق آدم . وكان وقوع هذا الدرس أمام آدم يحوي مغزى عميقا . فها هو الستار يفتح على خلق النوع الإنساني بحوار يدور بين الله ـ جل جلاله ـ وعبد كافر هو إبليس ... ورغم ذلك فقد أعطاه الله الحرية ليتكلم ..

رغم أنه عبد .. وكافر..

لقد رفض إبليس أن يسجد لآدم ، كان الله تبارك وتعالى يعلم قبل خلق آدم وخلق إبليس أن إبليس سيرفض السجود لآدم ، كان يعلم إنه سيعصي ، وكان الله يملك أن ينسفه نسفا ، أو يحيله إلى حفنة من تراب ، أو قطعة من الحجارة، كان الله يستطيع أن يخنق كلمة الرفض في فم إبليس ، غير أن الله يعطي لمخلوقاته المكلفة قدرا من الحرية لا يعطيه غيره أحد ... انه يعطيهم حرية مطلقة تصل إلى حد رفض أوامره سبحانه ، ويمنحهم حرية الانكار وحرية العصيان ، وحرية الاعتراض عليه سبحانه لا ينقص من ملكه أن يكفر به الكافرون ، ولا يزيد في ملكه أن يؤمن به المؤمنون . إنما ينقص ذلك من ملك الكافرين أو يزيد في ملك المؤمنين . أما هو فتعالى عن ذلك .

فهم آدم أن الحرية ـ سر عظيم في الوجود الذي خلقه الله ... فهم أن الله يمنح حرية كاملة لعباده المكلفين ، ويرتب على الحرية تلك النتائج من مسؤولية وتكاليف .

فهم من هذا أن السطور الأولى من حياة الإنسان تجربة من تجارب الحرية ... وهي تجربة كانت نتيجتها خروج إبليس من رحمة الله وصيرورته رمزا للعصيان والشر .

تجربة في الجنة

بعد هذه التجربة الأولى التي شاهدها آدم كمخلوق يمارس حريته ويخرج من الرحمة ... التي أتيح له أن يجرب حريته هو الآخر تجربة شخصية . وقد قادته تجربته إلى الخروج من الجنة .

{ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ، وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ، فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ، فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم } ..

تحدثنا الآيات أن الله تعالى أدخل آدم الجنة ، وأباح له أمورا ونهاه عن أمر ، أباح له أن يأكل رغدا كما يشاء ، ونهاه عن شجرة معينة ، وضمن الله له ألا يجوع ولا يعرى ، ولا يظمأ ولا يضحى ، ووسوس الشيطان إلى آدم ، هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ، وظل يوسوس إليه حتى نسي آدم تحذير خالقه وأكل من الشجرة المحرمة .

كان آدم حرا كل الحرية حين مارس تجربته ، ولهذا ترتبت على التجربة مسئوليته الكاملة فخرج من الجنة إلى الأرض .. محققا ما سبق إليه علم الله عز وجل .

وكانت التجربة كلها ركنا من أركان الخلافة في الأرض ، ليعلم الإنسان أنه حر ويعلم أنه مسئول عن أفعاله ، ويعلم أن الشيطان عدوه الأول .. ويعلم أن طاعة الشيطان تخرجه من جنة الرضا إلى جحيم الصراع على الأرض .

قال تعالى { اهبطا منها جميعا ، بعضكم لبعض عدو ، فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى }

موقف الإسلام

ما هو موقف الإسلام من قضية الحرية ؟

إن الإسلام هو دين الله الذي أنزله على عباده ، ولله المثل الأعلى ، وقد كشف الله لعباده بقصة إبليس وقصة آدم قدر الحرية الذي منح لهما ، وقدر المسئولية المترتب على هذه الحرية ، كما كشف القرآن الكريم بآياته المتعددة عن الفرق بين حرية الله المطلقة ومشيئته المطلقة ، وحرية المخلوقات المقيدة بالمسئولية .

فالله تبارك وتعالى له الخلق وله الأمر وهو لا يسأل عما يفعل ..

يقول تعالى عن ذاته { له الخلق والأمر }

ويقول عن مشيئته { فعال لما يريد }

ويقول عن أمره { إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون } .

ويقول عن حال أفعاله { لا يسأل عما يفعل وهم يسألون } .

● في عقيدة الإسلام: المسلم مكلف أن يرحم العباد لأن الله رحيم
● هناك مناطق محرمة إذا دخلها الإنسان انسلخ من الإيمان

وبهذه الآيات تثبت الحرية المطلقة لله، وتمتنع على غيره، والإنسان المسلم مأمور أن يتخلق بأخلاق الله في كل شيء، باستثناء ما هو من صفات الألوهية كالكبرياء والعظمة وعدم الخضوع للمسئولية أو المساءلة.

في عقيدة الإسلام: المسلم مكلف أن يرحم العباد لأن الله رحيم، وأن يكرم الناس لأن الله كريم، وأن يتجاوز عن أخطائهم لأن الله عفو غفور، وهذا هو التخلق بأخلاق الله.

لكن هناك مناطق محرمة إذا دخلها الإنسان كان هذا يعني انسلاخه من الإيمان ودخوله منطقة الشرك.

هذه المنطقة هي اعتقاده أن له وحده حق الأمر أو الحكم أو عدم المساءلة. ليست هذه المحاولة غير محاولة للجلوس في كرسي الله وهي محاولة تخرج صاحبها من عقيدة الإسلام. والأصل في الله تعالى أن له الحاكمية على البشر، وأي حكم مطلق هو في نهاية الأمر اعتداء على حق الله.

الإسلام إذن ضد الاستبداد السياسي لأنه شرك، فالمستبد السياسي أو غيره من المستبدين لا يسأل عما يفعل، ولا يسمح بأن يسأل عما يفعل.. وهذا وذاك صورة من صور ادعاء الألوهية. فادعاء الألوهية قد يكون بالقول، وقد يكون بالفعل.

والادعاء بالفعل أخطر كثيراً من ادعاء القول.

ليس الحكم الاستبدادي مهما ارتدى الأقنعة غير حكم خارج على الإسلام، ولا يهم هنا أن يدعي هذا الحكم أنه حكم إسلامي لأن عدم مسئولية الحاكم أمام الله والمسلمين يعني أنه يدعي الألوهية.. ولا يغني عنه أن يحاول الإيهام بأنه يطبق الإسلام أو يسعى لتطبيقه أو يلهج بالشورى أو يرتدي عباءته.

لا يغني هذا عن الحقيقة الأصلية.

ماذا نفعل إذن في العصور الإسلامية المستبدة، هل نعتبرها من الإسلام ونحسبها عليه.

هذا ما فعله المستشرقون وكل علماء الغرب حين نقدوا الإسلام من الناحية التاريخية.

وهذا ما ينبغي أن يصححه اليوم علماء المسلمين.. أي عصر من عصور الاستبداد السياسي في التاريخ الإسلامي ليس عصراً إسلامياً.. إنما هو عصر استبداد عادي يرتدي عباءة الإسلام.

ويجب أن يدرس على هذا الأساس تبرئة للإسلام وتنزيهاً له.

موقف الإسلام من الحرية واضح

الإنسان حر ومسئول.. المسلم حر في اختيار الأسلوب ولكنه مسئول أمام نفسه وأمام الله في النهاية.. والإنسان حر في اختيار طريقه ولكنه مسئول أمام مجتمعه وأمام الله في النهاية.

وأي محاولة لفك سلسلة المسئولية ليست غير وثنية جديدة.

بين الحرية والسيف

الحرية إذن نسيج أصيل من النسيج التركيب البشري، والله هو الحرية المطلقة، والإنسان حرية مسئولة ولهذا فهي نسبية، والحكم في الإسلام ليس استبداداً من الحاكم، لأن الله تعالى يقول لرسوله الذي يوحى إليه والذي هو معصوم من الخطأ (وشاورهم في الأمر).

وإذا كان هذا الكلام موجهاً لسيد البشر وخير خلق الله وأكملهم وأتقاهم، فكيف يدعي أي حاكم لنفسه ما ليس حقاً للرسول.

إن موقف الإسلام كدين من قضية الحرية واضح.. لقد دعا الله عباده إلى الإسلام.. ولكنه لم يقهر أحداً عليه.. قال تعالى (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر).

ويرتب الله تعالى على هذه الحرية مسئولية العباد الكاملة.. وموقف الإسلام كفكر من قضية الحرية أيضاً واضح.. إن الإسلام يدعو الناس إلى الله فيقول للرسول (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة).

ولا يسمح الله للرسول أن يرفع السيف للدعوة إلى الله، إنما يرفع السيف دفاعاً عن حق الداعية في الدعوة إلى الله، لا لقهر البشر على الإيمان وهناك فرق كبير بين الموقفين، ومن هنا جاءت حروب الرسول لتحرير الإنسان في الجزيرة العربية وتحرير الإنسان خارجها.

وتثبت الدراسات المنصفة لتاريخ الفتوحات الإسلامية، أنها لم تتم إلا دفاعاً عن حق الدولة الإسلامية في البقاء، ولم يرفع الرسول سيفاً إلا حين وجد سيوف العدو تمتد إلى المسلمين لقتالهم، أو منعهم من الدعوة إلى الله.

والأصل في المجتمع المسلم أنه مجتمع لا يعيش فيغرق في حياته الأرضية دون رسالة أو هدف.. وهدف المجتمع المسلم هو العيش في سلام العبادة والتوحيد والدعوة إلى الله.. فإذا اعترضت السيوف هذا الهدف لجأ الإسلام إلى الحرب.

ويشهد التاريخ للإسلام أن سيفه لم يرتفع إلا كما يرتفع مبضع الجراح، وفي جميع المرات التي سقط فيها ضوء الشمس أو ضوء القمر على سيف الإسلام، كانت الحياة ترتد إلى الشفاء وتعود لها الصحة.

وفي الدول التي دخلها المسلمون، كانوا يبدأون بالدعوة إلى الله، من آمن بهم صار له ما لهم وعليه ما عليهم، ومن شاء أن يظل على دينه الكتابي بقي عليه ودفع الجزية، وهي ثمن حماية المسلمين له ودفاعهم عنه، ومن رفض هذا وذاك ورفع سيفه على المسلمين رد الإسلام عن نفسه بالسيف.

أي حرية يمنحها نظام في الأرض للناس مثل حرية الإسلام.

هذا هو موقف الإسلام من قضية الحرية.

كيف طبق هذا الموقف في عهد الرسول والخلفاء الراشدين؟

احمد بهجت



أضغاث أحلام

قصة بين مصر وفلسطين

فيما قبل ابتلاء مصر بالاحتلال البريطاني سنة ١٨٨٢، لم يكن أهالي سيناء بدوا وحضرا يعترفون بوجود حدود بين مصر وجنوب الشام (فلسطين) وكنت ترى القبيلة أو العائلة لها فروع ممتدة بين محافظة الشرقية (عبر سيناء) وأرجاء الشام، وبلغ الامتزاج بين مصر وجنوب الشام (فلسطين) أن القوم في سيناء الشمالية يعتبرون البحر الأبيض المتوسط واقعا الى (الغرب) فيقول الواحد للآخر (أنا اليوم مُغَرِّبٌ الى البحر) وذلك لأن البحر جغرافيا يقع غرب الشام جملة، بينما هو في سيناء واقع جغرافيا الى الشمال، وتلك ولا شك ظاهرة من ظواهر الوحدة صنعها التاريخ ... وكنا صغارا قبل نكبة سنة ١٩٤٨، حين يخرج أهالونا على ظهور الإبل لحضور موسم الحصاد في فلسطين حول (غزة وبئر سبع والعوجة وعسلوج وبني سهيلة والمنطار)، نسمع العجائز يدعين لهم بالسلامة والتوفيق ويختمون الدعاء بقولهن «الله يحميكم من أولاد......) وكنا آنذاك لا نعرف معنى «أولاد ......» ولا نعرف لها بعدا ..... وقبل نكبة سنة ١٩٦٧، قرأت في صحيفة محترمة بحثا ضافيا قام به رتل من الساقة الباحثين، يفيد بأنه قد ثبت لهم بالبحث الدقيق والتحري المستمر أن عدد المواليد (الذين لا يعرف آباؤهم) منذ وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها سنة ١٩٤٥، يبلغ في دولة (ما) ما لا يقل عن ٤٠٪ بالكمال والتمام، ممن يولدون في تلك الدولة .... وعند ذاك تذكرت دعوات العجائز للرجال الذين كانوا يذهبون للحصيد في فلسطين (قبل سنة ١٩٤٨ طبعا)، إذ لا شك أن عددا وفيرا من أولئك (الأربعين في المائة) قد بلغوا في هذه الفترة من الزمان مبلغ الرجال، وآلت الى بعضهم، لا شك، كثير من مقاليد الأمور، حلا وربطا في السياسة العالمية، بخلفياتها الرهيبة، سلما وحربا، وأن أقرانا لهؤلاء في تلك الدولة قد ظهروا، في دول أخرى، وأن الجميع يشكلون اليوم عصبة، لا تجدي في قمعها دعوات عجائز العالم كله من (صالحات) اليهود والنصارى والمسلمين ولو كان بعضهن لبعض ظهيرا وأن ما يعانيه المستضعفون في أرجاء الأرض ممن يسمون بالدول (النامية) إنما هو من نسج أولئك الرجال الذين كانت عجائزنا يخفن منهم على الحصادين ... وأنه لابد من قناعة تصل الى نخاع العظام وكريات الدم وخلايا الأنسجة كلها (بما فيها أنسجة المخ والأعصاب) إلى أنه لا نجاة للمستضعفين من شعوب الأرض إلا بوقفة صادقة حازمة تجاه تلك (العصبة) من الرجال الذين (لا آباء معروفين لهم)، بعيدة عن الخطابة والعنتريات والنفاق (الظاهر والخفي)، لتضع حدا لهذا التيار الكاسح الذي ينقلون سمومهم به في المجتمع البشري بانحلاليات الخلق، وسلوكيات الميكروبات والجراثيم ..... وليكن البدء الجاد، وخاصة في بلاد الإسلام والعروبة بالصوم لمدة عام كامل، عن شراء كل الكماليات التي عاش أجدادنا (أصحاء أقوياء عقلاء سعداء)، قرونا متين، على أديم هذه الصحراء بين المحيط والخليج، بدونها. وليحزم كل منا، حاكما أو محكوما، أمره على الاكتفاء بما تحت يديه من ضروريات، وأثناء الصوم المقترحة، لا يستجيب لأوامر النفس في اقتناء شيء جديد قط، أيا كان هذا الشيء، وأنا واثق كل الثقة أننا بهذا الصوم لن نموت، ولكننا سنثبت أننا قادرون على مجابهة كل ما يحيط بنا من بلاء، وما يرصد لمستقبلنا من فناء ..... وستنمو بداخلنا قدرات جديدة للتحدي، وسندرك أن أول أخطائنا كان عدم القدرة على كبح جماح أنفسنا إزاء التطلعات الغريبة، التي أدت بأولئك الى اختراع أجهزة ومعدات (لنا نحن خصيصا) لكي نسترسل في تحطيم كل مقومات تراثنا وكرامتنا وعزتنا ...... وفي اعتقادي أن مواجهة من هذا النوع، الصوم، عن بعض الحلال، فضلا عن الحرام، سوف تكون المنطلق الصحيح، لتحقيق مضمون دعوات عجائز سيناء للحصادين الذين كانوا يتوجهون إلى فلسطين .....

درويش مصطفى الفار

أصيب المغتربون بالملل وهم يستمعون إلى خطبة طويلة يلقي بها أحد النبلاء في نهاية الحفل معا حدا بأحدهم، وكان يجلس في الصفوف الخلفية، أن يقوم بإلقاء زجاجة فارغة في اتجاه الخطيب ولكن الزجاجة أخطأت طريقها إلى رأس أحد الجالسين جواره معا أدى إلى إصابته وبعد عدة محاولات متعثرة قام بها الخطيب لإنعاشه رفع المغمى عليه رأسه ونطق هامسا:

«أرجو ضربي مرة أخرى فإن صوته مازال يرن في أذني»

أراد أحد الشبان أن يدخل السرور على قلب جدته التي كان يعلم أنها قد أوصت له بجزء من ثروتها فاشترى ببغاء وقيل أكثر من ألف كامل ينطقها مقاطع من شعر وليام شكسبير وكان يعرف مدى ولع جدته بالشعراء ثم بعث إليها بالببغاء.

وبعد انقضاء أسبوع على إرساله الهدية اتصل بجدته يسألها عما إذا كانت قد استلمت الطائر

فردت عليه: نعم .. والشكر لك عليه فقد كان شهيا.

الحياة العربية

بين المعقولية واللامعقولية

د. حافظ الجمالي

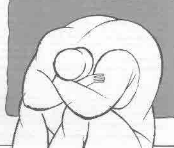
منذ مدة تزيد على السنة ، كتب الشاعر اللامع (ادونيس) مقالا في صحيفة بيروتية تساءل فيه بصورة لا أوضح ولا أصرح ، عن السبب الذي يجعل (الغرب) كلي القدرة ويجعل أمتنا كلية العجز ؟ ومع انني قرأت هذا المقال منذ أشهر كثيرة فانني لم أنسه قط ، الا انني ذكرته اليوم بحقد أكبر ، وأنا أشتري قطعة تبديل تافهة للسيارة ، ماتسيك قط أنها تساوي أكثر من

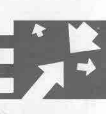
خمس ثوان سحرية ، لانها جملة ، بسيطة الى أبعد حد ، ولأنني [illegible] الى [illegible] عن [illegible] كهربائي بسيط ، [illegible] الشمس [illegible] [illegible] الى [illegible] [illegible] استكار [illegible] بالنسبة ١٩٧٣ [illegible] تلك قد قدرت أنها أو [illegible]

مئة بالمئة لما كان لهذه القطعة التي اشتريها أن تبلغ نصف الثمن الذي بلغته ، لا ريب اذن أن أسعار المواد المصنعة ، هي في الاصل مرتفعة جدا ، بصورة غير معقولة ، ولكن عملية النهب بالمعنى الصريح للكلمة قانون سلوك الغرب تجاه الشرق ، مادام هذا الاخير لا يرفض أن ينهب؛ ولا أضرب هنا الا مثلا واحدا ، فلقد زرت عام ١٩٧٢ ، فيما أظن ، معامل فيات ، السيارات الايطالية المشهورة ، وطرحت على مستقبلي هذا السؤال الخاص : ترى ماذا يكون ثمن أية سيارة من سياراتكم ، لو اشتريتها أنا كاجزاء متفرقة ، كل على حدة ، ثم جمعتها لتكون سيارة ؟ وبتعبير لا أبسط ، ولا أوضح ، كان الجواب أن الثمن سيتضاعف عشر مرات تقريبا ، حقا ان الغرب كلي القدرة ونحن كليو العجز ، ولكن لماذا ؟

التساؤل المؤلم

ومن الممكن ولا ريب ، أن يخطر هذا السؤال على بال العربي ، والشرقي معا ، بل على بال أول هذين الاثنين قبل الآخر ، حتما ، وعلى سبيل المثال أيضا ، اذكر أن أول من طرح هذا السؤال على نفسه بالنسبة الى الشرق ، كان طبيبا فرنسيا ، اسمه « برنييه » وذلك منذ عام ١٦٧٠م أي قبل انفجار الثورة الفرنسية بما يزيد عن مئة وعشرين





عملية النهب هذه قانون سلوك الغرب تجاه المشرق العربي يطرح السؤال مجروح الكبرياء، والغربي يطرحه متألما

بملاحقة الأخبار غير الطيبة .. لا المشكلات العربية لا يخلو منها الأغنياء والفقراء

إذا كان الرغيف غير مضمون - فهل المضمون دون ١٣ معادلة صعبة: عندما يتقدم التخلف ويتخلف التقدم!

عاما . وكان هذا الطبيب قد عمل في بلاط الامبراطور المغولي «أورانغ ـ زيب» وبقي لديه حوالي الثماني سنوات . وقضى أربعا أخرى في الهند . وكان قبل ذلك قد زار مصر وسورية . ولم يعد الى فرنسا الا عام ١٦٦٨ . أي بعد أن غاب عنها أربع عشرة سنة . وكتب لدى عودته قصة رحلاته بين عامي ١٦٧٠ ـ ١٦٧١ . وطرح على نفسه فيها قصة تخلف الشرق ، وما يمكن أن يكون سببا لها . وبطبيعة الحال ، فانه لم يتساءل هذا السؤال ، يوم كتابته أو نشره لما كتب حول رحلته ، وفي ذلك اليوم بالضبط ، بل انه حتما كان يطرحه على نفسه من قبل . ولو أن بلاده كانت في مثل التخلف الذي عرفه لدينا ، لما كان له أن يطرح هذا السؤال . لكن الفرق كان من الكبر بحيث اضطره الى طرح هذا التساؤل ، اذ لا حساسية الا بسبب الاختلاف ، والفرق ، بين حال وأخرى . وكان يجب أن ننتظر صيحات الافغاني حوالي الستينات من القرن الماضي ، حتى يطرح هذا السؤال عندنا ، طرحا نظريا وعمليا .

ولقد قلت ان من الممكن ـ ولا ريب ـ أن يخطر هذا السؤال على بال الغربي ، والشرقي معا ، متى كان في ذهنه متسع للتساؤل عن غير ما يهم حياته الفردية ، في ضيق الحدود ، الا أن الوضع النفسي في العالمين مختلف جدا . فالعربي يطرح هذا السؤال ، يائسا قلقا ، مجروح الكبرياء ، مفعما بالشعور بالنقص . أما الغربي فانه يطرحه بشيء من الالم ، على ما لابد منه ، ولكن من موقع الصدر ... والاعتداد ، والشعور بالتفوق ، والأخذ الانساني عن الشرقي المتأخر ، وبالجملة [illegible] [illegible] [illegible] وبالجملة انه أبدا سؤال أخلاقي لا أكاديمي .

لا أحب الأخبار

والحق هنا انني لا أحب الاستماع الى الاخبار لا في الصحف ، ولا في الاذاعات ، ولا سيما المحلية منها . ذلك أن الاخبار لا تعدو أن تكون مفرحة ، أو سيئة . أما المفرحة ، فليست من حصتنا . وعندما نسمع هذا النوع من الاخبار (كصنع طائرة جديدة ، أو سلاح أكثر تدميرا ، أو اختيار شفاء من بعض الامراض ، أو حصول أحد النابهين على جائزة نوبل ... الخ) فنحن نعرف سلفا أنه لا يخصنا . أما اذا سمعنا أخبارا سيئة (كالتوتر بين جهتين عربيتين ، أو الهجوم على جنوب لبنان ، أو قتل بعض القادة العرب في بيروت أو في العواصم العربية ، أو انخفاض سعر الدولار ، وخسارة بعض المليارات من الودائع العربية) فان من المؤكد انها تخصنا حتما .. ان جنسية الاخبار الطيبة هي دوما غير عربية .



وفي يوم من أيام القرن الثاني عشر ، كان هنالك راهب فرنسي مشهور ، اسمه أبيلار ، وكانت له آراء في العقيدة الكاثوليكية تعرضه أحيانا لنقد زملائه والاحبار الكبار او الصغار فكتب يقول : ما من مرة سمعت بالاعداد لاجتماع يعقد بين رجال الكنيسة ، الا قلت في نفسي : لا ريب أنه اجتماع يعقد لادانتي الهرطقة . والقول أنا ، بوحي من هذه العبارة ، انه ما من مرة قيل لي : هنالك خبر أو جملة أخبار الا وقلت في نفسي : ترى كم سيكون وزن البؤس الذي ستضيفه الى حياتنا . وعندما يخطر في بالي أن ذلك يصدر عني عن طبع متشائم ، وأحاول أن أبحث لدى الآخرين عن مبررات للتفاؤل ، فيقينا لا أجده لديهم الا لغة واحدة ، كل مضمونها الخوف والاضطراب والتمزق .

المشكلات المتزايدة التعقيد

وبطبيعة الحال ، فان المشكلات العربية ، كثيرة ، « مفرطة الكثرة والخطورة معا » ، لا ينجو منها لا أغنياء العرب ولا فقراؤهم ، لا السابقون الى الحضارة ، ولا المتخلفون فيها ، لا أصحاب النظم التقدمية ، ولا الأكثر اغراقا في الرجعية ، لا الذين أكثروا من التصنيع ، ولا الذين أقلوا منه . واترك الآن مشكلة اسرائيل ، واللاجئين الفلسطينيين ، وتزايد عدد المستوطنات الاسرائيلية في



ما من مشكلة لدينا تعرف طريقها الى الحل
اقل الادوات استعمالا في حياتنا هو العقل

الضفة الغربية ، وجنوب لبنان ، وصور الامية العلمية والحضارية التي نعاني منها ، واقف عند ما جرت العادة على تسميته بمشكلة الامن الغذائي في الوطن العربي ، لأوضح كيف أنها ليست مشكلة قائمة ، منذ سنوات غير قليلة ، بل كيف انها مشكلة تزداد حدة ، يوما بعد يوم ، على الرغم من كل ما يقال عن الجهود المبذولة لحلها .

ففي كتاب « السكان والتربية والتنمية في البلاد العربية » الصادر عن مكتب اليونسكو الاقليمي للتربية في البلاد العربية ، عام ١٩٧٧ في بيروت ، أن سكان الوطن العربي ، سيتراوح عددهم آخر هذا القرن ، بين حد أعلى هو ٣٢٨ مليونا ، وحد أدنى هو ٢٦٦ مليونا - اقرأ ذلك في هذا الكتاب ، واذكر مباشرة أن بلادنا استوردت في ذلك العام (٧٧) ما يعادل ٤٩٪ من حاجتها الى القمح ، أي النصف تقريبا ، وأن سورية بالذات ، على سعة مواردها الزراعية - كما يقال عادة - استوردت في تلك السنة نفسها ١٩٠ ألف طن (٩ ٪ من جميع المستوردات العربية) مما يعني أنها استوردت أكثر من النسبة التي تستحقها ، بالقياس الى نسبة سكانها الى مجموع سكان البلاد العربية ، الا أنها لا تزيد على ٦ر٥٪ من مجموع العرب ، ومع ذلك فانها تستورد ٩٪ مما استوردوه ، ويقوم من القمح ، تقول انها هي الاخرى استوردت نصف حاجتها ، كما يفعل العرب جملة .

وأتساءل هنا : اذا كان رغيفنا غير مضمون فماذا عساه الآن أن يكون مضمونا من السلع الاخرى ؟ وهذا الشعب الذي لا ينتج من عمله وأرضه ، حتى الغذاء الذي هو بحاجة اليه ، أتراه يغطي هذا النقص مما ينتجه من سيارات ، وأدوات ، ومصانع ، ومعامل ؟

وأطرف ما في هذا كله ان مكارنا ينتج في المتوسط بارد١٠٤٤ كغ من القمح ، مقابل متوسط عالمي هو ١٨٩٤ كغ ومتوسط للبلاد النامية قدره ١١٩٨ ، ومتوسط آخر للبلاد المتقدمة هو ٣١٧٥ كغ ، أي اننا ننتج ما يعادل ٧ر٦٢٪ من الانتاجية العالمية و ٤٨٪ من انتاجية المتقدمين .

يا الله ما أعظمنا ! اننا لم نلق مضاهاة هؤلاء تقدما ، فبارزنا المتخلفين في التخلف ، وفي هذه المرة كان فوزنا عظيما ! لكن هذا المثل ليس الا مثلا ، وفي وسعنا تعميمه على أكثر المحاصيل الاخرى . ما أرقى ما نفعل ومتى ؟ انما في الوقت الذي يعاني العالم كله من أزمة المجاعة ، وتأمين طعام المستقبل ، ونعاني نحن فوق ذلك أزمة في الامن على الوجود ، ترى هل يحكمنا الدنيا اليوم غير التخلف ؟ وهل يخطط نحوه غير التقدم ؟ وهل بعد بيننا الآن في عالم الزراعة سيكون أقل أو أكثر مما تحققه جراثيمنا المشهورة التقليدية - في عالم الصناعة ؟

ومنذ عام ١٩٤٨ على الاقل ، يشعر كل عربي بقلة حيلته : لتقديره أن كل العرب لم يستطيعوا حماية اخوانهم في فلسطين ، وقامت اسرائيل كسيف مصلت على كل الرقاب العربية ، وجاءت نكبة ١٩٥٦ ثم نكبة ١٩٦٧ ، فأكد هذا كله مشاعر الذل التي لم يقدر لجيل عربي آخر أن يشعر بمثلها الا في أيام الصليبيين ، والمغول ، ولكن دون أن تقدم تلك الاجيال ظروفا ملائمة أحيانا ، فتسترد بها الكرامة ، وتسعيد الشعور بالثقة ، وجاءت الخاتمة فمحت الذل ، نهائيا ، وقضت عليه ، أما لدينا فنستطيع أن نؤكد أنه ما من مشكلة تعرف لدينا طريقها الى الحل ولو صح ذلك لكان الامر عجيبا ، وكيف يمكن في ظروف الذل الخارجي والداخلي معا ، أن يملك المواطن من العزم ، ما يقاوم به أي شيء ؟ ان في وسعنا الاطمئنان الى أن كل يوم سيفاجئنا بمشكلة ، كالمريض الضعيف البنية ، الذي يرحب جسمه بكل جرثومة طائرة في الهواء ، فيزيد بها أمراضه دون أن يقوى على شفاء نفسه من أي مرض سابق ، ولهذا كان من الواضح أن مشكلاتنا العربية في عام ٧٩ أكبر منها في عام ٧٣ وفي عام ١٩٦٧ أكبر منها في عام ١٩٥٦ وفي هذا العام الاخير أكبر منها في عام ١٩٤٨ ، وأخشى ما أخشاه أن يتتابع عمل هذا القانون للعقود التالية ، فتكون عام ١٩٨٥ أسوأ من عام ١٩٨٠ - فاذا حدث هذا ، فليس هناك أي مجال للاستغراب .

المعقولية واللامعقولية

والسؤال الآن : هل نفكر جديا بحل مشكلاتنا وبماذا علينا حلها ؟ أما عندي فانه ما من مشكلة تطلق هي هي قبل التفكير بحلها وبعده - ولئن لم يستطع الفكر حل هذه المشكلة فانه يحل منها جزءا ، اليوم ، ليحل الجزء الآخر غدا ، واذا لم تحل المشكلات ، باعمال الفكر فيها ، فماذا عساها أن تحل ؟

وهكذا نستنتج منطقيا ، وحتى من ملاحظة الواقع ، أن أقل الادوات استعمالا في حياتنا هو العقل ، وأن المفضل عليه دوما ، هو الرغبات والمصالح الآنية ، والنزوات الطائشة دون تفكير ، أو بأقل تفكير ممكن ، وأصبح الصحيح هو أن حياتنا تشكو ما تشكو منه ، لا من فيض المعقولية ، ولكن من فيض اللامعقولية ، ولئن كان الغرب احتاج الى عقل ما ، لكي يتقدم ، فعلينا نحن ، لكي نلحق به ، أن نستخدم عقله مضاعفا ألف مرة ، ترى ماذا نفعل ، ونحن من نحن وما نحن ، ان لم نكن نختصر عقله ذاك ألف مرة أو نقلبه فنضع رأسه مكان رجليه ، ورجليه مكان رأسه ؟



٢٢ فبراير وجه جديد للحياة في قطر

منذ ثمانية سنوات — وعلى وجه التحديد — في يوم ٢٢ فبراير عام ١٩٧٢ ولدت حياة جديدة على أرض دولة قطر. وأدى هذا الميلاد الجديد الى إحداث نهضة شاملة ووثبة حضارية فى كافة ربوع البلاد..

وأصبح هذا اليوم الخالد مناسبة قومية فى تاريخ الشعب القطرى، ففيه تولى سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى مقاليد الحكم بتأييد من كافة قطاعات الشعب التى تدرك تاريخ كفاحه المجيد..

وانطلق مكملا — مجندا كافة الإمكانيات — نحو تحقيق أهدافها فى التطور المنشود القائم على التنمية المثلى للموارد الاقتصادية..

واستطاع فى سنوات قليلة أن يقيم صرح الدولة الفتية على قاعدة قوية وأساس متين، وبذلك احتلت دولة قطر مكانها المرموق على المستوى الداخلي والخارجي..

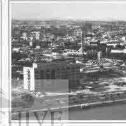


حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر



سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني ولي العهد ووزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة

الدوحة في النهار



الدوحة في الليل



متطلبات التحديث

وخلال مشوار التطور المتشود، اعتمدت دولة قطر في تحقيق أهدافها على الانسان باعتباره غاية الغايات، ودعامة الانتاج المستمر والمثمر في كافة المجالات، فوفرت له كل ما يحتاجه من الرعاية الاجتماعية الى الخدمات العامة.. وحددت دور ذلك الانسان وقيمته بمدى مساهمته في بناء المجتمع والارتقاء به الى المنزلة اللائقة، فطريق الامم لم يكن في أي زمان او مكان طريقا مفروشا بالورود، ولكنه كان وسيظل دائما كما قال قائد المسيرة – طريقا صعبا، يتطلب من كل فرد في المجتمع الناهض بذل اشق الجهود، والحرص كل الحرص على تماسك وحدتنا الوطنية المخلصة، وتعزيز روابط تعاوننا الاخوى الصادق، بحيث يقدم كل منا لأخيه، من موقع الخدمة العامة الذي يشغله، كل ما يمكن من عون ومؤازرة، تحقيقا لهدفنا المشترك، وهو خير كل منا الفردى، الذي يتكون من مجموعة خير مجتمعنا الجماعي...

وضمن محور الامن العضوى الركائز الجوهرية التي يجب أن نعتمد عليها اثناء الاستجابة لمتطلبات التحديث وهي تنحصر في: القيم التراثية السامية والتعلق بأهداب المثل العربية الرفيعة، والحفاظ على أصالتنا الدينية التي نعتز بها كل الاعتزاز، حتى نصون شخصيتنا القومية التي نتفاخر بها بين الأمم..

خطوات التعليم

واتجه التعليم في دولة قطر بخطوات واسعة نحو محاربة الرحيب، بفضل توجيهات ورعاية قائد المسيرة، لتساير ركب التطور وتواجه خطط "التنمية" الطموحة في البلاد بتوفير الكفاءات في كافة المجالات.. وبذلك وصل عدد الطلاب والطالبات هذا العام الى اكثر من ٣٨ الف طالب وطالبة في المدارس، وهذا بخلاف ٥٢٩٢ دارس ودارسة في مراكز محو الامية وتعليم الكبار..

كما احتلت جامعة قطر مكانة مرموقة بسعيها المستمر للوصول الى آفاق جديدة ورحاب افسح، ووصل عدد طلابها هذا العام الى ٣٥٠٠ طالب وطالبة منهم ٦٠٠ طالب وطالبة من المستجدين، واصبح في رحابها معيدون ومدرسون من ابناء قطر، ويتم إيفاد المعيد للحصول على درجة الدكتوراه من الخارج..

وقد بلغ عدد المبعثان للدراسات الجامعية والعليا ٢٧٩٣ طالبا وطالبة في العام ١٩٧٩، أي بزيادة ٣٩٧ طالبا وطالبة عن العام الذي قبله!

رعاية الشباب

ولكي تتم تنمية الشباب بالصورة اللائقة والمعبرة عن اهداف الأمة، تم انشاء المجلس الأعلى لرعاية الشباب برئاسة سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني ولي العهد ووزير الدفاع، ليصبح هذا المجلس مسئولا عن كل ما يتعلق بشئون الشباب، وفي هذا العام صدر قرار بانشاء أربعة اندية رياضية جديدة وزيادة مكافآت الاندية ومساعدتها فيما تدفعه من إيجارات سنوية، حتى تقوم بمسئوليتها الكاملة في نشر الرياضة بين النشء والارتفاع بمستوى الالعاب

الشعبية ..

والى جوار الابنية الرياضية ، أصبح في قطر الحادات متعددة ، وأصبحت مدينة خليفة الرياضية من المعالم الرئيسية في البلاد ، حيث يوجد بها استاد رياضي يتسع لحوالي ٤٠ الف متفرج ، وفي السنوات القادمة تكتمل إنشاءاتها الرياضية ..

توزيع المصادر

وعلى أرض قطر تجري اليوم نهضة صناعية كبرى ، تمثل علامة بارزة ومضيئة في البناء الشامخ الذي يرتفع يوما بعد يوم ، معتمدا على المبادرة التي أرساها سمو امير البلاد المفدى ، والتي وضعت نصب أعينها توزيع مصادر الدخل في البلاد ..

وبعد السيطرة على الثروة النفطية في البلاد التي يبلغ انتاجها الحالي حوالي نصف مليون برميل يوميا ، بدأت نهضة صناعية كبرى لاقامة الصناعات القادرة على الانطلاق والنمو والمنافسة في الاسواق ..

وفي ميزانية هذا العام بلغت مخصصات تمويل المشروعات الصناعية ١٩٩٩ مليون ريال مقابل ٢٠٦١ مليون ريال للسنة السابقة ، أي بزيادة بلغت نسبتها حوالي ٦٠ في المائة ، وذلك بالاضافة الى ما خصص لاستكمال المشروعات الصناعية او الانشاءات اللازمة ..

وجه الصناعة

وهكذا نرى أن عصر البترول الذي فرض نفسه على الحياة في الوقت الحاضر ، اندفع بكل طاقته ليجعل من الانتاج الصناعي هدفا جديدا للبلاد ..

وفي صناعة الحديد والصلب بلغت الزيادة في الانتاج هذا العام ـ عن الخطة الموضوعة ـ حوالي أربعين الف طن من القضبان الحديدية ، ووصل انتاجه في النصف الاول من عام ١٩٧٩ إلى ١٨٠ الف و ٢٠٣ طن ، وارتفع في النصف الثاني لنفس العام ليصل إلى ١٩٦ الفا و ٥٧٣ طنا ، وبذلك وصل إجمالي انتاج المصنع في العام الأخير حوالي ٣٧٧ الف طن من القضبان ..

ومصنع انتاج الاسمدة الكيماوية وصل انتاجه في عام ١٩٧٩ إلى ٣٩٠ الف طن من الامونيا و ٤٧٦ الف طن من سماد اليوريا ، بزيادة في الانتاج ـ عن الخطة الموضوعة ـ حوالي ٤٠ الف طن امونيا و ٦٠ الف طن من سماد اليوريا ..

ويتم الآن بناء مصفاة جديدة للبترول تصل طاقتها الانتاجية الى خمسين الف برميل يوميا ، وستضم هذه المصفاة وحدة لانتاج الاسفلت لمواجهة المشروعات الانتاجية والعمرانية في البلاد .. اما المصفاة الاولى فقد أجريت عليها عدة تحسينات ..

وقد الحق بمصنع الاسمنت ـ الذي يبلغ انتاجه ٣٣٠ الف طن سنويا ـ مصنع لانتاج الجير الحي وبعد اضافة الفرن الرابع للمصنع ستزداد طاقته الانتاجية بمقدار ٣٠٠ الف طن سنويا ..

وقد بدأت الدولة في تنفيذ مشروع كبير لتسييل الغاز المصاحب للبترول المستخرج من البر والبحر ، ستصل تكاليفه إلى ١٧٠٠ مليون ريال قطري ، ويضم المشروع وحدتين خصصت احداهما لتسييل الغاز البري والاخرى للبحري ، ويبدأ انتاج الوحدة الأولى في عام ١٩٨٠ .. اما بالنسبة للغاز غير المصاحب ، فقد اعدت الدولة الدراسات الاقتصادية لاستغلال هذا الانتاج الهائل من الغاز لتسييله والاستفادة من الغازات المستخرجة في التنمية الاقتصادية للدولة ، وقد قدرت التكاليف المبدئية لهذا المشروع بحوالي ٣٥٠٠ مليون دولار ..

ويتم بالتعاون مع فرنسا إقامة مصنعين للبتروكيماويات احدهما في فرنسا والآخر في قطر ، وافتتح المصنع الأول في مدينة دنكرك الفرنسية في العام الماضي لينتج ٢٢٥ الف طن ايثلين و ١٤٠ الف طن بولي ايثلين سنويا ، اما المصنع المقام على ارض قطر فسيبدأ انتاجه بطاقة انتاجية تصل إلى ٤٧٠ الف طن سنويا ، وذلك في عام ١٩٨٠ ..



وهذا غير الصناعات الأخرى القائمة والصناعات المستقبلية التي يعكف المتخصصون في المركز الفني للتنمية الصناعية على دراستها ومدى ملاءمتها للموارد والاحتياجات .

خدمات للازدهار

وتهتم دولة قطر بالتنمية التجارية وتعمل على ازدهارها بإقامة كل ما تحتاجه من مرافق اقتصادية وشبكات ضخمة من الطرق البرية ، وهذا بخلاف التسهيلات اللازمة في الموانيء البحرية والجوية ، علاوة على إنشاء وتطوير شبكات الاتصال السلكية واللاسلكية التي تم فيها إضافة ١٧ ألف خط هاتفي جديد خلال ثلاث سنوات ، وتم تشغيل بدالة التلكس الأوتوماتيكية ، وعن طريق المحطة الأرضية للاتصالات الفضائية يتم نقل المخابرات الهاتفية والبرقية مباشرة مع جميع البلدان . وتجرى الدراسات حالياً لإنشاء المحطة الأرضية الجديدة للاتصالات الفضائية مع المحيط الأطلسي ، لتفتح الاتصال المباشر مع كندا والولايات المتحدة الأمريكية ودول أمريكا اللاتينية .

وفي مجال توليد الكهرباء يتم تركيب وتشغيل وحدات التوربين الغازية الجديدة في مناطق متفرقة من البلاد لتوليد الكهرباء وتحلية المياه .

وكذلك فقد امتدت شبكات المياه والأنابيب إلى ١٢٠ منطقة في الدوحة ، وتم بناء العديد من خزانات المياه الأرضية ، وهذا غير الانتهاء من شبكة المياه في مدينة أم سعيد وتمديد خط مياه محطة تقطير أبو فنطاس إلى خزانات وخطوط دفع المياه في مناطق جديدة ، وقد أنشئت وحدات تقطير المياه في رأس أبو عبود ورأس أبو فنطاس ، وفي مدينة أم سعيد والدوحة يتم إنشاء خزانات أرضية وأبراج للمياه .

مزارع خاصة

واهتمت الدولة بالزراعة ، ووفرت المستلزمات اللازمة لإقامة المزارع الخاصة بالتجارب المستخدمة لدراسة وتحسين الإنتاج الزراعي ، والغذاء ، مسح شامل لمعرفة إمكانية الاستفادة من الأرض الزراعية والمياه الجوفية ومصادر المياه الأخرى للري والتشجير ، وقد تم حفر أكثر من ٤٥٠٠ بئر في مناطق متعددة من البلاد ، وإجراء مسح مائي في أكثر من ٤٦٦ مزرعة ... وتوصلت الدراسات إلى أن مساحة الأراضي الصالحة للزراعة في قطر تبلغ ٢٨ ألف هكتار بينما المساحة المزروعة منها ٩ آلاف هكتار .

وقد أنشئت ثلاثة مراكز للإرشاد والخدمات الزراعية كما تم زراعة أشجار الغابات في مختلف مناطق البلاد .

وهذا بالإضافة إلى الاهتمام بالثروة الحيوانية ، ففي مزرعة أم سعيد الشيح فيها ١٣ ألف رأس تم تغطي سنوياً خمسة آلاف رأس تعد للذبح ، وأنشئت مزرعة الأبقار الحلوب في منطقة أم قرن .















تقدم في مرحلتها الأولى ٣٥٠ بقرة وتعطي أكثر من ألف طن من الحليب سنويا ، ويلحق بها مصنع للألبان .

ووصل الإنتاج من البيض والدجاج إلى مليون دجاجة وعشرة ملايين بيضة سنويا .

وتجرى الدراسات الضرورية لتطوير استخدام الثروة السمكية من أجل التصدير ، وانتهت دراسات المشروع الإقليمي لمسح وتنمية الثروة السمكية في عام ١٩٧٩ .

صحة المواطن ومستوى المعيشة

وتعتبر صحة المواطن من الركائز الأساسية في المجتمع ، ولذا توفر الخدمات الطبية بالمجان للجميع ، وفي مدينة الدوحة وحدها ١٧ مستشفى ، وأحدث مستشفى بها الآن هو مستشفى حمد العام الذي يتألف من خمسة طوابق ويضم عددا من الأجنحة ، وبه أحدث وسائل التقدم التكنولوجي في عالم الطب .

وتنتشر المستوصفات والمراكز الطبية في جميع أنحاء البلاد ، وهناك مركز للتدريب الصحي في الدوحة .

وينطلق قسم الصيدلة ليؤدي مزاولة مهنة الصيدلة .

وقد أصدر أمير البلاد المفدى في الذكرى الخامسة للاستقلال قرارا أميريا برفع مرتبات جميع العاملين المدنيين والعسكريين ، كما أصدر قرارا آخر برفع المعاش المستحق للأرامل والمطلقات والأيتام وحالات العجز الكلي والشيخوخة ، ورفع الإعانة التي تمنح لطلبة المدارس من القطريين المحتاجين .

وكما نعرف فإن الدولة تعطي اهتماما كبيرا لتوفير السكن الصحي لذوي الدخل المحدود بمبدأ المسكن وتوزيع الأراضي .

الإعلام القطري

واهتمت الدولة بتطوير الأجهزة الإعلامية ، حرصا على الدور الكبير الذي يضطلع به الإعلام في البناء الفكري والاجتماعي المنشود .

وقد زودت أجهزة الإعلام القطري بأحدث المعدات والأجهزة ، وأحدث وسائل الاتصال .

وفي مجال الإذاعة المسموعة ، فقد زيدت ساعات البث ، وتنوعت البرامج الإذاعية الثقافية والدينية والترفيهية ، وأصبحت الإذاعة تبث من خلال محطاتها المختلفة أكثر من ١٩ ساعة يوميا باللغة العربية وكذلك باللغة الإنجليزية ، كما تم مع بداية هذا العام افتتاح محطات جديدة مثل محطة الإذاعة الشعبية والإذاعة باللغة الأردية .

أما التلفزيون القطري الذي افتتح في عام ١٩٧٤ ، فهو يتابع أداء رسالته للمواطنين بصورة مشرفة ، وقد وصل متوسط ساعات الإرسال اليومي في محطة التلفزيون إلى تسع ساعات ونصف يوميا ، وأصبحت البرامج المحلية تمثل ٤١٪ من مجموع ساعات الإرسال . وقد افتتحت محطة لتقوية الإرسال بالشمالية ... وهناك عدة مشروعات جديدة لتطوير الخدمات التلفزيونية .

ولتزويد الإذاعة والتلفزيون بالكفاءات والعناصر المدربة ، أنشئ في مدينة الدوحة أول مركز لتدريب الإذاعيين والتلفزيونيين في منطقة الخليج .

وفي مجال الإعلام المقروء ، تم في أكتوبر ١٩٧٩ إصدار القانون الجديد للمطبوعات والنشر الذي يعتبر بسماحة يحمي مصلحة المواطن من كل ما من شأنه الإضرار بمصلحته ، بالإضافة إلى إصدار العديد من الكتب والنشرات وإعداد الدراسات والأبحاث وتوفير الصور والمعلومات وتوطيد العلاقات مع الصحف في الداخل والخارج للتعريف بدولة قطر على كافة المستويات المحلية والعربية والعالمية .

أما الصحافة القطرية فهي تحظى برعاية بالغة ، بعد أن أصبح هناك العديد من المؤسسات الصحفية المحلية التي تصدر الصحف والمجلات .

وإدارة الثقافة والفنون التي تطور الحركة الثقافية والفنية في دولة قطر تشجع المواهب القطرية والحركة المسرحية ، وتستضيف العديد من رجالات الفكر والأدب خلال موسمها الثقافي ، وتقيم المهرجانات الشعبية المحلية ، وطبع كتب التراث ، وتقيم الاحتفال بمناسبة العام الدولي للطفل ، وتهتم بتسجيل التراث متمثلا في الفرقة القطرية للفنون الشعبية والصناعات والحرف الشعبية ومن أحدث مشروعاتها المعرض للموهوبين ، والرسامين الموهوبين في الفنون التشكيلية .

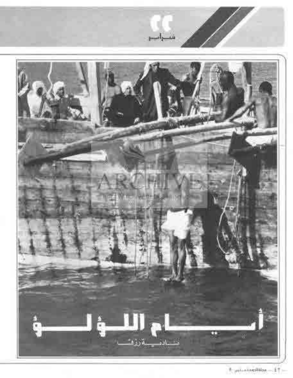
التراث الحضاري

وفي حقل السياحة والآثار ، تتولى إدارة السياحة والآثار بدولة قطر مهمة الارتقاء بالمستوى السياحي والأثري في البلاد .

وقد بدأت إدارة السياحة والآثار في تنفيذ مشروع النادي السياحي البحري ومشروع إقامة مظلات خشبية على الشواطئ ، ومشروع ترميم الأبنية الأثرية والتاريخية .

وأصبح متحف قطر الوطني هو الصورة الصادقة لماضي قطر العريق وحاضرها .

وبعد كل هذا العرض الموجز للنهضة الشاملة في البلاد ، ألسنا محقين في أن هذه الأرض رأت ميلاد حياة جديدة في يوم ٢٢ فبراير الخالد ؟



أيام اللؤلؤ

نادية رزق

إذا أردنا كتابة تاريخ الانسان القطري خاصة، والخليجي عامة، فلابد من العودة الى البحر فالبحر هنا له تاريخ طويل لأنه يسجل عناء الانسان وتضحيته وطموحه وشموخه عبر رحلة الزمن.

وقبل ظهور البترول كان البحر هو كل شيء في حياة الناس.. فهو مصدر فرحتهم حينما يعود الرجال سالمين محملين بالخيرات.. وهو ايضا سبب حزنهم في كثير من الاحوال، حينما تغضب امواجه وتأخذ في طريقها السفن فتحطمها وتنهي حياة الغواصين الباحثين عن اللؤلؤ في عصره الذهبي.

سفن الغوص

ولو عدنا الى الوراء.. وعشنا بقلوبنا وعقولنا مع تلك الرحلات الطويلة والشاقة، لوجدناها مليئة بقصص وحكايات ذلك الغواص الذي ودع أهله وهو لا يدري أي مجهول تخبئه له الأمواج!

ولا يتصور اليوم أي أحد، مدى المتاعب والمشاق التي تحملها الرجال للحصول على حبات اللؤلؤ التي تزين بها المرأة أصبعها أو أذنيها أو تعلقها على صدرها في قلادة جميلة؟

فهذه المشاق تبدأ بالطبع منذ صناعة السفن الخاصة التي تعتمد عليها مهنة الغوص.. فهذه السفن تكون مصممة بطريقة تختلف عن سفن صيد الأسماك، فهي مقسمة من فوق، وبها عدة أماكن من الداخل تسمى «خن» تصلح لحفظ الطعام وبراميل الماء، والحبال الكثيرة وأدوات الغوص وكل ما يحتاجونه من مواد..

وفي السفن الكبيرة كنت ترى أكثر من شراع وعدد من المجاديف التي يختلف حجمها ومهمتها في مساعدة السفينة على السير باستقامة دون الميل لإحدى الناحيتين.

وكثيرا ما كان البحارة يستخدمون المجاديف لدفع السفينة عند اختفاء الهواء.

كما كان بكل سفينة عدد من الأغطية التي يرفعونها على أعمدة لتحمي البحارة من لفحة الشمس الحارقة!

ويقول محمد طالب الدويك ـ أحد المهتمين بتجميع التراث الشعبي القطري: إن أصحاب تلك السفن كانوا يسمونها بأسماء خاصة مثل البلتيا، والقلة، وجالبوت، وفتح الخير وغير ذلك.. كما كان التجار يوكلون صناعتها الى أشخاص يسمون «القلاليف» وكان الخشب في ذلك الوقت متوفراً في البلاد.

وكانت مهنة صناعة السفن والمراكب مشهورة لكثير من أبناء البلد، كما كان يتوارثها الأبناء عن الآباء والأجداد.

وكانت سفن الغوص إما كبيرة تتسع لعدد كبير [illegible] أو صغيرة تحمل ما بين عشرة الى خمسة عشر فرداً بالمعدات والزاد [illegible]

ذكريات الماضي

وعندما التقيت بأحد الغواصين القدامى الذين عاصروا زمن الغوص وعصر اللؤلؤ ـ واسمه سعيد الجديد ـ قص علي بسعادة غامرة وشوقه الى تلك الأيام البعيدة، التي لم تكن فيها النقود كثيرة، ورغم ذلك كان الجميع سعداء

البحارة يستخرجون اللؤلؤ بعد جمعه

يرافقهم ويلتفون حول بعضهم البعض..

وقال إن الاستعداد لرحلة الغوص كان يبدأ قبل الإقلاع بأشهر عديدة، وبالتحديد في نهاية فصل الشتاء.. وتستغرق خمسة شهور في السنة وكان المسئول الأول عن تلك الاستعدادات «النواخذة» أو رئيس الغوص الذي يعتبر المرجع الأول والأخير بين البحارة عند حدوث أية خلافات.. وهو في العادة ذو رأي سديد، وكلمة مسموعة، حتى يستطيع أن يحظى بطاعة الجميع، وحتى يتمكن من السير بالسفينة بدون مشاكل!

ومثل هذا النوع من الرجال يكون ملماً بأصول الغوص، وأماكن تجمع اللؤلؤ، ومتقناً لكل شئون العمل البحري.

كان «النواخذة» يجتمع ببحارته عند البداية ويعطيهم «التسقام» أي النقود والأرز والتمر، كجزء من حساب الرحلة، ثم يبدأ الجميع في إعداد السفن وإصلاحها، وبعد الانتهاء من هذه المهمة يعطيهم سلفة أخرى تحت الحساب..

وقد جرى العرف على أن يكون لرئيس الغوص نائب يسمى «المجدام» يحل مكانه عندما يكون مشغولا أو مريضا، وبالطبع لابد أن تتوافر فيه نفس شروط رئيس الغواصين..

أما ربان السفينة فهو مسئول عن تسييرها في الطرق البحرية الصحيحة حتى لاتتوه أو تصطدم بشيء.

وكان جامع اللؤلؤ أو «الغيص» مسئولا عن النزول الى الماء واستخراج المحار الذي بداخله حبات اللؤلؤ، بينما يتابعه من فوق السفينة بحار يدعى «السيب»، مسئول عن حياة الغواص طوال تواجده تحت الماء، ومطلوب منه أن يكون يقظا وحذرا ولماحا، بفهم الإشارات التي يرسلها له الغواص من تحت الماء، ولو غفل ـ فقط لعدة ثوان فإن حياة الغواص قد تضيع!



أسماء اللؤلؤ

وهذا البحار الذي هو أيضا الذي يساعد الغواص أثناء خروجه من الماء!

ومن رجال السفينة كان هناك عدة أشخاص آخرين مثل «الرضيف» الذي يقضي حاجات البحارة وطلباتهم، فضلا عن المغني الذي تصحبه بعض المراكب لبث الحماس في نفوس الناس البحر، ولتسليتهم في أوقات الفراغ بعد عناء يوم مشحون بالعمل.

أدوات الرحلة

كان الاستعداد للإبحار يشتمل على تجهيز الأدوات التي يستخدمها البحارة أثناء رحلتهم، مثل البدلة التي يرتديها «الغيص» وهي ثياب بلون معين وتغطي الجسم كله حتى القدمين لحمايته من أذى الأسماك والأعشاب البحرية!

وكان الغواص يضع على أنفه المشبك أو ما يسمى «بالفطام» وهو مصنوع من مادة جامدة.. وكان يضع يديه في قطعة من الجلد، ليحميها من الجروح التي تصيبه من جراء التلامس بالأعشاب البحرية الحادة، وهذا بخلاف حجر كبير من الرصاص وزن حوالي ستة كيلو جرامات، ليساعد على دفع الغواص بسرعة لأسفل!

وطوال فترة بقاء الغواص تحت الماء يمسك بيده حبلا ويعطي به إشارات للشخص الذي يمسك بطرفه الآخر فوق السفينة.. وهذا الحبل كان دائما مربوطا بوعاء له فتحات كالشبك يتدلى من رقبة الغواص، ليضع فيه المحار بعد جمعه!



رحلة إلى المجهول

وفي بداية فصل الربيع، كان الجميع يستعدون للرحيل، وبعد تزويد المركب بكل ما تحتاجها وأدوات الطهي وقناطيس المياه وأدوات التسلية مثل الطبول والدفوف والشاي والقهوة.

وكان زاد السفينة يكفي حاجتهم لفترة شهرين!

وعندما يتم تجهيز كل ذلك يدفعون مراكبهم إلى الماء، ويفردون الأشرعة، ويتجمع أهل البحارة على الشاطئ، من نساء وشيوخ وأطفال لتوديع الرجال.

[illegible]

ويتحول العشاق السمر في البحر تظللهم الشمس، وتلفح وجوههم نسمات الهواء الثقيل، فهم على موعد مع تلك الفحمة التي سيكونونها بأيديهم وحناجرهم وأنفاسهم، والتي قد يقدمون فيها للبحر حياتهم الغالية..

وتتقاذف الريح والأمواج تلك المراكب، بينما الجميع يرددون الأغاني التي تزيد من حماسهم وتقوي عزائمهم، وأيضا تذكرهم بالأهل، الواقفين على الشاطئ في انتظار عودة الأحباء!

وكثيرا ما كانت النساء يغنين للبحر بعض المقاطع التي تدعوه إلى سرعة إرجاع الرجال.

وفي بعض تلك المقاطع كن يخاطبن البحر قائلات:

توب توب يابحر
يا بحرنا البحري
عاف معدوك ابن بحري
يابحرنا يا ندى
عاف معدوك السند
يابحرنا يا المعجون
خل الغواويص يجون
عيني.. عيني يجون

البحث عن اللؤلؤ

وكانت المراكب تتجه فورا بأمر رئيس الغوص إلى أماكن تجمع اللؤلؤ، وهي



معروفة بالخبرة ، يصلون إليها بدون خرائط. ويبدأون في القيام ببعض الاختبارات مثل قياس عمق المكان .

وهناك بعض الأماكن كانوا يستطيعون النزول إليها ببساطة والوقوف فيها على قدميه بدون حاجة للغوص فهي بالقرب من الشاطىء !

وقبل أن يهبط الغواص إلى العمق كان يردد :

عدينا وبالله التقينا
يالواليها ويخاصينا
بر وبحر

وفي قاع البحر يبدأ فورا في البحث عن محار اللؤلؤ ، بعد أن يفك الحجر المربوط بقدمه حتى يتمكن من التنقل في حرية !

وينقب « الغواص » عن المحار بأداة صلبة يمسكها بيده وتسهل عليه استخراج المحار من بين الأعشاب ، وهذه الأداة يسمونها « الإجدا » !

وعندما يعثر الغواص على صفقة بين أعماق البحر ، كانت تغمره نشوة غامرة .. ويظل على تلك الحال حتى يشعر بحاجته إلى التنفس ، فيجذب الحبل ، ليصعد إلى أعلى ، ويفرغ ما في جعبته من محار ، ويستريح قليلا ، ثم يعود مرة أخرى إلى رحلته مع الحظ !

الغواص الصغير

وقد عرفت من بعض الغواصين القدامى أن أمهر غواص كان لا يمكث تحت الماء لأكثر من ثلاث دقائق ، وأن أعمق مكان يستطيع الغواص النزول إليه لا يزيد عمقه على خمسة عشر باعا ، والباع لا يزيد على خمسين مترا !

وكان مما قاله الغواص القديم سعيد البيسر ، إنه جمع في إحدى الرحلات ١٧ محارة في غبة واحدة — أي في غطسة واحدة — وإنه بدأ يغوص وعمره اثنى عشر عاما ، فقد كان مسئولا عن إعالة أسرته ، واستطاع من رزق الغوص أن يشتري مركبا تحمله سماها « جميلة » ، وبعدها اشترى مركبا أخرى سماها « رابحة » وعلى كل مركب من مراكبه كان يحمل سبعون بحارا كلهم من بين أبناء قطر .

اللؤلؤ الجيد

في أثناء غطس البحار ينتظره على المركب زملاؤه لاستخراج اللؤلؤ أولا بأول ، ويمسك البحار المحارة بيده اليسرى وفي يده اليمنى أداة حادة منحنية الطرف ليفتح المحارة . واللؤلؤ ... بين الحجرة والبطن ... اللؤلؤ بين اللحم الموجود ... ويحتفظ بها ... تلك ... الصغيرة ... ويجب أن يفتش البحار عن اللؤلؤ ... في نهاية كل يوم ... المركب يشتد اللؤلؤ لمرته ويسلمه إلى « الطواش » تاجر اللؤلؤ .

[illegible] من الغواصين القدامى

وكان « الواحدة » يستطيع معرفة اللؤلؤ الجيد من الرديء بمجرد اللمس ، فمن أسماء اللؤلؤ الممتاز الجوين والبكة والجروة والبدلة ... واللؤلؤ الجيد يعرف بلمعان لونه وبدورانه ، ويخيل لمن يراه أن بداخله لونا آخر مثل الأحمر أو السماوي أو الكحلي ، وكلما ازداد اللؤلؤ في القدم كلما ارتفع ثمنه وازدادت قيمته ..

مخاطر البحر

وعندما يتحدث الراوي ببساطة عن أيام الغوص ، لابد أن يتذكر المخاطر والأهوال التي كان يتعرض لها البحارة أثناء رحلتهم ، ففي أعماق البحار تكمن الأسماك المتوحشة والسامة مثل « اللخمة » التي التهمت مرة سمعة الغواص في يوم واحد وسمكة الدجاجة المعروفة بسمها القاتل ، وذلك فضلا عن أسماك القرش ، وسمكة « لخمة » الشائع وجودها في قاع الخلجان الرملية ولها شوكة سامة ، وسمكة الرماي ذات الشوك الكثير .

وكان البحارة يأخذون معهم أعشابا برية لمداواة الجروح ، وكان كثيرا ما فقد الكثيرون منهم عينه أو قدمه أو يده ، وأحيانا حياته بسبب هذه الأسماك !

فرحة العودة

إلا أن هذه الأخطار لا يبددها إلا عودة السفن بالخير الوفير من حاصل بيع اللؤلؤ ... وبعودة السفن إلى الشاطىء تعود الحياة الاجتماعية إلى طبيعتها ، ومعها « الحجال » ، وهي حفلات الرقص ، وحفلات الزفاف ، والأعراس ... وتدب الحياة بصورة زاهية في القرية .. فقد عاد الرجال إلى بيوتهم سالمين .. إلا أن حياة الاستقرار لا تستمر طويلا فسرعان ما يبدأ الاستعداد لجولة أخرى في البحر بحثا عن اللؤلؤ !



العودة إلى البحر عودة إلى تاريخ طويل يسجل عناء الإنسان وبطولاته







تجار اللؤلؤ

وبهذه المناسبة فإن التجار الذين كانوا يشترون اللؤلؤ من النواخذة يذهبون لمراكب الغوص في عرض البحر ويرزون اللؤلؤ ويشترونه أولا بأول .. وكان هؤلاء التجار يأتون من فرنسا أو الهند ..

أما حصيلة بيع اللؤلؤ من إحدى السفن الكبيرة فكانت لا تقل عن مائة ألف روبية يأخذ رئيس الغواصين خمسها ويعطى نصف هذا الخمس للغواص .. والباقي يوزع على باقي طاقم المركب بعد خصم ما أخذوه مقدما قبل الخروج إلى الرحلة ..

مراكز الصيد

وقد روى لي حسن عوض خلوف ، وكان يغوص بحثا عن اللؤلؤ لأكثر من ثلاثين عاما كيف أن مدينة الزبارة كانت لفترة قصيرة في أواخر القرن الثامن عشر ، مركزا لتجارة اللؤلؤ في الخليج ..

وفي القرن التاسع عشر برزت الدوحة نفسها باعتبارها مركزا من مراكز صيد اللؤلؤ ، ثم أصبحت بعد ذلك عاصمة للبلاد القطرية التي توحدت ..

وكانت مستوطنات اللؤلؤ تعكس كل ملامح الخليج ، كالحصون والدكاكين والمخازن ومصانع السفن التي تمخر عباب البحر .. أما أهم مراكز صيد اللؤلؤ فكانت في الدوحة والوكرة وسميسمة وفقين وتخيرة وأبو ظلوف وفويرط وخورحسان والرويس ..

وفي الثلاثينات من هذا القرن ، لم تتمكن حرفة صيد اللؤلؤ من الصمود للضربة التي تلقتها حين تمكن اليابانيون قبيل اكتشاف النفط بقليل من

إتقان طريقة لإنتاج اللؤلؤ الصناعي، وقد ادى ذلك عمليا الى القضاء على المصدر الوحيد من مصادر الثروة الحقيقية التي كانت متيسرة للقطريين، فتدهورت حرفة صيد اللؤلؤ حتى هجرها الناس، ثم اتفقت القرى والمدن بصيد الاسماك؟

ومن هنا فإن اكتشاف النفط كمصدر بديل للرخاء كان من نعم الله على البلاد وكان من نتائج هذا الرخاء الجديد أن صيد السمك لم يعد حرفة تجتذب الاهتمام!

تراث البحر

ومواكبة لروح العصر، ارتأت حكمة القيادة السياسية الرشيدة لدولة قطر في

شخص سمو امير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني، ضرورة انشاء متحف قطر الوطني ليقوم بحفظ وتسجيل تراث وصور وقيم الماضي الأصيل.

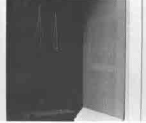
واصبح متحف قطر الوطني يضم اليوم بين اقسامه نماذج توضح حياة البحر، وتصور ايام الغوص الذهبية، وكل ما يتعلق باستخراج اللؤلؤ في الزمن الماضي من ادوات وموازين ودفاتر حساب. واستعان المتحف ببعض البحارة والغواصين الذين عاشوا تلك الفترة للاستعانة بخبراتهم في الحفاظ على هذا التراث الهام وتسجيله صوتا وصورة قبل أن يصبح شيئا تعد ذكرى يقصها الاجداد للصغار.

وهكذا نرى ان المتحف القطري استطاع ان يحافظ على تاريخ الانسان في هذا المكان، وان يحمل ذكرى حياة الغواصين الباحثين عن اللؤلؤ في عصره الذهبي، من الذكريات الغالية التي مازالت تعيش في القلوب والعقول.

نادية رزق

حكايات أولئك الغواصين الذين ودعوا عائلاتهم إلى المجهول بين الأمواج





ميزان اللؤلؤ

فنون الأزياء الشعبية

ماشد درويش

اشتهرت دولة قطر منذ زمن بعيد بصناعة الملابس والمنسوجات ، وقد وصلت شهرتها الآفاق حتى انه جاء في « معجم البلدان » وقد عرفت قطر قديما بأنواع الثياب والمنسوجات القطرية الى ما بعد ظهور الاسلام حيث ارتداها الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وسلم) وكذلك زوجته السيدة عائشة « رضي الله عنها » كما كان لعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ازار قطري مرقوع برقعة من الجلد.

وعملية التطريز بالزري او « التخمير » كما يطلق عليها في منطقة الخليج ، هي اهم ما يميز الملابس الشعبية القطرية بل والخليجية.

والزري هو « القصب » ويكون على شكل خيوط رفيعة ذهبية او فضية كل مائة متر منها تسمى تولة وكل ٢٢ تولة تسمى لولة .. والخلاف او الزري القطري فنان موهوب برع في تطريز الزري على الملابس الشعبية القطرية التي يمكن تقسيمها الى قسمين رئيسيين احدهما خاص بملابس الرجال والآخر بملابس النساء.

والملابس الشعبية للمرأة القطرية يمكن تناولها في مراحلها المختلفة منذ الميلاد ثم الطفولة فالبلوغ وما بعد البلوغ .. « فالقحفية » هي عبارة عن البسة خفيفة تلبسها المولودة عند ميلادها ، وتكون ملونة بالألوان الزاهية ومطرزة بأشكال جميلة.

وتنتقل في سن الثانية الى مرحلة الطفولة فتلبس الثوب الطويل الذي يكون مطرزا عند الصدر والأكمام . وتظل تلبس هذا الثوب الى سن السابعة حيث يضاف « البخنق » الى الثوب القطري . والبخنق ، من اكثر الملابس شهرة عند البنات .. بحيث تلبسه الفتاة القطرية في هذه المرحلة ليغطي رأسها ولا يبرز منه الا استدارة الوجه الصغير الجميل ، ويغطي الصدر مطرزا بخيوط الزري اللامعة وخاصة في المنطقة التي تغطي شعر الفتاة.

ثم تلبس المرأة بعد البلوغ ... ومن ذلك للوقاية من ... الحرير الاسود يغطى به الشعر ويخرج عند الخروج .. وفي مرحلة ما بعد البلوغ فان المرأة القطرية تلبس ثيابا اكثر احتشاما فتلبس « الدراعة » وهو ثوب طويل يتعدى القميص القديم ليجر وراءها كما تلبس البطولة ، وهي عبارة عن برقع اسود يغطي جميع الوجه ما عدا العينين ويطرز بالزري من الامام وعند الاطراف باشكال زخرفية بديعة لها صلة وثيقة بالزخارف الاسلامية التي سادت جميع الفنون في هذه المنطقة ..



ويلاحظ ان الملابس الشعبية القطرية الخاصة بالنساء اتجاهات في جميع مراحلها متسمة بالحشمة ونابعة من التعاليم الاسلامية الحنيفة.

ازياء الرجال

اما عن ملابس الرجال فتتميز بالبساطة حيث يلبس الرجل منذ الصغر الثوب القطري (الدشداشة) ويكون طويلا حتى القدمين فضفاضا لتسهل الحركة ، ولونه ابيض ويلبس تحت الثوب سروالا ابيض ايضا ثم يلبس على رأسه الغطرة ، ذات اللون الابيض والعقال ذا اللون الاسود ، ويضع تحت الغطرة والعقال طاقية بيضاء تسمى القحفية ، تساعد في تثبيتهما على رأسه ويلبس في رجليه « النعال » وهو عبارة عن حذاء بسيط يكون على شكل الشبشب يلبس ويخلع بسهولة ، وملابس الرجال لا يدخلها التطريز كثيرا وانما يكاد ينحصر في « النعال » وربما يرجع ذلك الى التقاليد الاسلامية التي تعتبر التزين خاصا بالنساء وليس بالرجال.

ومن الملاحظ ان اللون الابيض يغلب على لبس الرجل وهذا اللون يعكس ضوء الشمس الحار في فصل الصيف الطويل في هذه المنطقة ولذلك فان لون الثوب في فصل الشتاء يتغير الى اللون الداكن والقماش الثقيل ، واللون الابيض كذلك اكثر الالوان المحببة في الاسلام . كما ان ملابس الرجال والنساء واسعة فضفاضة وهذا ايضا يتناسب مع جو البلاد الحار كما انها تسهل الحركة بالنسبة للرجال.

العباءة لباس عربي إسلامي أصيل وكانت أكثر انتشاراً في الماضي

العباءة والبشت

العباءة والبشت من الملابس الرسمية للرجل والمرأة .. والعباءة خاصة بالمرأة والبشت خاص بالرجل والعباءة تصنع غالبا من قماش الحرير أسود اللون .. بينما يصنع البشت غالبا من قماش وبر الجمال ويكون متعدد الألوان كالأسود والبني والأبيض والبيج والعباءة ترتديها المرأة دائما أما البشت فيلبس عادة في الزيارات الرسمية والمناسبات الهامة .. ولذلك نجد المطرزون في صناعتها ويدفعون ثمنا لها مبالغ كبيرة قد تصل الى عشرة آلاف ريال .. وأهم ما يميز صناعتها هو الزري الذي يطرز على أطرافها بطريقة يدوية بسيطة تظهر التراث القطري في صناعتها وإتقانها .

وعملية التطريز هذه تتم على مراحل متعددة يقوم بها ستة عمال فنيين متخصصين ... يصف وصف عملها ولكننا سنحاول ابرازها بالفصول التي يتضمنها المقال . وصانع العباءة أول ما يبدأ بعمل « اللافة » ولعلها سميت اللافة لأنها مستديرة كالقلم ، ويستغرق في صنعها يوما كاملا ثم يسلمها الى صانع « الهيلة » التي تستغرق هي الأخرى يوما آخر وتكون عريضة ومبسطة ، ثم يتم تركيب « الدائر » الذي يكمله « اللافة » ويصنعه نفس الشخص الذي صنعها ثم يأتي صانع « الدريج » الذي يضيف يوما رابعا الى تطريز العباءة أو البشت . أما « البكسر » فهو الشغل ... عملية التطريز كلها ... العباءة أو البشت في ... ويستغرق ... بشكل كامل ويقوم ... الى ... البرجمة ... وتركيب ... عملية التطريز ، وهذه تستغرق يوما سادسا ، ويأتي بعد « البرجمة » العملية النهائية لتطريز البشت وهي تركيب « القيطان » وهو عبارة عن خيط ... جزء منه على طرف العباءة المقابل للصدر ويستخدم في ربط البشت أو العباءة عند الضرورة .

إن العباءة أو البشت من أكثر الملابس الشعبية أهمية وشهرة .. وهو لباس عربي إسلامي أصيل وكانت أكثر انتشارا في الماضي .. ولكن قل استعمالها هذه الأيام مثلها مثل غيرها من المواد الشعبية التي قل استعمال بعضها وانقرض البعض الآخر .

فن قديم

والمعروف أن « التخوير » اصطلاح خليجي يعني التطريز .. والتطريز فن قديم جدا عرف منذ البداية مقترنا بفن الزخرفة ، بل إن فن الزخرفة القديم يعتبر أمثلة هاما من أسس التطريز فالزخارف لها مجالات متسعة منها زخارف المعمارية وزخارف الجدران والخشب والخزف .. ثم زخارف النسيج

ولم يكن فن التطريز قديما يقوم على ... دروس ولم توضع له الكتب كغيره من الفنون .. الى أن جاء عصر النهضة ... الشعور القومي عند الأوربيين ... الى المحافظة على تراثهم القديم الاهتمام بتراث بالصناعات المنزلية التي كانت تستخدم قديما في تزيين الملابس (بالتطريز) .. وبدا البحث في هذا الفن حتى استطاع أن يجد مادته في الأديرة .. حيث يعثر في التطريز من الكنوز التي كانت موجودة بها .. وهذه الكنوز الفنية تعتبر وثائق تاريخية تثبت قدم هذا الفن .. ولعل البحث إحدى الباحثات في التطريز كان هذا من فنون الفراعنة والمقابر المصرية تعتبر مجالا كبيرا للبحث والتنقيب في هذا الميدان حيث أنها تضم هذه الكنوز الفنية .

صناعة النسيج

ولما كان التطريز هنا ملحقا بسلسلة النسيج .. ولا يمكن أن يتم بدونه فلابد من التعريف بهذه الصناعة الهامة التي تلازم الإنسان وتعتبر متممة لكيانه الحيوي كانسان يحتاج الى ما يستر عورته ويقيه شر التقلبات الجوية ،



وتكسبه المظهر الذي يتفق ومستلزمات المجتمع الذي يعيش فيه .

وكان ورق الشجر هو اول ما استخدمه الانسان الاول ثم تدرج الانسان الى استعمال الحشائش والاغصان والالياف فصنعوا منها نسيجا بسيطا في بادىء الامر من جلد الحيوان وفرائه .. بعد ذلك توصلوا الى طريقة لنسج الخيوط نسجا بسيطا في بادىء الامر ، ثم بدءوا زخرفته ليتخذ اشكالا جميلة يتفنن الانسان وهو يرتديها بالزهو والخيلاء هذا ولم يحدد التاريخ وقتا محددا لبداية النسيج .. ولكن الباحثين اثبتوا انه كان معروفا ايام الفراعنة

النسيج في العصر الاسلامي

ثم انتقلت صناعة النسيج من عصر الى عصر حتى جاء العصر الاسلامي ، فكان المسلمون في اول الامر يكرهون الترف ويميلون الى التقشف ، ولكن الامور تطورت في العصور التالية فاحتاج الامراء والخلفاء الى مكافأة رجال الدولة وشعرائها وضيوفها بالخلع والملابس الفاخرة .. فلقيت صناعة الملابس الحريرية وزخرفتها عناية وتشجيعا كبيرين . وتفوق النساجون العرب في صناعة الحرير وصنعوا نوعا من الحرير الشفاف سموه الموسلين نسبة الى مدينة الموصل .

تطور فن التطريز

إن تطريز الزخارف على النسيج عملية قد تتم بالطريقة الآلية او بالتطريز اليدوي .. وسوف نركز في دراستنا هذه بصفة اساسية على التطريز اليدوي

لم يتوقف تطور فن التطريز بانتهاء العصر الفرعوني الذي قدم قطعا من

أيد الصناع المهرة



المنسوجات المطرزة في غاية الدقة والابداع ... فن التطريز في بساطة منسوبة تختلف الى العصر المسيحي الذي تدخل فيه الفن الاغريقي والروماني والبيزنطي والقبطي ، وقد اختلفت اشكال الزخارف عن العصر الفرعوني . كما عرف في العصر القبطي التطريز الوبري الذي يستخدم في زخرفة المنسوجات السميكة كالفرش والبسط وغير ذلك ما عدا الملابس .

التطريز في العصر الاسلامي

يعتبر العصر الاسلامي من ازهى العصور واكثرها عناية بفن التطريز ، فالبرغم من ان صناعة التطريز لم تكن في بداية العصر الاسلامي متعددة الانواع واقتصرت على تطريز الكتابات العربية الاسلامية التي كان يطرز عليها اسم الخليفة والموضع ومكانه وكذلك الشاش المستخدم للعمائم والاوشحة وكان يسمى هذا « الطراز » وكانت الاماكن التي يتم فيها التطريز تسمى دور الطراز ... الا ان هذا الفن تطور واصبح هذا الشريط الكتابي عبارة عن زخارف متعددة ومختلفة من العصر الفاطمي والايوبي والمملوكي (القرن الثاني عشر الى القرن الخامس عشر الميلادي) وكذلك ظهر

التطريز بالمعادن في العصرين الفاطمي والمملوكي ، واستمر التطريز بالخيوط المعدنية حتى العصر العثماني ، ولم يقتصر ذلك على تلك الخيوط ، بل تعداها الى التطريز باللؤلؤ والاحجار الكريمة واستخدم الترتر والخرز على اختلاف انواعه والوانه واحجامه .

هذا وقد تميزت الزخارف الاسلامية التي كانت تطرز على النسيج بالاشكال الهندسية والنباتية والحيوانية والطيور والرسوم الآدمية ، ولكن بصفة خاصة منها الزخارف النباتية الاسلامية .

التطريز بالزري (القصب)

ولقد كان التطريز بالخيوط الذهبية والفضة شائعا منذ عصر النهضة وما تلاها وكان اكثر استعماله في الكنائس والمعابد لتزيين ملابس الكهنة والقساوسة .

ويدين الاوروبيون لبلاد المشرق في اقتباس هذا الفن وخاصة اسبانيا وايطاليا وفرنسا والمانيا . وهذا الفن مازال يستخدم في عصرنا هذا لتزيين الكسوة الشريفة التي تصنع في كل عام وتكسى بها الكعبة المكرمة ، وقد تخصص في هذا النوع من التطريز عمال مدربون ، توارثوا هذه المهنة عن الاباء والاجداد .

إن هذا الفن العربي الاصيل قد زاحمته بدون شك الآلة التي جاءت نتيجة التطور ، واصبحت توفر الكثير من الوقت والجهد الذي تستغرقه عملية التطريز اليدوي على الملابس ، ولكن الآلة مهما تقدمت واستخدمت من انواع خاصة من ابر التطريز .. الا ان التطريز اليدوي بابرته البسيطة يستطيع ان يقدم لنا من فنون التطريز وابداعاته ما لا يمكن ان تصل إليه الآلة في يوم من الايام ، تماما كما لايمكن للؤلؤ الصناعي ان يصل في يوم من الايام الى جمال وروعة اللؤلؤ الطبيعي .

سائد درويش



محمد بن عامر

الصورة المميزة للإنسان العربي

من بين كافة الأقطار العربية ، امتدادا من الخليج الى المحيط ، تعتبر منطقة الخليج من أكثر الدول العربية تجانسا تراثيا وحضاريا وتطوريا .. ورغم أن تفاوت درجة هذا التجانس قد تختلف من مجموعة أقطار الى أخرى ، فان كل الدراسات الاجتماعية والأبحاث الانمائية ـ خاصة خلال فترة التطور المعاصرة ـ تشير الى أن ما يتقاسمه الانسان العربي في منطقة الخليج ، يتميز بشمولية التجانس القائمة في ما تتقاسمه شعوب هذه المنطقة من دين واحد ، ولغة واحدة ، وامتداد جغرافي متواصل ، وتقاليد وممارسات حضارية تجعل من هذه الأقطار ـ اذا هي استغلت استغلالا علميا وعمليا نموذجا ديناميكيا للتعاون والترافق والتكامل . ومما لا شك فيه أن أحد القطاعات الانمائية التي يمكن ـ بل يجب ـ أن توظف خصائص هذا التجانس لخدمتها هو قطاع الاعلام أو الاتصالات بمعناها الشامل المتكامل .

وبالمثل ، فانه بقدر ما تبرز مظاهر هذا التجانس على الجوانب الجغرافية والحضارية للانسان العربي في منطقة الخليج ، بقدر ما تقتضي حاجة هذه الشعوب لوضع خطط اعلامية اتصالية موحدة لدعم عمل التنمية بها وتصحيح الصورة المثيرة لظروف هذه الشعوب وطموحاتها ومكتسباتها . بل أكثر من ذلك الحاجة لاستغلال هذه الخطط الاعلامية لابراز مساهمة مكونات هذه الأقطار في تمويل وانجاز العديد من مشاريع التنمية في بلاد العالم الثالث .

وتعودا بهذه الحاجة لوضع برامج اتصالية اعلامية متطورة فقد بذلت دول الخليج العربية جهودا جبارة لتحديث الهياكل الارتكازية الاعلامية في كل قطر ، وتوفير القدرات البشرية التقنية والتنظيمية ، بهدف الاستجابة لتحديات العصر وضمان ما يمكن بثه من برامج اخبارية وتثقيفية وترفيهية . ورغم ذلك فان الدراسات المتوفرة تشير الى حاجة بعض أقطار الخليج الى الموارد البشرية الفنية والتقنية .. ولكن هذا في حد ذاته لا يعتبر عاملا سلبيا الآن ـ ٨٠٪ من المهارات المستوردة التي تعمل في قطاع الاتصالات ، خاصة في شبكات الاذاعة والتلفزيون وجانب من الصحافة المكتوبة هي مهارات عربية .

ولكن الثغرة الكبرى التي يتميز بها وضع الاتصالات والاعلام عموما

الصورة المشوهة للانسان العربي

في اقطار الخليج تكمن في قطاع الاتصالات الانمائية أو Development Communication ، سواء على الصعيد العمودي (اخباريا) أو على المستوى الافقي (اتصاليا – اجتماعيا) فحصة ما ينتج او ما يبرمج من مواد وفقرات اذاعية وتلفزيونية تسجل الجهود الصحيحة التي يبذلها كل قطر في مجال التنمية الشاملة (بما في ذلك استقطاب الموارد البشرية اللازمة واشراكها في بناء البلاد والحفاظ على المكتسبات) نسبة ضئيلة جدا . ويجانب هذا العجز فان نسبة ما تتبادله اقطار المنطقة من برامج اتصالية اعلامية تهتم بقطاع التنمية نسبة ضئيلة جدا هي الاخرى .

وتتسع دائرة الهوة الاتصالية الاعلامية لتتعدى اقطار منطقة الخليج الى اقطار عربية أخرى . فالحضور الاتصالي – الاعلامي السليم لاقطار الخليج العربية (باستثناء العراق) يعتبر ضعيفا جدا في أغلبية الاقطار العربية الاخرى ، خاصة الاقطار العربية الافريقية .

وتضيع معالم هذا الحضور في الاغلبية العظمى من دول العالم الثالث . وقد اثبتت الدراسات أن المواد الاعلامية التي تنتجها شبكات الاتصالات الاجنبية في الدول المتقدمة صناعيا – على الرغم من جودتها التقنية في كثير من الاحيان – تساهم الى حد كبير في ترسيخ صورة للانسان العربي وبالتالي تثبت باسلوب غير مباشر السلبيات وروح التحامل التي تشبعت بها أذهان ومشاعر شعوب هذه البلاد منذ عصر النهضة وطول الفترة الاستعمارية للاقطار العربية .

وقد تنبه المسئولون والباحثون الاعلاميون في معظم بلاد العالم الثالث – وخاصة في الوطن العربي – الى روح التحامل والتحيز التي يتميز بها الانتاج الاتصالي – الاعلامي ، في الدول المصنعة ازاء حق انسان العالم الثالث ، وبصفة خاصة الانسان العربي . وسواء كان مصدر التحامل والتحيز هو الرغبة في تشويه صورة هذا الانسان أو مجرد سذاجة في المعرفة وقصور في البحث والتحري ، فالواقع هو أن ما تنتجه معظم وسائل الاتصالات في الدول المصنعة يعتبر مشينا للشعوب في البلاد النامية ومتحاملا على مكونات هذه البلاد ومنظماتها .. وفي أغلب الاحيان تتجاهل هذه الوسائل الاتصالية تماما جهود البلاد النامية في مجال التنمية والتطور وتعتمد التركيز على اثارة المعائب التي تجعل منها كبرى الفضائح .

وزادت حدة الشعور العربي بهذا التحيز والتحامل المقصود بداية ما يسمى بأزمة الشرق الاوسط او القضية الفلسطينية منذ سنة ١٩٤٨ . وتطور هذا الشعور بشكل [illegible] أزمة الطاقة منذ سنة ١٩٧٣ [illegible] الاقتصاد الرأسمالي [illegible] المالي والتضخم الاقتصادي في السبعينات وما ترتب عنهما من ازمات في الموازنات التجارية وارتفاع نسبة البطالة .. الى آخره . كل ذلك تسببت فيه او ساهمت فيه الى حد كبير الدول المنتجة للنفط !! سخرت لهذا الغرض حتى فعاليات التجانس الحضاري العربي لتطعيم بمختلف جوانب روح التحامل والتحيز في البرامج الاتصالية الموجهة التي ينتجها عدد كبير من مؤسسات الاعلام في الدول المصنعة .

ولعلي من القول أن سلوك عدد من اليهود والاثرياء العرب في العواصم الغربية ونوع الحياة غير اللائقة اخلاقيا وحضاريا التي يمارسونها في المجتمعات الغربية تعتبر التربة الخصبة التي يزرع فوقها خصوم العرب بذور التحامل ضدهم والتشويه بهم . وتزيد التناقضات السياسية والاقتصادية وبالتالي التناقضات الاجتماعية والثقافية التي تسود عددا من المجتمعات العربية من خصوبة التربة ومن سيولة مادة التحيز والتحامل .

ورغم أن كل بلاد العالم الثالث تقريبا تعاني من « سلبية الصورة » وحدة التحامل التي تمارسها وسائل الاعلام الغربية ضدهم ، فان الدول العربية ، وبالذات الدول الخليجية العربية ، يسلط عليها الجزء الاكبر من عمليات التشويه والتدليس والامتهان ، ولعل كل عربي يعرف الاسباب الحقيقية المباشرة منها وغير المباشرة التي تجعل صورة الانسان العربي معرضة اكثر من غيرها لحملات الجشع والتضليل والشماتة .

وبالرغم من كل ذلك .. بالرغم من الشعور العربي الرسمي بخطورة القضية وأهمية الرسالة الاتصالية الاعلامية التي يحمل عاتقهم لمبادلة الحملات الاعلامية ضدهم ، فان ما يقوم به المسئولون العرب مشتركين لا يعدو أن يكون غير نقطة في محيط وما تستثمره بعض الدول العربية منفردة ، رغم ضخامة الكلفة ، يصبح أمام عمق القضية وحجم الرسالة . وحتى فعاليات الجامعة العربية في هذا الميدان تعتبر هي الاخرى غير كافية . وليس سرا أن نقول ان « الفلسفة الاعلامية » الجامعة هي انعكاس صريح لواقع المنظمة ومعاناتها من البيروقراطية والاعتبارات السياسية الظرفية التي تشل حتى أصغر المبادرات الاعلامية التي قد يتقدم بها بعض العاملين في المنظمة من المحترفين والمجربين .

لذلك كانت – في رأينا – مبادرة دول الخليج العربية لتنظيم مؤتمرات سنوية على مستوى وزراء الاعلام بغرض التعاون من أجل تنسيق

في عدد قادم ..

الاعلام بين الاوروبيين والعرب

عبد الكريم غلاب

البرامج الاعلامية ومراكز التدريب والانتاج وتنظيم أساليب التبادل الثقافي ـ الاعلامي ، مبادرة توحي بالجدية والواقعية وبالتفاؤل • ولقد تم حتى الان تنظيم ست مؤتمرات كان آخرها مؤتمر الدوحة في دولة قطر في فبراير ـ شباط ١٩٨٠ •• الذي شاركت فيه الكويت وقطر والإمارات العربية المتحدة والبحرين وعمان والمملكة العربية السعودية والعراق •

ولكن فعالية العمل الاعلامي المشترك لدول منطقة الخليج قد تبقى محدودة اذا لم تستهدف تغييرا جذريا في أسلوب واستراتيجية ومضمون العمل الاتصالي الاعلامي • فمما لا شك فيه (وقد أثبتت الدراسات التي قام برنامج الامم المتحدة الانمائي بها) أن دول الخليج تتوفر على أحدث التجهيزات التقنية الاعلامية التي قلما تجد لها نظيرا في عدد كبير من بلاد العالم الثالث وبالمقابل فان نفس أقطار الخليج تعاني من نقص ملحوظ في الاطر (الكوادر) الوطنية ذات الكفاءة ، خاصة على مستوى قطاعات التخطيط والانتاج والتوزيع • ومن ثم فان الاسبقية يجب أن تعطى للعناية بهذه القطاعات وعلى كافة المستويات •

ولعل اكبر عمل اعلامي يجب أن تعني به استراتيجية الاعلام في الخليج هو الاسهام في تصحيح الصورة المميزة للانسان العربي بالنسبة للمستهلك العربي نفسه ، وكذلك بالنسبة للمستهلك الغير عربي • وتبقى الاختيارات التراثية والثقافية المعاصرة الارضية السليمة الوحيدة التي يمكن أن تستثمر في عملية التصحيح هذه • وبدون ضمان توزيع محكم (سوق استهلاكية) قائم على دراسة دقيقة لكل منطقة من مناطق العالم ، فان اي انتاج مهما كان موفقا ومرضيا للمخطط الاعلامي المنتج لا يمكنه أن يضمن المردودية المطلوبة• وقد ينتهي في كثير من الاحيان في رفوف مكاتب السفارات والمراكز الثقافية في الخارج •

وبجانب العمل المشترك داخل مجموعة أقطار الخليج أو في نطاق منظمة الدول المصدرة للنفط ، فانه في الامكان توظيف قنوات الانتاج والتوزيع المتوفرة لدى المنظمات الدولية وامتدادها هي الاخرى ببرامج عن تجربة التنمية والتطور في منطقة الخليج • ولعل اعتبار هذا الجانب في وضع السياسة الاعلامية لدول الخليج قد يضاعف من قوة المصداقية في الرسالة الاعلامية ويؤمن لها الرواج والتداول • ولقد سلكت الدول النفطية هذا المسلك في حملاتها الاعلامية خلال السبعينات والستينات وبذلك حققت لاتجاهاتها الاعلامية نتائج سريعة في البلاد النامية والبلاد الصناعية المتقدمة على السواء •

وقد يكون من انتاج هذا الاسلوب في الانتاج المشترك بين دول الخليج ونظام الامم المتحدة أحد السبل لتجاوز العراقيل الظرفية التي تحول دون استمرار التبادل الاعلامي فيما بين الدول العربية نفسها وفيما بينها وبين بلاد أخرى من بلاد العالم الثالث •

ومن شأن هذا الاسلوب المشترك أيضا اتاحة الفرصة لدول منطقة الخليج لابراز الدور الذي تقوم به في تمويل ومساعدة برامج التنمية داخل الامم المتحدة في البلاد النامية الاخرى في افريقيا وآسيا • وسبيل آخر من سبل العمل المشترك لابراز هذا الدور هو ايفاد بعثات صحفية من الدول المسهمة لزيارة المشاريع الممولة والمساعدة والقروض الثابتة العربية في البلاد الافريقية والاسيوية • وفي امكان قسم الاعلام ببرنامج الامم المتحدة الانمائي تنظيم هذه الرحلات ضمن خطة تمويلية مشتركة تساهم فيها دول الخليج مجتمعة •

وتبقى عملية تصحيح الصورة المميزة للانسان العربي البند الاول في أي تحرك اعلامي سواء داخل العالم العربي نفسه أو في العالم الآخر ، خاصة في الدول المصنعة - ان عملية تصحيح الصورة المميزة لأي شعب ، حتى بالنسبة لأفراده ، تتطلب جهودا كبيرة ووقتا طويلا من البحث والاستكشاف الذهني للمقومات الصحيحة لحضارة الانسان وتراثه وأصالته • والمخطط الاعلامي العربي يجب أن يقوم على الاستثمار اعلاميا في أطفال وشباب اليوم •• واضعي سياسات الغد •

ومسئولية وضع الخطط الاعلامية العربية ليست وقفا على المسئولين الرسميين « و « خبراء الاعلام « أو السياسيين • ان الطاقات الرائدة ثقافيا وابداعيا في أغلب الدول العربية لا تعمل في الدوائر الحكومية والقيادات الفكرية والادبية والابداعية في العالم العربي ربما تعاني أكثر من غيرها من الصورة المشوهة التي تلتصق في ذهن العربي نفسه وفي ذهن الملايين من الاجراء في الشرق والغرب • ومهما وضعنا من خطط ورصدنا لها من أموال وجندنا لها من أموال القرض والاستهلاك فاننا أساسا يجب أن نحدد في أنفسنا بكامل الموضوعية والشجاعة الصورة المميزة التي نريد عرضها عن هذا الانسان العربي •• أو بالاحرى علينا أن نبدأ باستشعار أنفسنا من أعماقنا:

من هو هذا الانسان العربي الذي نريد تصحيح صورته ؟ وماذا نريد من تصحيح هذه الصورة ؟ وأين يجب أن تتم عملية هذا التصحيح لصورتنا المشوهة ؟

على أن مخططا اعلاميا هادفا يقوم على « استراتيجية » واضحة وبرنامج زمني مدروس ، ويتبع في تنفيذه أسلوب علمي متكامل ، يتطلب عملية تقييم مستمرة •• (وهذا انما يبنى على التجارب وردود الفعل التي تعكسها هذه التجربة) •

الإعلام العربي من الدفاع إلى الهجوم

علي هاشم

المؤتمر الخامس لوزراء الإعلام في دول الخليج العربية كان منعطفا اعلاميا ليس على الصعيد الخليجي فحسب ، بل على الصعيد العربي

دولة قطر المضيفة أعطت المؤتمر الاحساس بالمسؤولية والخروج من الروتين نسبة الى المؤتمرات السابقة ... وقد يكون الهجمة الاعلامية الشرسة التي تتعرض لها دول المنطقة ، والاخطار التي باتت تحيط بها بسبب صراع القوتين العظميين على الاستراتيجية والنفط ، الى كبير في إعطاء المؤتمر اهمية بالغة انعكست حيوية في المناقشات ، وفي عدد الحضور المشاركين وفي القرارات والتوصيات واخيرا « البيان » الذي يعتبر وثيقة تاريخية على صعيد الاعلام على الساحة الدولية ، الولايات المتحدة الأمريكية ، اوروبا الغربية واليابان .

ظواهر ايجابية

تميز المؤتمر بظواهر ايجابية عدة يمكن تلخيصها بالآتي :

١ ـ المشاركة العربية الفعلية في مؤتمر خليجي كان يعتبر إلى ما قبل مؤتمر الدوحة مؤتمرا إقليميا . هذه المشاركة كانت في دعوة عدد من مديري مكاتب الجامعة العربية في العواصم الأجنبية الكبرى ، ثم مطالبة سفراء الدول العربية في العواصم الأجنبية الكبرى ذات التأثير والنفوذ باختيار ممثلين منهم في المؤتمر ، وكان اختيارهم سفراء عرفوا بنشاطاتهم السياسية والاعلامية ، ليس على أساس إعلامي ضيق . كما تمت دعوة عدد من رؤساء الهيئات والتنظيمات ذات الصفة الدولية ، وهم من العرب ليشاركوا في المناقشات وإبداء الرأي واتخاذ القرارات والتوصيات ، المؤتمر خرج بهذا العمل ، الذي انفردت به وزارة الاعلام في دولة قطر بصفتها دولة مضيفة من دون الدول المضيفة الأخرى ، وهذا يعود بالطبع الى الوضع المتردي من حيث الصراعات الدائرة حتى الآن ، والحملة الاعلامية الظالمة التي تتعرض لها دول الخليج العربي . وقد كانت وزارة الاعلام في دولة قطر ذات اذن لاقطة لحساسية الظروف فسنّت تقليدا جديدا جعلت من المؤتمر الخليجي الاقليمي محورا اعلاميا عربيا على الساحة الدولية ، إضافة إلى بث كل الامور العائدة إلى شؤون الاعلام متفرعاته كلها على صعيد المنطقة .

ما شاهدناه ولمسناه المؤتمر الخامس لوزراء الاعلام في دول الخليج العربية لم يكن المؤتمر الخامس نفسه ، بقدر ما كان وسيكون للمستقبل ولكل مؤتمر اعلامي ـ عربيا عاما أو خليجيا إقليميا ـ مادامت المؤتمرات كلها تشعر الى الظلامة وسياسة التشويه التي يتعرض لها العرب من محيطهم الى خليجهم .

فعالية التنظيم

لاضفاء الجو العربي العام ، وعلى مستوى راق ، لم يكن الظاهرة الايجابية الوحيدة .

من الظواهر التي لفتت الانتباه التنظيم الجيد الذي شهده المؤتمر والتسهيلات التي قدمت الى الصحافيين والمراقبين في المؤتمر ـ خطوط هاتفية دولية والات كاتبة ، وخطوط (تلكس) مفتوحة على العالم وصحف يومية ومكتب (سكرتارية) يقدم التقارير اللازمة لاي وفد واي صحافي أو مراقب .

كما كانت المواصلات بالنسبة الى أعضاء الوفود مؤمنة وموظفي ادارة العلاقات العامة يقدمون التسهيلات كلها ، اضافة الى الادارات الاخرى في الوزارة من الثقافة والمطبوعات والنشر والاذاعة والتلفزيون .

وقد احس كل من شارك في المؤتمر او حضره كمراقب انه داخل دوامة مؤتمر على صعيد دولي .

جدية واختصار الوقت

وللمرة الأولى ينتهي مؤتمر عربي قبل



موعد انتهائه ... لا بسبب التقصير أو الاختصار ، بل بسبب تكثيف المناقشات والاجتماعات والبت في الأمور بإيقاع سريع ... على الوزراء والخبراء يومين في اجتماعات ومداولات استمرت ليلاً ونهاراً ، حتى فوجئوا بأنهم انهوا ما كان عليهم أن ينهوه في ثلاثة أيام ، وحقق المؤتمر في ذلك المقولة : خير الكلام ما قل ودل .

جدول الأعمال ليس في جملته واتخذت في شأن مضمونه وموارده القرارات والتوصيات ورفعت الى الجلسة الختامية .

إعلان الوثيقة

حتى الآن لم يصدر مؤتمر عربي - ولو على صعيد القمة - إلا في حالات معينة - إعلاناً ... هو في مضمونه سياسي ، أي أنه يضع السياسة في نطاق الاعلام ، والاعلام في نطاق السياسة بحيث أن الواحد يرتبط بالآخر .

وثمة ملاحظات على هذا الاعلان الوارد نصه في مكان آخر من هذا العدد يمكن إيرادها للأهمية

للمرة الأولى يصدر عن مؤتمر وزراء الاعلام في منطقة الخليج العربي أو في العالم العربي ككل بيان يشير إلى الحملة الجائرة التي توجه إلى الأمة العربية

ويشير البيان الى المداولات والمشاورات والمناقشات التي جرت وفقاً لورقة العمل القطرية التي كانت محددة البيان أسس التحرك الاعلامي على الساحة الغربية (أمريكا وأوربا واليابان) ثم كانت النتيجة بعد أخذ آراء جميع المشتركين وما طرح من اقتراحات الى تحويل هذه القضية إلى لجنة تبتها في أسرع وقت لوضع صندوق الطوارىء المقترح للانفاق على الخطة والتحرك بمشاركة جميع الفرقاء العرب على الساحة الدولية .

(بيان) الدوحة هو من أهم منجزات المؤتمر وهو وثيقة يجب أن تضم الى وثائق الجامعة العربية للاستعانة بها الآن وفي المستقبل .

المشاركة في المسؤولية

القرارات والتوصيات الأخرى التي صدرت عن المؤتمر ذات أهمية بالغة ولكن ثمة أموراً يجب ألا تغيب عن أذهاننا ، وهي

أننا في هذا الظرف العصيب مدعوون أكثر من أي وقت آخر إلى العودة إلى أنفسنا ونقد ذاتنا ومحاسبة كل منا على ما عمل ويعمل وما سيعمله في المستقبل .

نحن جزء من هذا العالم مطروح ... الاعلامي ... والاقتصادي ... الثقافي ... بحضورها الراسخ ...

... التي ... من كرامتنا ... العالم وهذا ... في قلبه وكبده وكلاويه ...

أهميتنا ، ليست فقط في الموقع الحضاري الذي قدمناه إلى الانسانية منذ ١٤٠٠ قرن ، بل في ما نقدمه لهذه الانسانية لتستمر وتعيش .

العالم اليوم ، كما من قبل ، يتعامل لا على بيت شعر أو قصيدة أو قول مأثور أو تمثال أو مبدأ .

إنه يتعامل على رغيف الخبز

على ما يؤمن استمرار صناعته

على الصناعة التي تؤمن العمل للمواطن وكذلك الانتاج

في يدنا نحن هذه الطاقة التي تمكن

مساعدة الانسان خارج حدودنا ويؤمن له العمل والعيش ، وما يعتقد أنه رفاهية لذلك نحن محسودون .

هذا الحسد يجب أن يعود علينا بالفائدة من ناحية أولى أن نستغل ما عندنا لنبني أنفسنا ونضمن استمرارية أجيالنا المقبلة ، أي أن نستغل ثروتنا في سبيل مصلحتنا ، لا أن نهدرها على التوافه ، ليأخذها الحسود علينا حججاً على رغم أنه يبذر - اذا استطاع - أكثر منا بكثير .

ثم علينا أن نحسن صورتنا في الخارج وسمعتنا كذلك مع أن (البيوت ذات السمعة السيئة) هي بيوتهم ، وإذا كان عندهم من يوبقد ... من ... منهم ومن أفعالهم يقع بعضنا في شراكهم وبعضهم ترد إليهم .

ولكن ليس بالكلام وحده يحيا الانسان

الاعلام - إن لم ترافقه أعمال بقيمته وقوته ، يبقى كلاماً في الهواء .

السبيل إلى ذلك هو القوة

القوة معنا .

علينا أن نلتفت الى نواحي الضعف عندهم كما هم يستغلون نواحي الضعف عندنا فتنجح

المؤتمر الخامس لوزراء الاعلام في دول الخليج العربية الذي استضافته قطر ، يبقى وسيظل منعطفاً تاريخياً ، إذ خرج من (الروتين) ووضع الأسس لسياسة إعلامية حقيقية ، لا لتحرك في المنطقة وعلى الساحة العربية فحسب ، بل نظر إلى ما بعد ذلك ، إلى المستقبل ، الذي يريدونه لنا مظلماً ، ولكن الطاقات التي عندنا ، اذا أحسنا استغلالها ، تغير وجه التاريخ

الإعلام إن لم ترافقه أعمال بقيمته وقوته .. فإنه سيبقى كلاماً في الهواء

توصيات المؤتمر

- التحرك الإعلامي الموحد على الساحة الغربية
- إنشاء مكتب دائم للمؤتمر
- التبادل الإخباري بين دول الخليج العربية

انعقد المؤتمر العادي الخامس لوزراء الإعلام في دول الخليج العربية (الدوحة ٢٣ ـ ٢٨ ربيع الأول ١٤٠٠ هـ الموافق ٩ ـ ١٤ فبراير ١٩٨٠م) القرارات والتوصيات التالية :

أولاً : تقييم ما تم تنفيذه من قرارات المؤتمر الرابع لوزراء اعلام دول الخليج

أقر المؤتمر ضرورة انجاز الفعاليات التي لم تنفذ في العام السابق ١٩٧٩ خلال العام الحالي ١٩٨٠ ومن قبل الدول ذاتها المكلفة بهذه الفعاليات .

ثانياً : توصيات اجتماع الخبراء والمختصين

١ ـ التحرك الاعلامي الموحد على الساحة الغربية :

أ ـ اقر المؤتمر ان تتولى دولة قطر اعداد دراسة مفصلة لخطة التحرك الاعلامي الموحد على الساحة الغربية في ضوء المناقشات التي تمت والوثائق والمقترحات المقدمة وعرضها على الامانة العامة لجامعة الدول العربية (الادارة العامة للاعلام) للافادة منها في اعداد الخطط الاعلامية العربية المشتركة على الساحتين الامريكية والاوروبية طبقا للقرارات الدورة الخاصة عشر لمجلس وزراء الاعلام العرب ـ

وحث الادارة العامة للاعلام على البدء بتنفيذها بأسرع وقت ممكن .

ب ـ التذكير بضرورة تسديد الانصبة المالية المترتبة على الدول الاعضاء في جامعة الدول العربية لتنفيذ البرنامج الذي اقره وزراء الإعلام العرب في اجتماعهم الاخير بتونس .

جـ ـ إصدار التصريح التالي عن هذا المؤتمر باسم « اعلان الدوحة » :

ان وزراء الاعلام في دول الخليج العربية المجتمعين في مؤتمرهم الخامس في الدوحة بدولة قطر ، انطلاقا من القيم والمبادىء الإسلامية التي يؤمنون بها وبوحي من الرسالة الحضارية التي توجه التطلعات المستقبلية لشعوبهم وبلدانهم وتحدد مواقفها من التطورات والاحداث التي يمر بها العالم اليوم ، وادراكا منهم لما للاعلام من اثر بالغ في توجيه الرأي العام ...

وبعد ان اجروا مشاورات ومداولات مستفيضة حول الحملات الاعلامية الجائرة التي توجه الى الامة العربية وبصورة خاصة الدول العربية في منطقة الخليج من قبل اجهزة الاعلام الاجنبية ، فانهم يرون ان على الدول العربية واجبا قوميا هو القيام بجهود اعلامية منسقة ، وفي اطار تقديم اعلامي عربي جديد يوضح التوجه الحقيقي الصادق لشعوب الامة العربية وسعيها الدائم لخدمة الحضارة والتقدم الانسانيين ، ومناصرة الحقوق المشروعة وترسيخ الاستقرار ونشر الرخاء والسلام في ارجاء العالم .

لقد عرفت الامة العربية عبر التاريخ ، وبهدى من دينها الإسلامي السمح برسالتها المجيدة في التعاون من اجل الخير والعدالة ونصرة الحق .. وانطلاقا من هذه الحقيقة فان وزراء الاعلام في دول الخليج العربية في سعيهم من اجل احلال الحوار والتفاهم كمبدأ ثابت في العلاقات الدولية ليأملون من اجهزة الاعلام العالمية ان تتحرى الصدق والموضوعية وان تتوخى الدقة في تغطيتها لاخبار العالم العربي عند عرضها لاوضاعه وقضاياه المختلفة ، وهم اذ يأملون في تجاوب بناء مع هذا التوجه من قبل جميع الاطراف ، يرجون ان يوفق الله جميع العاملين من اجل خير الانسانية حتى يحققوا تقدما اكبر ورخاء اشمل وسلاما يعم البشرية جمعاء .

والله ولي التوفيق ...

٢ ـ انشاء مكتب دائم للمؤتمر

قرر المؤتمر :

أ ـ ان يعهد الى دولة قطر بانشاء سكرتارية للمؤتمر القادم على ان تتعاون في ذلك مع سلطنة عمان .

ب ـ ان تتكفل الدولة المضيفة مسؤولية مسؤولية كاملة عن الإعداد للمؤتمر ومتابعة اعماله على ان تقوم كل وزارة بتعيين ضابط ارتباط لتسهيل الاتصالات .

جـ ـ ان يتم تقييم هذا العمل في المؤتمر القادم ويتخذ على ضوئه قراراً بشأن اقامة السكرتارية الدائمة للمؤتمر .

٣ ـ الإعلام البترولي :

وافق المؤتمر على ما جاء في المذكرة المقدمة من وفد دولة الكويت بشأن خطة الاعلام البترولي لعام ١٩٨٠ وقرر ان تقوم الدولة المعنية بتحويل انصبتها الى وزارة الاعلام في دولة الكويت التي تقوم بتنفيذ الخطة الموضوعة بالتعاون مع منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول (اوابك) ويجوز لبعض الدول تنفيذ جزء من الخطة بعد الاتفاق على ذلك مع لجنة التنسيق والتخطيط للاعلام البترولي في دولة الكويت على ان يخصم ما ينفق على هذا الجزء من نصيبها المالي .

٤ ـ الانشطة الإعلامية والثقافية :

قرر المؤتمر ان يتم تنفيذ الفعاليات التي لم تنفذ في العام السابق خلال العام الحالي ١٩٨٠ مع اضافة فعاليتين رئيسيتين لها هما معرض الفنون التشكيلية ومعرض الكتاب الخليجيين وبالشكل التالي :

١ ـ مهرجان الاغنية في دولة البحرين .

٢ ـ ندوة الشعر في سلطنة عمان .

تحقيقات إخبارية عن دول المنطقة .. والتعاون مع وكالات الأنباء

التأكيد على الأهمية القصوى لتبادل الأخبار التلفزيونية في دول الخليج



٣ ـ مهرجان الفنون الشعبية في الجمهورية العراقية.
٤ ـ مهرجان المسرح في دولة الإمارات العربية.
٥ ـ مهرجان الطفل في المملكة العربية السعودية.
٦ ـ مهرجان الخليج للانتاج التلفزيوني في دولة الكويت.
كما قرر أن تقام هذه الفعاليات مرة كل سنتين .. أما بالنسبة لمعرض الكتاب الخليجي ومعرض الفنون التشكيلية فتقام كل منهما سنويا ويتم من بلد الى آخر مع تكليف جهاز تلفزيون الخليج بنقل وتقديم هذه الأنشطة وتعميمها على الدول الأعضاء بالتنسيق مع الدول المعنية، والمؤتمر أن يقام معرض الفنون التشكيلية في الجمهورية العراقية عام ١٩٨١م ومعرض الكتاب الخليجي في دولة الكويت ضمن معرض الكتاب العربي الذي ستقيمه على أن يفرد له جناح خاص في المعرض.

٥ ـ التوثيق الاعلامي :
أوصى المؤتمر الدول الأعضاء بالمصادقة على اتفاقية انشاء مركز التوثيق الاعلامي ببغداد الموقع عليها في هذا المؤتمر .. وحث الدول الأعضاء على تسديد أنصبتها وفق القرار المتخذ في المؤتمر السابق.

٦ ـ مؤسسة الانتاج البرامجي المشترك :
أثنى المؤتمر على جهود المؤسسة في مجال الانتاج البرامجي المشترك و قـــرر :
أ ـ تخفيض أسعار بيع برنامج افتح يا سمسم لإتاحة الفرصة أمام جميع الدول العربية للاستفادة من هذا الانتاج وحث المؤسسة على انجاز انتاج مسلسل الحضارة العربية والإسلامية بمناسبة الاحتفالات بالقرن الخامس عشر الهجري.
ب ـ الاقتصاد في تكاليف الانتاج مع مراعاة نوعية الانتاج وجودته والعمل على انتاج بعض البرامج في الدول الأعضاء كلما كان ذلك ممكنا.
جـ ـ تطبيق أنظمة الضمان الاجتماعي المعمول بها في بلد المقر على العاملين في المؤسسات المشتركة بالدول الأعضاء.
د ـ دراسة أوجه التعاون بين مؤسسة الانتاج البرامجي المشترك وبين منظمة اذاعات الدول الإسلامية بما يدعم أهدافها المشتركة على صعيد البرامج الاذاعية والتلفزيونية.

٧ ـ جهاز تلفزيون الخليج :
يشكر المؤتمر معالي رئيس مجلس ادارة جهاز تلفزيون الخليج ومديره العام على جهودهما في بناء الجهاز وتطويره ويصادق على قرارات وتوصيات الاجتماع الرابع لمجلس ادارة جهاز تلفزيون الخليج المنعقد في الدوحة في ٢٥ ربيع الأول ١٤٠٠ هـ الموافق ١١ فبراير ١٩٨١ م.

٨ ـ تطوير جهاز تلفزيون الخليج :
قرر المؤتمر تأجيل الموضوع لاستكمال دراسته من قبل دولة قطر بالتعاون مع مجلس ادارة جهاز تلفزيون الخليج وتقديم الدراسة للمؤتمر المقبل لوزراء الإعلام في دول الخليج.

٩ ـ التبادل الاخباري بين دول الخليج العربية :
درس المؤتمر المقترحات المقدمة من دولة الإمارات العربية المتحدة ودولة قطر وتوصيات الاجتماع السابع للجنة أخبار التلفزيون المنبثق عن اتحاد اذاعات الدول العربية المنعقد بالكويت في شهر فبراير الماضي حول تطوير التبادل الاخباري بين دول الخليج العربية وقرر ما يلي :
١ ـ حث المؤسسات الصحفية بدول الخليج على تبادل زيارات الصحفيين بحيث لا تقتصر عملية التبادل على القيام بزيارات إعلامية تقليدية.
٢ ـ حث المؤسسات الصحفية والاعلامية في الخليج على تعيين مراسلين لها في دول الخليج.
٣ ـ يحث المؤتمر وكالة أنباء الخليج على :
أ ـ التوسع في الاستفادة من الأخبار المحلية التي تبثها وكالات الأنباء الوطنية في الدول الأعضاء.
ب ـ اجراء تحقيقات اخبارية عن دول المنطقة بالتعاون مع وكالات الأنباء المحلية.
جـ ـ ضرورة الإبقاء على « واخ » وكالة خليجية بمعنى أن اهتمامها الأساسي يبقى الأخبار الخليجية أو التي لها انعكاسات مباشرة على قضايا المنطقة.
د ـ التأكيد على ضرورة قيام وكالات الأنباء في دول الخليج العربية باعادة بث الأخبار التي تبثها « واخ » على شبكاتها الداخلية أو على شبكات خاصة.
٤ ـ التأكيد على الأهمية القصوى لتبادل الأخبار التلفزيونية بين دول المنطقة بشكل متواصل ومباشر ... وحث المعنيين في هذه الدول على تدعيم التبادل الاخباري التلفزيوني على النحو التالي :
أ ـ ارسال البرامج الصالحة للتبادل الى منطقة الخليج الأوروبية لتضمن في احدى رسالتي التلفزيون الأوروبي وتحمل التكاليف الناشئة عن ذلك ، والى حين وضع نظام محدد للتكاليف.
ب ـ أهمية استمرار التعاون القائم حاليا في مجال التبادل الإخباري سواء كان جماعيا أو ثنائيا وبكافة الوسائل المتاحة.
جـ ـ دعوة جميع الدول الى تبادل الشرائح المصورة وصور المسؤولين والخرائط ووسائل الايضاح المختلفة.
د ـ التأكيد على ضرورة استكمال وصلات شبكة الموجات اللامتناهية بين دول الخليج وذلك لاستخدامها في تسهيل عملية التبادل الاخباري والبرامجي فيما بينها.

توصيات المؤتمر

هـ ـ التأكيد على الحاجة الى تدريب الكوادر البشرية في مجال الاخبار والتبادل الاخباري .

و ـ دراسة امكانية تعزيز مركز التبادل الاخباري التلفزيوني بالكويت بحيث يكون نواة لشبكة التبادل الاخباري وذلك بتزويده برسائل تلفزيونية اخبارية من دول المنطقة يتم تجميعها واعادة بثها فيما بعد الى جميع تلك الدول في وقت واحد وذلك وفق نظام مالي يتفق عليه .

ز ـ التأكيد على اهمية نقل المناسبات العامة والرياضية والفنية والمعارض الزراعية الهامة الى دول المنطقة بشكل ثنائي او اكثر او جماعي .

٩ ـ دعوة محطات الاذاعة والتلفزيون بالمنطقة لتعزيز وتكثيف تبادل التقارير الاخبارية الخليجية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفنية والرياضية فيما بينها باستخدام جميع الوسائل المتاحة .

١٠ ـ عقد اجتماع للمسئولين عن الاخبار في محطات الاذاعة والتلفزيون ووكالات الانباء في دول الخليج العربية لتحقيق التعارف فيما بينهم وتحقيق التعاون بما يكفل تعزيز [illegible] الاخبار بين دول المنطقة .

١٠ ـ ندوة القدس

استمع المؤتمر الى التقرير المقدم من رئيس وفد المملكة العربية السعودية عن الآثار الايجابية الواسعة للندوة الدولية [illegible] التي عقدت في لندن من ٣ ـ ٥ ديسمبر ١٩٧٩ [illegible] المملكة العربية السعودية على سكرتيرها هذا بحث [illegible] عقد هذه الندوة في اكثر من بلد .

١١ ـ توحيد الجهود لجمع وتدوين التراث الشعبي لدول منطقة الخليج العربية :

ـ اطلع المؤتمر على المذكرة المقدمة من وفد دولة قطر بشأن توحيد الجهود لجمع وتدوين التراث الشعبي لدول منطقة الخليج العربية وقرر الموافقة عليها من حيث المبدأ على ان تقوم دولة قطر بدراسة تفصيلية .

١٢ ـ تنسيق البرامج الاذاعية الاجنبية في الاذاعات الخليجية :

ـ اطلع المؤتمر على المذكرة المقدمة من وفد دولة الامارات العربية المتحدة حول تنسيق البرامج الاذاعية الاجنبية في الاذاعات الخليجية وقرر الموافقة على عقد اجتماع للمسئولين عن هذه البرامج في دولة الامارات العربية بدعوة منها وذلك خلال شهر ابريل عام ١٩٨٠ لدراسة الموضوع وتقديم مقترحاتهم بهذا الشأن .

١٣ ـ الشئون الفنية والتدريب :

ا ـ تشكيل لجنة هندسية دائمة لمؤتمرات وزراء اعلام دول الخليج .

كلف المؤتمر جهاز تلفزيون الخليج بالاسراع في تشكيل اللجنة الهندسية المختصة التي نص عليها ميثاقه وذلك لدراسة الامور التي وردت في مذكرة دولة قطر وكذلك دراسة اية امور هندسية اخرى قد تطرأ الحاجة لدراستها .

٢ ـ نتائج مؤتمر الراديو العالمي وتأثيرها على دول الخليج .

قرر المؤتمـــــر أن :

ا ـ تقدم الدول الاعضاء مقترحاتها وآرائها بشأن المشتركة في المؤتمرات الهندسية العالمية الى جهاز تلفزيون الخليج ويقوم الجهاز بالدعوة لعقد اجتماع مشترك بين الدول الاعضاء بفترة لا تقل عن ثلاثة اشهر قبل انعقاد المؤتمرات العالمية المعنية لدراسة المقترحات والآراء للوصول الى صيغة موحدة تمثل وجهة نظر الدول الاعضاء .

ب ـ ترسل الدول الاعضاء الى جهاز تلفزيون الخليج جدولا بمخصصاتها في الموجات الاذاعية والتلفزيونية التي تفي بخططها الحالية والمستقبلة بهدف التنسيق مع الجهات المعنية بوزارات المواصلات .

جـ ـ ترسل الدول الاعضاء الى جهاز تلفزيون الخليج جدولا بخططها الحالية والمستقبلة الخاصة باستخدام قنوات التردد المتناهي في العلو ويقوم الجهاز بالتعاون مع الاتحاد الدولي للمواصلات بوضع جدول مخطط لتوزيع القنوات في حيز الترددات المتناهي في العلو وتقديمه الى [illegible] وزراء الاعلام [illegible] جهاز تلفزيون الخليج باسرع وقت [illegible] الاعضاء لعام ١٩٨٠ م .

[illegible] ضرورة حل مشكل تداخل القنوات بين دول المنطقة [illegible] الملائمة مع الاستعانة بجهاز تلفزيون الخليج [illegible] بناء على الجدول المرفق بإشعار جهاز تلفزيون الخليج [illegible] اتخذت من قبل الدول المعنية لتلافي التداخل .

٣ ـ توحيد انظمة الصور في دول الخليج .

قرر المؤتمر ان :

يترك للدول الاعضاء حرية اختيار النظام الملائم على ان تحاول جهد الامكان استخدام النظام المعمول به حاليا في معظم دول المنطقة .

٤ ـ المركز العربي للتدريب الاذاعي والتلفزيوني في دمشق :

قرر المؤتمر :

ا ـ ان يتم تحويل مبلغ ثلاثة ملايين دولار لانجاز المراحل الاساسية للمركز العربي للتدريب الاذاعي والتلفزيوني بدمشق حسب انصبة الدول الاعضاء في المشاريع الاعلامية المشتركة (تحفظ وفد سلطنة عمان على هذا البند)



ب ـ الاسراع بتشكيل مجلس ادارة المركز من الدول المساهمة يتولى كافة مهام المشروع .
ج ـ تفويض مجلس ادارة المركز واللجان منه بتحديد اولويات التجهيز والتشغيل واتخاذ القرارات اللازمة لذلك فى ضوء المبلغ المقرر للمركز .
د ـ موضوعات ونتائج التدريب الاذاعي والتلفزيوني :
اولا : اقر المؤتمر ان :
أ ـ يقدم المركز الخليجي لتنسيق التدريب الاذاعي والتلفزيوني في الدوحة المؤتمرات القادمة ورقة مستقلة عما تم بالنسبة لخطة التدريب في السنة السابقة تتضمن الرأي والتقييم العلمي السليم في الدورات التي تمت ، وان يكون ذلك من خلال دراسة دقيقة بين المركز والدول التي اقيمت فيها الدورات .
ب ـ تقدم ورقة اخرى بخطة التدريب للعام التالي موضحا بها المصادر التي بنيت عليها الخطة .
ج ـ تتكفل الدولة المضيفة بالمكافأة التي تراها مناسبة في حالة اتمامه الدورة بنجاح .
د ـ منح المتدرب شهادة اتمام الدورة من الدولة المضيفة .
هـ ـ الاعتراف بهذه الشهادة بين وزارات اعلام دول المنطقة .
و ـ تعطى الاولوية في البعثات لمن اتموا الدورات التدريبية في احدى دول المنطقة .
ز ـ تحرص الدول المشاركة في الدورات التدريبية ان يكون مبعوثوها على مستوى مقبول من الخبرة والدراسة .
ثانيا : خطة التدريب لعام ١٩٨٠ :
أ ـ في مجال الاذاعة :
البرامج الدرامية (اعدادها واخراجها) لمدة ٢١ يوما في شهر سبتمبر ١٩٨٠م في دولة قطر) .
وقد اختيرت دولة قطر مقرا للدورة .
ب ـ في مجال التلفزيون :
١ ـ برامج الاطفال (اعدادها واخراجها) في المملكة العربية السعودية وستحدد المملكة العربية السعودية موعد الدورة وتقوم بإخطار مركز التنسيق .
٢ ـ الاضاءة واستخدام الاقمار الصناعية لمدة ١٥ يوما في النصف الثاني من شهر سبتمبر ١٩٨٠م في دولة الكويت يشارك فيها اثنان احدهما مهندس والاخر اخباري .
٣ ـ الاخراج التلفزيوني مع العناية بالاخراج السينمائي واستخدامات الكروماكي
في دولة قطر بدءا من شهر ابريل ولمدة ٦ اسابيع .
٤ ـ الديكور والاكسسوار



في الجمهورية العراقية بدءا من ٢٥ / ١٠ / ٨٠ ولمدة شهر .
٥ ـ الاضاءة
في دولة الامارات العربية المتحدة ولمدة ٢٨ يوما تبدأ في شهر اكتوبر ١٩٨٠م .
٦ ـ كتابة واعداد البرامج في الاذاعة
في الجمهورية العراقية بدءا من ٣/٤/١٩٨٠م ولمدة شهر .
ثالثا : وافق المؤتمر على عقد اجتماع بين مديري برامج محطات دول الخليج ومديري الهندسة وعدد من مديري المحطات الاجنبية في لندن اثناء انعقاد مؤتمر (اي . بي . سي) على ان يدعو جهاز تلفزيون الخليج مدراء كل من الـ بي بي سي والتلفزيون الدنمركي والتلفزيون السويسري لهذا الاجتماع ويقوم تلفزيون الخليج بالتعاون مع مركز التنسيق للاعداد لهذا الاجتماع على ان تتحمل كل دولة نفقات مبعوثيها ويتولى جهاز تلفزيون الخليج تحمل نفقات الضيوف المشار إليهم .
رابعا : يستمر المركز الخليجي لتنسيق التدريب الاذاعي والتلفزيوني بالاعمال المناطة به للتنسيق في الدورات التدريبية التي ستعقد في دول المنطقة في حدود الامكانيات المتاحة له .
خامسا : يشكر المؤتمر الجمهورية العراقية على مبادرتها الطيبة بمنح زمالات دراسية اعلامية .. ويرى تعميم مذكرتها بهذا الخصوص على دول المنطقة .
سادسا : حث الدول الاعضاء على ارسال البيانات الخاصة بالاستبيان الموجه للمؤسسات الاذاعية والتلفزيونية المقدم من دولة الامارات العربية المتحدة .

١٤ ـ ندوة لندن :
يشكر المؤتمر دولة الامارات العربية المتحدة على اقامة ندوة لندن الصحفية الدولية عام ١٩٧٩ ويرى المؤتمر ضرورة قيامها بعقد الندوة سنويا في اوروبا خلال العام الحالي .. ويطلب المؤتمر الى دولة الامارات العربية المتحدة تقديم دراسة مفصلة حول اقامة رابطة او جمعية او نادي للصحفيين الاوروبيين والعرب في اوربا لمناقشتها في المؤتمر القادم .

١٥ ـ العمل الاعلامي المشترك بين اجهزة الاعلام في دول الخليج وبرنامج الامم المتحدة الانمائي :

يحث المؤتمر اجهزة الاعلام في دول الخليج على التعاون مع مكتب الدول العربية الاقليمي التابع لبرنامج الامم المتحدة الانمائي في ابراز جهود الدول الخليجية من اجل التنمية الذاتية ودورها في التعاون الدولي وذلك عن طريق تنظيم رحلات صحفية دولية للمشاريع الانمائية والانتاج المشترك للمواد الاعلامية في مختلف مجالات التنمية وتوزيعها في كافة انحاء العالم .

١٦ ـ وكالة انباء الخليج :
اجتمع مجلس ادارة وكالة انباء الخليج بحضور رؤساء الوفود المشتركة في المؤتمر واقر الميزانية المعدلة من المحاسبين القانونيين كما وافق المجلس على ان يدعو رئيس مجلس الادارة الى اجتماع لكبراء الوكالات في الدول المشتركة يعقد في مقر الوكالة في خلال شهر وذلك لإقرار خطة العمل لتطوير الوكالة فنيا وبشريا في اسرع وقت ممكن .. كما اقر المجلس تعيين مراسلين للوكالة في الدول الاعضاء بأسرع وقت ممكن .
١٧ ـ وافق المؤتمر على الدعوة الكريمة الموجهة من معالي الاستاذ عبد العزيز الرواس وزير الاعلام في سلطنة عمان لاستضافة المؤتمر السادس لوزراء الاعلام في دول الخليج في النصف الاول من شهر فبراير ١٩٨١م .

●●●

يرفع المؤتمر جزيل شكره ووافر تقديره الى حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني امير دولة قطر وسمو ولي عهده الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني على كرم الضيافة .. كما يوجه الشكر والتقدير لسعادة الاستاذ عيسى غانم الكواري وزير الاعلام على ما وفرته الوزارة من تسهيلات لانجاح اعمال المؤتمر .



دراسات
في شئون
الخليج

د. محمد جابر الأنصاري

أصوات ساخرة في الأدب السعودي

لماذا اخترت هذه الشواهد من الادب الساخر بالذات من بين النماذج المتعددة التي انقلها الى القارىء العربي من أصوات الادب السعودي ؟

ان ظهور الادب الساخر دليل ارتقاء في الذوق ، ودليل روح نامت على الم الحياة فحولته الى ابتسامة حكيمة تشف عما وراءها من ادراك فلسفي لمفارقات الحياة وتناقضاتها .

ولا يظهر الادب الساخر الا عندما يصل أدب الامة الى مرحلة من النضج ينتقل فيها من التعبير البدائي المباشر من همومه الى التعبير المتفنن غير المباشر .

والادب الساخر بعد كل شيء أمتع أنواع النقد الاجتماعي والانساني فهو ذلك الوخز الناعم الذي يمس الجلد ويحرك فيه الدم دون ان يجرحه او يؤلمه .

وهو يقول اشياء واشياء دون ان يلزم نفسه صراحة بأي شيء .. غير الابتسامة اللاذعة .

وتتكون رحلتنا هذه في الادب السعودي الساخر من ثلاث محطات متباعدة زمنيا ونوعيا :

● المحطة الاولى مع « حمار حمزة شحاته » .

● والمحطة الثانية مع حسين سرحان في « أديب يسخر من نفسه » .

● والمحطة الثالثة مع الدكتور غازي القصيبي في تصويره لذلك الكائن الاجتماعي الغريب الذي اطلق عليه اسم « الدشوقراطي » .

قبل حمار الحكيم

حمار حمزة شحاته ، يذكرنا على الفور بحمار الحكيم . والفرق بينهما ان حمار الحكيم اشتهر عن طريق وسائل النشر المتاحة للادب المصري منذ وقت طويل . ولم يشتهر حمار حمزة شحاته لانه لم ينشر في كتاب الا عام ١٩٧٧ أي بعد اكثر من ربع قرن .

والاهم من ذلك ان الاستاذ عبد الله عبد الجبار ، المحاضر بمعهد الدراسات العربية بالقاهرة ، يرى أن حمزة شحاته قد سبق توفيق الحكيم ، على الارجح ، الى معالجة هذا الموضوع الساخر .

يقول عبد الله عبد الجبار في مقدمته لكتاب حمار حمزة شحاته :

— « ثم هي بعد ذلك فكرة جديدة ، على الاقل في اسلوب كاتبها الاديب السعودي ، فهي حين كتبها قبل أكثر من ربع قرن لم يكن توفيق الحكيم الاديب المصري قد أصدر كتابه « حمار الحكيم » و « حماري قال لي » ، ولم يترجم كذلك رائعة خمينيز « أنا وحماري » . واذا رجحنا انه قرأ كتاب « خواطر حمار » للكونتيس دوسيجور ، فانما نلاحظ انه لم يسرق من ذلك الكتاب ولم يتأثر بتلك الخواطر او الذكرات التي يرجح ان توفيق الحكيم قد تأثر بها واقتبس منها » .

ولسنا هنا في معرض تحقيق مسألة الاسبقية بين الحكيم وشحاته ، لكننا نريد التنبيه فقط أن « المحالقة » الذين تألقوا في مرايا الاعلام والنشر في تاريخنا الادبي الحديث ليسوا بالضرورة هم الوحيدون الذين يستحقون هذا الوصف . أن الاضاءة الاقليمية المتحيزة قد « لمعت » بعض الادباء وأبهتت بعض البعض الاخر عندما أبقتهم في الظل . فاقتصرت العبقرية ، والصلقة ، على قطر عربي أو قطرين . وبدا وكأن الاقطار العربية الاخرى لا روح فيهما ولا ابداع . وذلك ما لا تقبل به روح العلم ولا روح العدل . ونأمل ان تؤدي حركة البحث التي تشمل مختلف أقطارنا العربية الى انصاف كل موهبة عربية أيا كان موطنها ، دون النظر بمنظور « الانتفاخ » الذي يحاول أن يظهر به ادباء هذا القطر العربي أو ذاك ، مستغلين الدعاية التي أتيحت لهم ولم تتح لغيرهم .

ونعود الى « حمار حمزة شحاته » كنموذج رائد للادب الساخر في الجزيرة العربية لنقرأ منه المقاطع التالية ضمن هذه الاصوات التي تتحدث عن نفسها من الادب السعودي الحديث :

حمار حمزة شحاته

« في الحمير شيء جدير بالاحترام والدراسة ، والعناية بالحمار ليست فضولا فانه رفيق الانسان منذ كانا .. وما شك انه من أكثر الحيوانات طيبة ، وان ما دخل على أخلاقه وغرائزه من الشذوذ المذكور انما جاءه من قسوة الانسان وعنته


الدكتور عالي القرشي

- ثلاثة أصوات من الأدب السعودي الساخر في فترات مختلفة
- الرشوفترواطي للأسف الشديد يتمتع عادة باحترام الناس
- السخرية من النفس هي أدق أنواع الأدب الساخر
- أدبنا كالذهب الأسود الكامن في باطن الأرض يستحق التنقيب الدءوب
- علينا أن نكتب تاريخنا الأدبي من جديد بعيدا عن أهواء دور النشر

وليس هذا وحده ما يجعله أجدر باهتمامنا .. فان في الحمار جاذبية .. وفيه أناقة ووسامة يفوقان كثيرا من الآدميين . وله ابتسامة تحبوية يدركها ويدرك موضع السحر والفتنة فيها كل من يعنيه من أمر الحمير ما عنانا .

• وقد أساء الانسان فهم الحمار وركبه بالسخر والدعابة حتى أصبحت كلمة حمار منذ أجيال سبة الآدميين وموضع تنادرهم . والحمار في هذا أكثر الاحياء صلة من الانسان .. ولا شك أن صلة من الصنف السيئة قضت على سمعته هذا القضاء الظالم .

• ولعل حمارا من حمير التاريخ القديم تمكنت منه الفلسفة ، أو تمكن منه الضعف والقرف ، ولكنا من هذا اخلاله بواجباته المفروضة عليه اخلالا يدل على الغباء والذهول حتى اشتهر أمره . وتناقل الناس بلادته وغباءه ..

• وفي الحمار خفة ، وفي حركاته حلاوة ، ونظراته لا تخلو من معان تفيض منها الفلسفة . وفيه ديمقراطية تصرفه عن الخيلاء ..

• ويركبه الصبيان أو أشباههم من ذوي اللحى والشوارب ، ويعملون فيه أيديهم نخسا وأقدامهم رفسا .. ويعاني الحمار المنكوب من هذا غير ما يعانيه حمار من راكبه ، ثم لا يكون منه الا احتمال هذا الأذى ، والمسايرة فيه ، فاذا مس السوط جلده ، جن جنونه وقام على رجليه الاماميتين والقى راكبه ، قيل حمار حرون شرس ، وما به شر ولا حران لكنه فساد ذوق الانسان وتحجر عواطفه ..

• وصوت الحمار من أنكر الأصوات يا سيدي هذا ، أو من أنكرها ان كنا نعتبر النعومة والاعتدال من مقومات الصوت الحسن ..

• وقد يخطر للحمار أن يرفع عقيرته بصوته ليطرب أذناه من الحمير فيصف الناس ويشطرون عليه وابلا من الشتائم والازدراء .. وفي هذا حجر لا نقره فيه على الحرية الشخصية للحمار إن كان من الواجب أن يتنزه عنه الانسان تسامحا بذوقه . وماذا يبقى للحمار من الحقوق ان حرم الحرية في استعمال هذا الحق ؟

• أما حماري الذي أمهد للحديث عنه بهذه المقدمة فهو بدع بين الحمير . وأقسم بالله انه لو كان انسانا لكان مكانه بين من تشغل الدنيا بذكرهم من العظماء والفنانين ظاهرا مرموقا .

• ولقد آنس حماري مني هذا الشعور الطيب أو لمسه من وجهي أول ما تلاقى نظرانا ، فانفرجت شفتاه عن ابتسامة فاتنة ، فمسحت له عنقه ، ولعبت أناملي بأذنيه الناعمتين ردا لتحيته الرقيقة ، فأخذ صدره يعلو وينخفض تأثرا بهذه العاطفة التي بادلني اياها بشهقات حارة .

• ولاح لي بعد خطوات أن مزاج حماري من الأمزجة الميالة إلى الاستقلال ، فلم أشأ أن أثقل عليه . وإني أعترف في سرور بأنه لم يكن مقصرا فيما يجب عليه كحمار كامل !! .. وكان يسرع في الأرض السهلة المنبسطة ، ويتئد في المضايق والوعور . ووجدت بعد لحظات أني وسعي الاقتناع بوجاهة تصرفاته ، علاوة على أنها في مصلحتي .

• والحمار طيب القلب ، يساعده على أن يكون هكذا دائما ضعف ذاكرته . فهو لا يستطيع أن يحتفظ بالحوادث المؤلمة طويلا .

• ونشر الليل أرديته على الوادي فزاده جلالا ، وكان كل شيء صامتا كأنما يصغي الى همس الطبيعة .. فودعنا هذه الحياة النابضة . وكنت أتمثل في نظرات حماري معنى بيت المتنبي ! ..

أبوكم آدم سن المعاصي
وعلمكم مفارقة الجنان

• وبعد ، فهذه ذكرى سفرتنا الهادئة أهديها كتحية الى ذلك الرفيق الطيب ..

على هذا النحو تحدث حمزة شحاته عن حماره . وقد عمد الكاتب الساخر الى نفي الصفات المرذولة التي اشتهر بها الحمار بين الناس ، وأخذ يظهر من محاسنه ما لا تراه العين العادية . وهذا الدفاع عن صفات الحمار هو في حقيقته المبطنة انتقاد لاذع لرذائل الكائن الانساني . فالغرض الحقيقي لمثل هذه الكتابة ليس مجرد التفكه بالحديث عن حمار طيب حكيم ، وانما هو الكشف الشفاف عن نقائص ابن آدم ومفارقاته الكثيرة .

اديب يسخر من نفسه
بقلم : حسين سرحان

والسخرية من النفس هي أدق انواع الادب الساخر - انها نوع من « الاعتراف » الذاتي الضاحك اللاذع الذي يتخذه الاديب وسيلة لنقد نموذج اجتماعي شائع من خلال نقده البريء لنفسه !

يقول الاديب والشاعر السعودي حسين سرحان في مقالة يعود تاريخها الى عام ١٣٧٢هـ الموافق ١٩٥٢

« آنفت من صغري الى اطرق الغالب اليوم عن عيني مبكرا . فما يؤرقني أوثر مقسور في العالم الا وأنا أبادله الصباح والجدل . وبعد عراك الصبر وفرك اليد الحلم اطرافي - حفظني الله - واشرف الحساء التركي بابارتي الصباحية المشهورة حتى اذا قضيت منه وطرا تراجعت ادراجي بكل وقار وسكينة الى البهو العامر - كلأني الله برعايته - وعندئذ يلتف الاولاد والخدم بعميدهم المبجل الذي هو انا ولله الحمد .

ويجب عنوان الافطار ديواني بصحاف الطعام من كل لون ، ومما يجدر ذكره اني - عافاني الله - اتبع نظاما صاما في الاكل من شأنه أن يحمل القدر (الزرقاء) تتفاعل مع (الكريات الحمراء) .. وبالرغم من بساطة مأكلي فانه - على أرجح الاقوال - لا يزيد عن لحم طير مما تشتهون ، ودجاج امريكي مما تسمون ولا تأكلون .

« حتى اذا انقضى السامر عن السمر العامر مثلا في الصحاف ، أمرت بصوان الملابس - رعاني الله - فجيء به الي . والقانب اني لا البس الا ما يتفق مع الحشمة والتجمل ، فمن عباءات عربية مزركشة الى عمائم جوهرية مزخرفة ولا أزيد . وعلى ذكر هذا فاني أتفق تماما مع توماس كارلايل في « فلسفة ملابسه » التي يملكها - الفلسفة لا الملابس ! - فمن مشاجب سواه » .

« وأتريث قليلا حتى أتأكد من أن السكينة والوقار قد حفا بي فعلا - أدام الله بقائي - وعندئذ ارفل في كل ذلك حتى اسمع لهذا الرفل حفيفا مثل حفيف أوراق الشجر في الهواء اذا خطر » .

« ثم أكسرم الاسواق بزيارتي اليومية التي تناقلتها الركبان وشنفت الآذان في كل زمان ومكان ، على اني لا أسمح للناس ان يقفوا في كراسيهم أو يخرجوا من حوانيتهم والتي اكتفي بابتسامة [illegible] [illegible] من مقاعد البلد ، [illegible] في [illegible]

[illegible]

الشيه [illegible] الى [illegible] [illegible] الاهلية [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] واحيانا اشرب [illegible] الغداء الشهي وهي لا تزيد - اذا علمنا ان القناعة كنز لا يفنى - عن وجبة الافطار الا بطا وززا .. وهكذا في العشاء أيضا .. مد الله في عمري وأبقاني ذخرا للاوراق والاقلام ..

« وفي مرة عام ١٣٦١هـ توفرت همتي المالية وصدرت ارادتي السامية الى محاسبي وحشمي ان يتأهبوا للسفر الى بلاد مصر وكنت على يقين من أن السلامة سترافقني في الترحال والاقامة باذن الله .. وعندما بدأت الرحلة رأيت طيورا بيضاء ترفرف فوق رأسي التفت فأشرت بيدي اليها وقلت لرفقائي : ما هذه ؟

« فأجابوا كلهم - ما اشد اخلاصهم لي - هذه اطال الله عمركم طيور السلامة التي عهد اليها ان ترافقكم في الترحال والاقامة ..

« وبعد أن سدد الله خطاي ووفقني الى ما يحبه ويرضاه وصلت الى أبها عاصمة عسير ، وعندئذ تفضلت فأذنت لطيور السلامة بالعودة الى ان اطلبها عند القفول من السفر .. وسامحت القراء في درة غالية من دردي ، وكلمة ثمينة من كلمي في عدد لك من هذه الصحيفة التي أعطيها وأدرفها بالرائع من بياني . ساحدث القراء عن أبها عاصمة عسير التي كان الترك يوم كانوا يحكمونها يسمونها (كشك اسطنبول) ، فلينتظر القراء بفارغ الصبر ، على أحر من الجمر ، ودمتم سالمين وأدامنا الله لكم قائما عليكم بالكرم والجود كالسحابة الهطالة » (راجع كتاب « مقالات حسين سرحان » من منشورات النادي الادبي بالرياض ص ١٦١ - ١٦٨) .



« الرشوقراطي »
للدكتور غازي القصيبي

ونتنقل الى الفترة المعاصرة لنرى نموذجا مختلفا من الادب الساخر ، أصبح أكثر وضوحا وصراحة في نقده ، مع احتفاظه بخاصية الكشف عن المفارقات بلمسات لاذعة . وهذا النوع يمكن أن تطلق عليه الادب الساخر الملتزم ، لان اهتمامه بالاصلاح يفوق اهتمامه بالنقد الساخر المجرد .

يقول الدكتور غازي القصيبي في مقالة له بعنوان « عن الرشوقراطية » :

- « في جميع بلاد العالم ، وفي البلاد المتخلفة على وجه الخصوص ، توجد داخل الطبقة البيروقراطية طبقة أخرى يختلف حجمها باختلاف الظروف والاغراءات والروادع ، هي طبقة الرشوقراطية التي تضم الموظفين الذين طوروا أخذ الرشوة الى فن معقد رفيع ..

« ولهذه الطبقة ، رغم اختلاف الاوضاع والبلاد ، ملامح واحدة .

« الرشوقراطي في العادة ، نتيجة لما يمارسه من فساد ، ثري يتمتع بمستوى عال من المعيشة . من الرشوقراطيين من تتجاوز فواتير الكهرباء في منزله راتبه الرسمي

بأكمله . بالاضافة الى ما يملكه من الاراضي والبيوت وحسابات البنوك . ومنهم من يملك ما لا يستطيع أن يحصيه .

• والرشوقراطي في العادة شديد الذكاء . ومنذ قرون شكا عمر بن الخطاب رضي الله عنه من قوة الخائن وعجز الامين . وذكاء الرشوقراطي هو الذي يمكنه لا من البقاء حيث هو وانما من التدرج الى وظائف أعلى فأعلى ..

• والرشوقراطي في العادة شديد النشاط . بل ان من الرشوقراطيين من ينجح في بناء سمعة طيبة كاداري ممتاز لا يمكن الاستغناء عنه . ونشاط الرشوقراطي يجتذب اليه صلاحيات أكبر فأكبر كان من الممكن لولا نشاطه أن تنصرف الى موظفين آخرين ..

• والرشوقراطي في العادة كثير الحديث عن المبادىء والاصلاح وهو يتبع سياسة (الهجوم أفضل دفاع) . فلا يضمه مجلس الا وتحدث عن الفساد وضرورة التطهير ، وعدد الكثير من محسوبي الضمائر ..

• والرشوقراطي في العادة الأسف الشديد الشديد ، يحظى باحترام الناس . وهل من المستغرب أن يحظى شخص ثري ذكي نشيط دائم الحديث عن الاصلاح بالاحترام والتقدير ؟

• والرشوقراطيون يتجهون بطرق مختلفة في التعايش مع أنفسهم . اذا كان الرشوقراطي ينتمي الى بلد غني اقنع نفسه بأن ما يأخذه قطرة من بحر لا تقدم ولا تؤخر . واذا كان ينتمي الى بلد فقير صور لنفسه ان ما يأخذه ليس سوى حق مشروع له بمقابل ما قدم للبلاد من خدمات لا تقدر بثمن . ومن الرشوقراطيين من يقنع نفسه بأنه يحسن أوضاعه دون اضرار بالمصلحة العامة على اعتبار أن ما يتقاضاه مأخوذ من ارباح المقاولين لا من ميزانية الدولة . ومنهم من يعفي من المسألة الاخلاقية تماما ويتصرف كما لو كان قبول الرشوة أمرا طبيعيا كشرب الماء والاكل والتنفس ..



حمزة شحاتة — حسين سرحان

• ولكن الرشوقراطي رغم هذا كله لا يعرف السعادة .

• لا يستطيع الرشوقراطي أن يسعد بثروته . فهو من ناحية مضطر الى ستر الجزء الاعظم من ماله . بل ان بعض الرشوقراطيين يبدون ضيق اليد بطريقة مبتذلة بذيئة يأنف منها أشد الناس فقرا . وهو من ناحية أخرى مشغول بجمع المال عن الاستمتاع بانفاقه ..

• والرشوقراطي لا يستطيع أن ... لهذا التركيز المشترك باستمرار طرق ... من ... الرشوقراطي ... من الاصدقاء ... السعادة ..

• والرشوقراطي لا يسعد بنشاطه الذي يتحول الى لهاث محموم لا يدع له دقيقة للاسترخاء . والرشوقراطي في العادة متوتر الاعصاب ، ولا يجد وقتا يقضيه مع عائلته وأولاده .

• والرشوقراطي لا يستطيع أن يسعد بحديثه عن المبادىء والاصلاح . بهذا الحديث رنة خداع تقرع سمعه قبل أن تقرع آذان المستمعين . حديث الرشوقراطي عن المبادىء كعزف العود في الاوتار المقطعة .

• والرشوقراطي لا يسعد باحترام الناس . فهو يدرك أن الاحترام موجه الى مركزه قبل أن يكون موجها الى شخصه . وهو يدرك انه لا يستحق الاحترام . وهو يسحق بشفاعته عندما تلتقي عيناه بعيني موظف آخر تعرض للمغريات فكان أكبر منها ، وآثر أن يعيش بجيب خال وضمير مليء بالتعب والشقاء والاهمال ... وكيف يستطيع الرشوقراطي أن يحترم نفسه وهو يدرك أن روحه ، والروح أثمن شيء لدى الانسان ، مطروحة في المزاد كأي قطعة من أثاث قديم مستعمل ... ؟

والحقيقة أن موضوع « الرشوقراطية » من الموضوعات التي تستأثر باهتمام الناس في كل البلاد العربية دون استثناء . ومواجهة هذا الداء تمثل معظم محاولات الاصلاح والتطهير الاداري . ولم أجد كاتبا عربيا عالج هذا الموضوع بمثل هذه الجرأة وهذه البراعة التصويرية الفنية كما فعل الدكتور غازي القصيبي . واذا كان ذلك يدل على براعة الكاتب وصراحته ، فانه يدل أيضا على قدر من مناخ الحرية التي أخذ يتمتع بها الادب السعودي .

وبعد ... فتلك ثلاثة أصوات من الادب السعودي السافر من فترات مختلفة ..

وهي أصوات تركناها تتحدث عن نفسها ، وتترك الآن للقارىء أن يحكم على المستوى الفني والموضوعي الذي تتصف به .

واذا جازت لنا كلمة أخيرة فهي أن أدبنا في الجزيرة العربية والخليج كاللؤلؤة التي في المحارة يستحق الغوص الطويل المتمعن .. وكالذهب الاسود الكامن في باطن الارض الطيبة يستحق التنقيب الدؤوب الصبور .. وان علينا أن نكتب تاريخنا الادبي من جديد ، بعيدا عن أهواء دور النشر والدعاية في القاهرة أو بيروت .. تلك الدور التي تعتبرها مسئولة عن « ممالئة » بعض الاقزام .. وتكريم بعض العمالقة !!

الدكتور محمد جابر الانصاري

عبد الوهاب الأسواني

حديث مع رجل نقي السريرة



لم أر في حياتي انسانا يحب الجنس البشري ويدافع عنه كما يفعل هو ..

التقيت به في احدى الندوات الثقافية فجلست بجواره وانا اشعر بالأمان المطلق .

قبل ان ابدأ معه حديثي ، اشار الى رجل كان يتكلم في الندوة وسألني : تعرفه ؟

ـ وجهه ليس غريبا عني ..

ـ انه الاستاذ سليم سالم السلمي ..

ـ الكاتب الصحفي ؟

قال بحماس ابوي :

ـ هو من افضل من انجبتهم الصحافة العربية في تاريخها لولا الموضوع الاخير ..

ـ اي موضوع ؟

ـ في لحظة ضعف اختلس ربع مليون جنيه وكاد مستقبله يتحطم لولا ان سارع الموسيقار الكبير (طلعت الازرق) باستخدام نفوذه في تسوية المسألة كرد للجميل ايام المحنة ..

ـ اي محنة ؟

لوح بيده قائلا في ضيق :

ـ هذه المسائل تافهة ولا ينبغي ان نشوه بسببها سمعة اعلامنا الكبار الذين صنعوا نهضتنا الحضارية . سيما وانني اعتبر الموسيقار (طلعت الأزرق) هذا شيئا اساسيا عندنا .. كانه الهرم الاكبر او نهر الفرات . ويكفيه انه كشف لنا موسيقى ابراهيم الموصلي ..

ـ ابراهيم الموصلي من ؟ .. اتعني ذلك الموسيقى الكبير الذي كان يعيش في العصر العباسي الأول ؟

ـ هو بعينه .. فقد ترك لنا تراثا موسيقيا ضخما ، اهمل على مر العصور حتى جاء (طلعت الازرق) وقدمه لنا ..

ـ ولكن مبلغ علمي ان مؤلفات الموصلي .. ومعها الموسيقى العربية القديمة ضاعت كلها لأن التدوين الموسيقي لم يكن معروفا في ذلك الوقت ،

ضحك وهو يقول :

ـ هذا مفهوم خاطئ وقعنا فيه جميعا .. لأن الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر ، عثر على مدونات (الموصلي الموسيقية وحاول ان يفك طلاسمها فلم يستطع ، فاستعان بمخترتنا الموسيقية الحديثة (طلعت الازرق) ، ومن هنا كان سبب تورطه مع المخابرات

ـ اي مخابرات ؟

ـ طلعت الازرق اذاع موسيقى (الموصلي) على الناس على انها من تأليفه ، فغضب جان بول سارتر ، ونشر مقالا في صحيفة فرنسية ، اتضح لنا منه انه هو الذي فك طلاسم مدونات (الموصلي) .. فانتهزت مخابرات العدو الفرصة ، وساومت طلعت الازرق على ان تسوي له الموضوع في الصحافة

الفرنسية بشرط أن يتعاون معها فوافق ؟ .. ولما كشفت مخابراتنا الامر ، تكشفت معها مسألة الموسيقى اليونانية ..

ـ اى موسيقى يونانية ؟
ـ اعنى تلك التى دونها ابراهيم الموصلى ونسبها الى نفسه !
ـ هل افهم من هذا ان (الموصلى) سرق هذه الموسيقى ؟
تجهم وجهه وقال بعصبية :
ـ قلت لك الف مرة ما ينبغى ان نشوه سمعة اعلامنا من اجل هذه الصغائر ، سيما وان (الموصلى) ليس اسوأ من جان بول سارتر الذى اتضح انه كاتب لأن الذى فك طلاسم هذه المدونات هو « بيتهوفن » ..

ـ تقصد « بيتهوفن » الموسيقى المعروف ؟
ـ هو بذاته .. وهذه المدونات هى السبب المباشر فى الصمم الذى اصابه بعد الصدمة المشهورة ..
ـ اى صدمة ؟
ـ صدمة البوليس وهو يقتحم بيته ويعلن على الناس ان جميع سيمفونيات بيتهوفن مقتبسة من هذه المدونات !
ـ بيتهوفن ؟!
ـ لاتنس ان بيتهوفن يعتبر ملكا للبشرية كلها ولا ينبغى ان نشوه سمعته سيما وانه كشف لنا الكثير عن اسرار حرب المغول ..
ـ وما علاقة حرب المغول بالموسيقى المسروقة ؟
ـ البوليس عثر على المدونات المسروقة على مجموعة رسائل متبادلة بين المؤرخ القديم « ابن الاثير » وبين زوجة « هولاكو » الاسترالية !
ـ وهل كان لهولاكو زوجة استرالية ؟
ـ كانت من اجمل نساء الارض واعلمهن .. لها مؤلفات فى الادب والفلسفة والنقد الموسيقى .. وسبب مراسلاتها مع المؤرخ العربى « ابن الاثير » هو المدونات الموسيقية التى نحن بصددها .. فهى التى اكتشفت ان (الموصلى) قد سرقها من الفنانين اليونان !
ـ واضح طبعا ان الموسيقى المسروقة من تاليف الفنانين اليونان ..
ـ اليونان قدموا للبشرية تراثا ضخما فى كل المجالات ، ولا احد يستطيع ان يحط من قدرهم ، رغم ما هو ثابت من انهم نهبوها من فارس القديمة !
ـ نهبوها !
ـ الم ينتصر الاسكندر المقدونى على الفرس ؟ .. اياميها اتت الفلسفة والعلوم والفنون ـ ومعها الموسيقى المذكورة ـ الى اليونان مع غنائمهم فى هذه المعركة
ـ اذن الموسيقى التى نتحدث عنها ، من نتاج ذهن ابناء فارس القديمة ..
ـ فارس القديمة لها الفضل على الجنس البشرى كله ، مع احترامنا لما قالته زوجة هولاكو الاسترالية فى رسائلها من ان فارس القديمة قد اقتبست كل هذا التراث العلمى والفنى من الشعوب التى اخضعتها !
ـ ومن اين جاءت زوجة هولاكو بهذه المعلومات ؟

ـ لا شك فى هذه المرأة الفاضلة التى عاشت مع هولاكو ما يقرب من ثلاثين عاما تنشر العلم والفن الى الدرجة التى لم يكن يستطيع العيش بدونها حتى انه لم يطلقها إلا بعد اكتشافه للخديعة !
ـ اى خديعة ؟
لوح بيده فى وجهى كأنه ينهرنى :
ـ مايجب ان نخوض فى اعراض الناس ، سيما وان المرأة من اعلام الانسانية ، لكن يمكنك ان ترجع الى هذه الواقعة فى تاريخ (الطبرى) ، بالذات فى الجزء التاسع من حوادث



السنة التى قدم فيها البراهين على ان كل تاريخ « ابن الاثير » مقتبس !
ـ الطبرى قال هذا ؟ !
ـ هو اضطر فى اثبات هذا بعد ان كان « ابن الاثير » قد ذكر فى تاريخه قصة « عامر بن قحطان » ..
ـ عامر بن قحطان من ؟
ـ كيف لا تعرف مفخرة الامة العربية .. المهندس الذى بنى سد مارب ؟!
ـ اتعنى سد مارب العظيم ابان ازدهار الحضارة العربية فى اليمن ؟
ـ هو نفسه .. وحينما كان هذا المهندس العبقرى يقيم فى بيت الجد الاعلى للطبرى ، استولى هذا منه على التاريخ !
ـ اى تاريخ ؟
ـ تاريخ الطبرى
ـ لا افهم .
ـ سأشرح لك .. المهندس العبقرى كان يحمل معه كتب التاريخ ـ التى نعرفها الآن باسم « تاريخ الطبرى » ـ بغرض توصيلها فى صاحبها الأصلى .. فانتهز الجد الاعلى للطبرى فرصة ذعر المهندس من البوليس اليمنى ، فسلمه للبوليس ، واخفى الكتب عنده ، ولما ولد حفيده ـ الذى نعرفه ـ نسب الكتب الى نفسه !
ـ ولماذا كان المهندس مذعورا من البوليس ؟
ـ هذه عبقرية منسية علينا ان نحافظ عليها من اى تشوهات ، ولكن هل تستطيع ان تنكر واقعة انهيار سد مارب
ـ لا كل الروايات التاريخية تقول انه انهار فجأة ..
ـ ها انت قد توصلت الى السبب بنفسك .. فالمهندس احتفظ لنفسه بعشرة ملايين دينار ـ ثمن الحجارة التى كان ينبغى ان يبنى بها السد ـ ووضع مكانها ترابا معجونا بالقش ، ولما انهار السد ، هرب !
ـ انتبهنا على موجة عالية من التصفيق استقبلت بها الندوة المتحدث الجديد ، وكان فنانا تشكيليا معروفا ..
اشار اليه وقال لى فى حمض ابوى :
ـ هو اعظم فنان تشكيلى فى منطقة الشرق الاوسط لولا الفضيحة الاخيرة !!



من المسألة الكروية.. إلى المسألة الإتحادية

لست من المتحمسين للكرة .. ولست من المولعين بالتلفزيون ومع ذلك فالفكرة شدتني لمشاهدة المباراة التي كانت تعرض على الشاشة الصغيرة ..

كان هناك من جهة فريق ألماني ..

وكان هناك من جهة أخرى فريق خليجي مشترك من الكويت والبحرين وقطر والسعودية والإمارات ..

ولأول مرة نشاهد فريقاً خليجياً مشتركاً يواجه « قوة أجنبية » على ساحة دولية ..

صحيح أن « القوة الأجنبية » هي فريق كرة قدم الماني .. لا أكثر ..

وصحيح أن « الساحة الدولية » هي ساحة للعب بالكرة لا أخطر ..

ولكن « الرمز » في المشهد كله يبقى له مدلوله العميق .. لقد تعودنا أن نرى فرقنا الرياضية « تتوحش » على بعضها في أغلب المباريات .. وتمارس عصبياتها المحلية في أكثر المناسبات .. ولكن هاهي قد تمازجت وأخرجت أفضل ما عندها في فريق مشترك واحد ، يخوض مباراة واحدة ، من أجل هدف واحد .. هو مواجهة الفريق الألماني الأجنبي ..

وكان خبراً سعيداً جداً أن استطاعت بلداننا الخليجية « الاتفاق » على تكوين فريق رياضي موحد .. والخير لقدام .. وتفاءلوا بالتوحيد تجدوه ..

ويشاء القدر أن يعطينا عظة من سير المباراة ..

ينتصر الفريق الألماني على الفريق الخليجي في البداية بخمسة أهداف .. وتبدو الهزيمة شبه مؤكدة ..

ولكن يعدل الفريق الخليجي صفوفه ، ويستخرج طاقاته ، ويخرج العناصر الضعيفة من الساحة ويعود إلى الاحتياطي الذي تحت تصرفه من بلدان الخليج كلها ، ويغير هنا ويستبدل هناك حتى إذا نزلت الطاقات « الكروية » الخليجية كلها إلى الساحة ، تبدل الموقف ، ورد فريقنا الضربات إلى الفريق الأجنبي واحدة بواحدة .. وخرجنا ونحن متعادلون مع ألمانيا ..

مشهد رمزي جميل وعميق لو كنا نفقه ونفكر ، ونتجاوز حماس « الكورة » إلى جدية المصير القومي ..

لماذا لا نؤلف كلنا .. كشعوب وأوطان وجيوش وحكومات .. فريقاً مشتركاً واحداً بمواجهة فريق الأطماع الدولية ، والتصدي لفريق القوى الاستعمارية والصهيونية التي تحيط بساحتنا العربية من كل جانب ؟

أليست هذه هي المباراة المصيرية ؟

أليست هذه هي الساحة الحقيقية ؟

أليس هذا هو « الفريق » الموحد المطلوب منا بإلحاح تكوينه قبل فوات الأوان ؟

العجيب الغريب في المسألة الاتحادية عند العرب .. ولدى الخليجيين .. أنهم جميعاً مؤمنون بالوحدة والاتحاد على المستوى النظري والكلامي .. لا يوجد بينهم « انفصالي » واحد ولله الحمد من أكبر المسؤولين إلى أصغر المواطنين .. وعندما تسأل أياً منهم : هل تؤمن بالوحدة ؟ يبادرك بالتأكيد على أنها أغلى أمانيه وأعز غاياته .. وهات يا قاموس البلاغيات العروبية ..

ولكن عندما تصبح الوحدة مسألة تجاوز للحدود الصغيرة والمصالح الذاتية ، فإنها تحتاج .. عندئذ .. إلى دراسة متأنية لا بأس إذا امتدت للقرن الحادي والعشرين وما بعد .. وحتى لو تم تقسيم بلاد العرب والاسلام بين الجيش الاسرائيلي في القدس والجيش الروسي في أفغانستان ... ويكفينا أن نتصور « اتحادنا » على ملعب الكرة .. وحماسة الكرة .. وبهرج الكرة ..

عندها سيقول عنا التاريخ هؤلاء قوم استطاعوا أن يتحدوا في ساحة اللعب .. وعجزوا عن الاتحاد في ساحة الجد والمصير ولكن مالنا ولهذا الهم والغم الذي لا يريد سماعه أحد ؟ لقد كانت مباراة ممتعة ومسلية جداً ..

واللعب كورة .. اللعب !!

هكذا تقول أغاني « التصفة » الجماهيرية في المواسم الكروية .. فهيا نلبي النداء .....!!

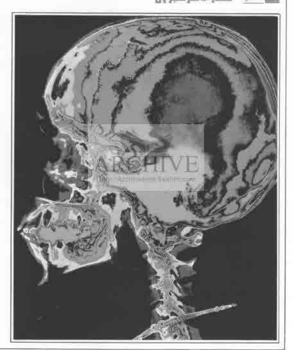
دكتور محمد جابر الانصاري

عقار الأنترفيرون

إعجاز الطبيعة والطب

لا حديث في الأوساط العلمية والطبية هذه الأيام إلا هذا الدواء المعجز ـ الانترفيرون ـ الذي يشيع الأمل في قلوب ملايين المرضى الذين يعانون من ويلات السرطان ومختلف الأمراض الخطيرة التي تسببها الفيروسات.

وهو السلاح الذي أودعه الله سبحانه جلت قدرته في جسم الإنسان يشهره للدفاع عن نفسه متى تعرضت خلايا الجسم لغزو من الفيروسات أو الأحماض النووية



وهذا العقار عبارة عن بروتين كبير الجزئ، ويشبه الهرمون ، تفرزه الخلايا في كل الحيوانات الفقارية . وقد تم اكتشافه عام ١٩٥٧ في المعهد القومي للبحوث الطبية بجامعة اكسفورد بانجلترا ، عندما كان عالم الفيروسات البريطاني السيد اليك ايزكز والعالم السويسري جان ليندمان يقومان بتقصي ظاهرة غريبة وهي ان الانسان لا يصاب بالعدوى إلا من فيروس واحد في المرة الواحدة ، فقد وجدت من واقع التقارير الطبية حالات عن اسر كاملة اصيب افرادها بمرض الجدري ما عدا طفل صغير كان وقتها مصابا بالحصباء ، وكانما الاصابة بالحصباء قد وفرت له حماية من مرض اشد خطرا هو الجدري .

ولايجاد تفسير وتعليل لهذه الظاهرة ، قام الباحثان بحقن خلايا من اجنة الدجاج بفيروس الانفلونزا ، وحصلوا على مادة تحمي خلايا الصوص (الكتاكيت) من فيروس الانفلونزا وفيروسات اخرى واشتقا لهذه المادة اسم انترفيرون ، لانها تتدخل في عملية العدوى بالفيروسات .

والانترفيرون مادة نشطة وفعالة للغاية ، رغم ان الوحدة البيولوجية الواحدة منه لا تزن إلا واحدا على مليون من المليون من الجرام ، ولسرعته وتعدد قدراته فان الانترفيرون ينشط ضد الفيروسات في ساعات ، وبذا يسبق بزمن كبير في تاثيره ما يعرف بدفاعات المناعة في الجسم .

وقد جرب الانترفيرون ضد مجموعة واسعة من الامراض التي تسببها الفيروسات ، كالزكام والجدري و امراض العيون والتهاب الكبد (الصفراء) والحصباء والقوباء الموضعية . فجاءت النتائج مبشرة ضدها جميعا .

وهو ليس مادة مضادة للفيروسات فحسب بل انه يبطيء نمو الخلايا ، ويغير ويضبط ترددا في نظام المناعة في الجسم . وربما كان هذان الأثران الاخيران وراء ما تردد عن القوة المضادة للاورام ، والذي اثار الاهتمام القلق بالقيمة العلاجية للانترفيرون .

ويجري استخدام الانترفيرون في مكافحة انواع معينة من السرطان ، لأنه يبطيء عملية انتشار الخلايا السرطانية ويحدث تحسنا في الاستجابة ضد الخلايا السرطانية في نظام المناعة الطبيعية للجسم . ويبدو ان الانترفيرون يصعد نشاط نوعين من خلايا المناعة ، هما الخلايا القاتلة عموما ، والخلايا المتخصصة ، القاتلة طبيعيا والتي تهاجم الاورام . ولم يعرف بعد على وجه التحديد الكيفية التي يؤثر بها الانترفيرون في عملية انشطار الخلايا ، وعلى نظام مناعة الجسم ، ولكن تمت معرفة الكثير عن الكيفية التي يحمي بها الخلايا فهو يعمل على النحو التالي :

١ - عندما تصاب الخلية بالفيروس ، فانها تفرز الانترفيرون ، ولكن ما تفرزه لا يقوى على انقاذها ، فالغرض منه هو حماية الخلايا المجاورة لها ، والتي لم تصب بعد ، وبذا فان الانترفيرون الذي افرزته الخلية المصابة يسيل منها ويتحد بالخلايا المجاورة لها .

٢ - ويقوم هذا الانترفيرون المتدفق من الخلية المصابة بتنبيه الخلية الجارة لتقوم بانتاج مادتين لهما تخصص فائق متى هاجمها الفيروس .

٣ - احدى هاتين المادتين انزيم يستعير بعض الفوسفات من مادة الخلية نفسها ويقحم هذا الفوسفات في مادة يحتاج الفيروس اليها لينتج بروتينه . وبهذا الاقحام تتعطل عملية تركيب تلك البروتينات التي يحتاج الفيروس اليها .

٤ - والمادة الثانية هي انزيم اخر ايضا ، يحث عملية انتاج مركبات فريدة وانزيما اخر هو الذي يقوم بتدمير جينات الفيروس .

فالانترفيرون هو احد انظمة الدفاع الطبيعي في الجسم ، ويتكون من نوعين من خلايا الانسان هما الليوكوسايت (كريات الدم البيضاء) والفيبروبلاست (وهي من خلايا الجلد والعضلات وبعض انسجة الربط الاخرى) ويعتقد ان كل نوع من انواع الحيوان ينتج نوعا خاصا به من الانترفيرون ، وان الانترفيرون رهين للنوع الذي ينتجه ، اي ان الانترفيرون الذي ينتجه جسم الانسان هو وحده الذي يتمتع بمفعول على الناس . وهنا تكمن صعوبة انتاجه على نطاق تجاري واسع .

ويشكل استخلاص الانترفيرون من خلايا الجسم معضلة كبرى لانه ينتج في كميات على نطاق محدود ، ولان خلايا الانسان يصعب تطويعها لطرق الانتاج التجاري الواسع

ويمكن للانترفيرون الذي تنتجه الكريات البيضاء ان يكون مثاليا للعلاج الذي يعتمد على الحقن ، وذلك لسرعة انتشاره وجريه في الدم فور حقنه . اما الانترفيرون المستخلص من الفيبروبلاست فانه يميل الى الالتصاق باول شيء يجده امامه ولذا فهو يصلح للعلاج الموضعي ، ولكن الكريات البيضاء لا تعيش طويلا خارج الجسم ، ولا يمكن زراعتها في المختبر بل يتوجب استخدامها مرة واحدة ودون ابطاء .. ثم تلفظ .

وينتج معظم الانترفيرون المتوفر حاليا من فنلندا ، حيث يتم استخلاصه بتكلفة عالية من كريات الدم البيضاء التي تجمع من الدم المتبرع به للصليب الاحمر وقد قام الدكتور كاري كانتيل بالمختبر المركزي للصحة العامة بهلسنكي بتطوير طريقة للحصول على كميات مستمرة من الكريات البيضاء وذلك باستخلاصها من مخلفات الدم بعد ان يتم تقسيمه الى بلازما وكريات حمراء ومواد نافعة اخرى . وتنتج الشركة حوالي مائة مليجرام من الانترفيرون (اي ١٠٠٠٠ بليون وحدة) سنويا من مقدار ٦٥ الف زجاجة من الدم ، وبتكلفة خمسة ملايين دولار . وتكفي هذه الكمية لعلاج ٥٠٠ مريض بالسرطان . ويكلف الواحد من المليون من الاوقية من الانترفيرون حوالي الف وخمسمائة دولار ، اي ان الرطل منه يكلف ٢٤ مليون دولار .

ومن الجلي ان الحاجة ماسة لكميات اكبر من الانترفيرون وبتكلفة اقل حتى يمكن اختباره للتحقيق من فعاليته في علاج السرطان والكيفية التي يتم بها ذلك . ولذا فان البحث ما زال مستمرا في المجال الطبي والعلمي لايجاد طريقة اقتصادية لتوفير الانترفيرون وانتاجه على نطاق تجاري اجمالي . ولو تم ذلك لتحقق انجاز كبير في المعركة ضد انواع معينة من السرطان اذا صدقت التجارب الاولى لاستخدام الانترفيرون



عقار الانترفيرون



فى كونه قادرا على ايقاف الفيروسات وكبح نمو خلايا الاورام .

إن القيمة الكبرى للعقار الطبيعى انه لا يسبب تلك المضاعفات الجانبية التى تصاحب العلاج الكيمائى التقليدى للسرطان . وبالطبع فان شركة الادوية والعقاقير التى ستنجح فى ايجاد طريقة لإنتاج الانترفيرون على نطاق واسع ستحتكر السوق بصفقة لا حد للربح فيها . ولذا فإن الحفز على تطوير صناعة الانترفيرون كبير للغاية ، الامر الذى يعطى املا فى الشفاء لمئات الآلاف من مرضى السرطان والمصابين بامراض فيروسية خطيرة .

واليوم فإن العيادات ذات الامكانيات المالية الكبرى هى وحدها التى تقوى على التنافس للحصول على الكميات الضئيلة الموجودة من الانترفيرون . فالعلاج التجريبى لمريض واحد بالسرطان ، مثلا ، تكلف مايتراوح بين عشرة آلاف الى عشرين ألف دولار .

وقد اعدت شركات عديدة برامج لانتاج الانترفيرون لتضيف الى ما تصنعه هلسنكى .

وقد اعدت المؤسسة القومية الامريكية لتطوير البراءات مصنعا رائدا لانتاج الانترفيرون فى وقت مبكر من هذا العام ، ويبلغ انتاجه السنوى المتوقع بثمانين بليون وحدة من الانترفيرون . ولكن ذلك لن يكفى إلا لعلاج ٣٠٠ مريض بالسرطان .

وقد طورت سلفرت بارد وطاقم بلندن طريقة اخرى لانتاج الانترفيرون المستخلص من الكريات البيضاء من ، خلايا محولة . والخلايا المحولة هى خلايا بشرية عقيمة يمكن معالجتها لتنمو كخلايا السرطانية ، ويمكنها ان تتكاثر فى سرعة فى وعاء التخمير (وعاء التخمير) ، مما يعطى مؤشرا بامكانية تطوير هذه العملية الى مستوى عال نسبيا من الانتاج التجارى الواسع . ولكن تصاحب هذه الطريقة بعض السلبيات .. اولها خطر التلوث الفيروسى . فالخلايا العادية يجب ان تخضع للعدوى بفيروس معين كيما يتم انتاج الخلايا المحولة . وهذا الفيروس هو الذى يسبب الحمى القطرية للنواة الاحادية ، كما انه يدخل فى نوعين من انواع حالات السرطان فى الانسان . وهو حين يصيب الخلية لايجعلها تفرز المزيد من الفيروسات ، بل يسبب تكاثرا فى الخلية المصابة عن طريق التوالد المستمر ولذا فإن ضرورة الحرص على التنقية الشديدة أمر حيوى .

وهناك احتمال آخر يسعى الباحثون لتحقيقه . وهو ان يتم حفز طاقة الجسم نفسه لينتج الانترفيرون ، ويتم حاليا فحص مواد كثيرة معروفة بأنها تحفز الجسم على انتاج الانترفيرون . ولا يخلو هذا ايضا من مشاكل وصعاب .. اولها حدوث تأثيرات جانبية كالتسمم . كما ان الاختبارات التى اجريت على الحيوانات تشير الى ان الجسم يطور مقاومة لهذه الحوافز نفسها . وبالرغم من ذلك يرى الباحثون فى امريكا انه يمكن التغلب على هذه المعضلة بمزيج من الحوافز ومركبات شبه هرمونية تسمى البروستاجلاندينات .

ويبدو ان هندسة الجينات تعطى الامل الاكبر لانتاج الانترفيرون بشكل تجارى .. وذلك بربط الجينة التى تصدر الامر بانتاج الهرمون او البروتين المطلوب بنوع من البكتريا

التى لا غنى عنها ، ثم حفز هذه المصانع الدقيقة على انتاج كمية لا حد لها من البروتين . وقد استخدمت طريقة ربط الجينات وجدلها من قبل فى انتاج الانسولين البشرى والسوماتوستاتين ، وهو هرمون يكبح النمو ، ويستخدم فى السيطرة والتحكم فى تضخم الغدة الصماء .

وتجرى المنافسة بين مجموعات عديدة فى محاولة القيام بربط الجينات التى تأمر بانتاج الانترفيرون فى جسم الانسان وتلك عملية طويلة ، شاقة ، مخادعة ، كما يجرى البحث لتحديد تركيبها ، ومتى تحقق ذلك سيصبح من الممكن انتاج الانترفيرون نقيا ، صافيا .

وفى منتصف يناير اعلن فريقان هما شركة بيوجن للتكنولوجية البيولوجية ، ومقرها بجنيف بسويسرا ، ومعهد روش للأحياء الجزيئية ، انهما قد توصلا بنجاح الى حفز بكتيريا هكولى على انتاج الانترفيرون البشرى . وقام بتطوير هذا العمل لشركة بيوجن استاذ الاحياء الجزيئية بجامعة زيورخ ، وزملاء له من سويسرا وفنلندا واليابان .. وذلك على النحو التالى :

ان خلايا جسم الانسان كلها تقريبا تفرز الانترفيرون . وهذه الخلايا تتلقى الاوامر بانتاج الانترفيرون من جينة معينة فى احماضها النووية وتمر هذه التعليمات الى مراكز انتاج البروتينات بواسطة جزيىء جينى يعرف برسول الحامض النووى . وقد استخلص هؤلاء العلماء هذا الرسول من كريات الدم البيضاء التى تنتج الانترفيرون ، واستخدموها فى اخراج من الاحماض النووية كانوا يؤمنون ان تحتوى على الجينة المطلوبة . وذلك عمل شاق لان كريات الدم البيضاء تحمل ما يقارب الالف رسول حامضى ، ولكل واحد منهم تعليمات خاصة عليه تنفيذها ، وواحد منها فقط موكل إليه التعليمات الخاصة بانتاج الانترفيرون .

ثم قام الفريق بربط اجزاء الاحماض النووية الى جينات الباكتيريا هـ كولى ، وقامت هذه البكتيريا بانتاج نظائر لنفسها بعد ان تكبرت ، واخيرا تمكن الفريق من انتاج ٢٠ الف صورة نظرية من البكتيريا .

ولتحديد واحدة من بين هذه الصور النظيرة للبكتيريا تكون هى الحاملة للحامض النووى للانترفيرون ، وقام العلماء بتحليلها على مجموعات متتالية فى تناقص اعدادها .. فبدأوا بخمسمائة منها فى المرة الواحدة ، ثم باربع وستين ، ثم بثمانية) ثم عزلوا الجينية فى كومة من التبن .. فكانت البكتيريا الحاملة للاحماض النووية للانترفيرون .

وبعد عثورهم على واحدة من هذه البكتيريا تمكنوا من تحديد الجينات فى سهولة ، واستخلصوا جزيئات الاحماض النووية ، ثم قام الفريق بتوزيعها على اماكن مختلفة ، وبدأت البكتيريا فى انتاج شبيه بالانترفيرون ... ولكن الكمية التى انتجتها هذه المصانع الصغيرة الدقيقة كانت قليلة جدا ، وغير نقية ، ومع ذلك فهى خطوة مبشرة .

ويأمل فريق شركة بيوجن فى تطوير نوع من البكتيريا عالية الانتاج خلال مدة تتراوح بين سنة الشهور وسنة . وهناك عقبات اخرى لابد من السيطرة عليها ، منها ما يبدو من عدم قدرة البكتيريا على ربط السكر الموجود فى البروتين الاصلى للانترفيرون ، وربما كان ذلك غير مهم ، فالبروتين الاصلى يرجح ان يكون هو نفسه ذا نشاط بيولوجى . ولا يعرف احد على وجه التحقيق دور هذه الملحقات السكريات فى جسم الانسان .... ومدى اهميتها او عدمها فى تأمين التصاق الانترفيرون بالخلايا التى يطلق عليها ليحميها من الاصابة ، وربما كانت تلك ملحقات من السكر لتساعد على جعل الانترفيرون مأمونا ، وذلك بإزاحته مباشرة بعد تأدية واجبه فى الجسم لان الانترفيرون قوى الفاعلية ، ويستبعد من الجسم الحى فى سرعة .

ومهما كانت الصعاب الفنية المرتبطة بانتاج الانترفيرون البشرى نقيا ، فليس هناك أدنى شك فى انه يقدم املا كبيرا فى كسب المعارك ضد الفيروسات والسرطان .

● هناك عقبات أخرى لابد من السيطرة عليها

● اشجع الأمل كبيرا فى كسب المعارك ضد الفيروسات والسرطان



حاجة الدول النامية إلى مزيد من العلماء

لم تقم الدول الغربية الصناعية المتقدمة بتوفير مراكز علمية دولية لطلاب الدول النامية .

وينادي البروفيسور عبد السلام العالم الإسلامي الحائز على جائزة نوبل للسلام بضرورة انشاء جامعات عالمية جديدة تحت ادارة منظمات هيئة الأمم المتحدة لإتاحة المجال للبحوث وتدريس العلوم لطلاب بلدان العالم الثالث النامية .

وقد جاء هذا النداء العلني في الخطاب الذي ألقاه أمام اللجنة التنفيذية لليونسكو بوقت قصير بعد منحه جائزة نوبل للفيزياء وميدالية اينشتين من قبل اليونسكو والبروفيسور عبد السلام باكستاني الجنسية ويشغل منصب مدير المركز العالمي للفيزياء النظرية .

مر تاريخ العلم مثله في ذلك مثل تاريخ الحضارة كلها بدورات ومراحل مختلفة .

لقد خرج اسكتلندي معدم يدعى مايكل من واد صغير معزول في هضاب بلاده قاصداً مدينة طليطلة باسبانيا يملكه حب الحياة والعمل في الجامعات العربية في مدينتي طليطلة وقرطبة حيث كان العلماء العرب يعلمون اجيالا كاملة قبل ذلك التاريخ .

كان ذلك قبل سبعمائة وخمسين سنة وقد وصل مايكل الاسكتلندي الى طليطلة عام ١٢١٧ م وشرع في تحقيق انجاز طموح هو تقديم الفيلسوف اليوناني الشهير ارسطو الى اوربا



اللاتينية وذلك بترجمة اعماله لا من اصولها باللغة اليونانية التي كان يجهلها ، بل من الترجمة العربية لتلك الأعمال ، والتي كانت تدرس في اسبانيا .

كانت جامعة طليطلة التي جسدت أروع تلاقح وتآلف بين الدراسات العربية والاغريقية واللاتينية والعبرية خير شاهد على التعاون العلمي في مجال العلم . وكان يفد إليها والى جامعة قرطبة علماء من دول الشرق الغنية ، كسوريا ومصر وايران وافغانستان ، مثلما يفد اليها علماء من دول الغرب النامية كاسكتلندا .. وما كان سبيل التعاون العلمي العلمي آنذاك خالياً من المشاكل والمعوقات ، وذلك بسبب التفاوت الاقتصادي والفكري بين اجزاء العالم المختلفة ، تماما مثلما هو واقع اليوم ولم يكن رجال مثل ميكال الاسكتلندي ومعاصره الفريد الانجليزي سوى افراد افذاذ وحالات نادرة لا تمثل أي مدارس للبحث والدراسة لها انتماءاتها وخصوصيتها في بلادهم . وبالرغم من كل المزايا الطيبة في العالم فلا شك يساور اساتذتهم في طليطلة في جدوى تدريبهم وحكمته وقيمته لأي بحث علمي متقدم وبالفعل ، نصح احد الاساتذة السيد ميكال الاسكتلندي بالعودة الى موطنه لجز صوف الاغنام وصناعة الملابس الصوفية !

وتتضح مسالة التفاوت العلمي في المراحل التاريخية اذا دققنا في التفاصيل المكتبية . لقد اختار جورج سارتون في مؤلفه الضخم الذي يقع في خمسة اجزاء حول تاريخ العلوم ان يقسم قصة الانجاز العلمي الى عصور ، يدوم كل عصر منها نصف قرن ، وخص كل نصف قرن بشخصية رئيسية ، وبذا تسمى الفترة من عام ٤٥٠ الى عام ٤٠٠ قبل الميلاد عصر افلاطون ، ويليه عصر ارسطو ، ثم عصر يوكليد وارخميديس وهلم جرا . اما الفترة من عام ٦٠٠ الى ٦٥٠ ميلادي فهي العصر الصيني ، حيث تربع هسوان تسانج . ويليها عصر شينج من ٦٥٠ الى ٧٠٠ م .

ثم تتوالى العصور العلمية حسب تقسيمه من عام ٧٠٠ الى عام ١١٠٠ م ، أي لمدة ٣٥٠ سنة متصلة ، هي عصور العلماء المسلمين ، عصور جابر والخوارزمي والرازي والمسعودي والوفائي والبيروني وعمر الخيام ، وهم عرب واتراك وافغان وايرانيون ، ينتمون الى حضارة الاسلام وثقافته .

ولم تظهر طلائع العلماء الغربيين من امثال غيرارد من كريمونا ، وجاكوب اناطولي وروجر بيكون إلا بعد عام ١١٠٠ ميلادية ، ولكنهم لم ينفردوا بالشرف وحدهم ، إذ شاركهم فيه رجال مثل ابن رشد وموسى بن ميمون والطوسي وابن نفيس الذي مهد لنظرية العالم هارفي في الدورة الدموية .

وبعد عام ١٣٥٠ م يأخذ نجم علماء الشرق في الأفول ، غير ان ومضات من نبوغ علمي تشع في بعض الاحيان ، مثل أعمال الوج بك في سمرقند عام ١٤٠٠ م والمهراجا جاي سينج في جيبور عام ١٧٢٠ م .

والتي صحح بعض الاخطاء الخطيرة في جداول الشروق والكسوف عند الغربيين في ما يقارب الستة ... وكما هو الحال في ميدان علم فن ... التي استخدمها سينج قد تم تجاوزها بعد تطوير التلسكوب في اوربا وكما كتب احد المؤرخين آنذاك ، فان كل العلوم في الشرق قد خبت حين اسجى جسد سينج في المحرقة .. كما هي العادة في الهند .



وهكذا ندخل هذا القرن حيث تم للدورة التي ابتدأها ميكال الاسكتلندي أن تكمل دائرة كاملة ، فنجد نحن ابناء الدول النامية انفسنا متوجهين الى الغرب لنيل العلوم . وكما كتب الكندي قبل ١١٠٠ سنة ، يجب الا نخجل من الاعتراف بالحقيقة والانتفاع بها والعمل بها أين جاءت وإن كان ذلك من قوم غيرنا غرباء علينا ، لأن من يقدر الحقيقة لا يرى قيمة لشيء غيرها ، وهي لا تحط من شأنه ، ولا تحقره .

وفي عصرنا هذا كان اول اسم نبغ في عالم الفيزياء هو س . ف . رامان الذي حاز على جائزة نوبل لعام ١٩٣٠ . وهناك يوكاوا وتوموناغا و اساكي ، ولي ويانق ، وتينق . والسير آرثر لويس ، الاقتصادي الجمايكي العظيم الحائز على جائزة نوبل في الاقتصاد لعام ١٩٧٩ .

إن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا الاطار ويستنفر اجابتنا هو : هل وقف العالم النامي بالاقدام راسخة على الطريق المؤدي الى بحث في العلوم وبثقة ، مثلما فعل الغرب في القرن الثالث عشر الميلادي على ايام ميكال الاسكتلندي ؟

ان الاجابة مع الاسف هي النفي . هناك شرطان لابد من توفرهما لمثل هذا البحث العلمي : اولهما وجود اماكن مثل طليطلة للقاء العلمي حيث يمكن للمرء ان يوقد شمعة من شمعة ...

وثانيهما هو ان تتوفر في العالم النامي الرغبة القوية لاعطاء اولوية قصوى لنيل المعرفة ، وازاحة كل الحواجز الداخلية التي تحول دون هذه الغاية . ولكن التكهن بما يمكن ان يحدث في هذا الصدد غير بين ، وغير مبشر .

فيما يختص بالنقطة الاولى ، نجد ان الفرص المتاحة للقاءات العلمية ماضية آخذة في التناقص السريع . لأن الدول التقليدية كالمملكة المتحدة وامريكا قد فرضت قيودا متزايدة على قبول الطلبة الاجانب ، ويبتهم طلاب الدول النامية ، بجامعاتها وقد اصبح جليا ان الدول النامية تحتاج الى مؤسسات وجامعات العلوم تحت ادارة الامم المتحدة ومنظمة اليونسكو ، ليس فقط جامعات علمية للبحث ، وانما لنوع عال من

التعليم لتدريس التكنولوجيا التقليدية والعلوم نظريا وتطبيقيا .

لقد كان من الممكن ألا يحظى العالم باينشتين بسبب بعض الحوادث العارضة كالمعوقات والمشاكل المالية والاقتصادية وغيرها ، والتى كانت تشله حتى فى بلد مثل سويسرا ، ومع الاسف فان نفس الشىء ما زال يحدث فى البلدان النامية ، وبصورة اشد تعقيدا . ويتضح كل ذلك باستعراض حالى : انا شخصيا لقد صرت باحثا فى علم الفيزياء بفضل احداث طارئة ثلاثة .. اولها الحرب العالمية الثانية ، فما ان اظهرت بعض القدرة والنبوغ فى العلوم حتى خطط لى كل من يريد لى الخير ، والدى واقاربى ، ان التحق بالخدمة المدنية الهندية التى كانت ذات شهرة انذاك ، ومنعت الحرب اجل امتحان الخدمة المدنية .. ولولا ذلك لصرت موظفا عاما الى يومنا هذا ! وللحرب ايضا يد فى بعثتى الى كمبردج للقيام بدراسات وبحوث ، إذ ان رئيس وزراء البنجاب ، وطنى انذاك ، كان قد جمع اموالا للمجهود الحربى . فما ان وضعت الحرب أوزارها حتى بقيت تلك الاموال دون توظيف ، فقرر انشاء صندوق يقدم المنح لابناء صغار المزارعين للدراسة فى الخارج . وقدر لى ان اكون احد المحظوظين ، وتم اختيارى ، وسافرت فى نفس العام ١٩٤٦ م الى كمبردج . وقد قدمت منح اخرى ولكن اصحابها لم يجدوا سوى وعد بالقبول بالجامعات الغربية فى الاعوام المقبلة . وبعد حين تم تقسيم شبه القارة الهندية ، وبذا اختفت المنح الدراسية . فكان النجاح الوحيد الذى اصابته جهود رئيس الوزراء انذاك هو ابقائى للدراسة والبحث فى كلية سنت جون بجامعة كمبردج حيث البروفيسور ديراك .


العالم الباكستاني عبد السلام

أينشتين

[illegible]

الرازي

جابر بن حيان

ابن رشد

عمر الخيام



مركز الفيزياء النظرية

ووقع الحادث الثالث بعد عودتي الى الباكستان لاقوم في ان واحد بتدريس ومحاولة تاسيس مركز للبحوث. وقد وضحوا لي بشكل صريح استحالة ذلك، وكان علي ان اختار بين البحث في مجال الفيزياء او موطني. فاستقر رايي في الم وغم شديدين على اختيار المنفى، وهذا الالم هو الذي دفعني الى ان اقترح انشاء مركز عالمي للفيزياء النظرية تتعهده الباكستان برعاية كبيرة وفعالة وتشترك معها دول نامية اخرى. وتقوم الفكرة على ان يمنح المركز ما نسميه الانتساب، حتى يتسنى لكل شاب يستحق هذا الانتساب ان يقضي اجازته في بيئة عمل مشجعة ومنشطة، بين رصفاء له في اتصال حميم، يستعيد لذهنه الحيوية والافكار الجديدة، ويبقى له مع ذلك فترة تسعة اشهر من عامه الدراسي يقضيها في جامعة ببلده.

وقد انشيء المركز بعون فعال من اليونسكو ومساعدة كريمة من حكومة ايطاليا ومدينة تريستا، بواسطة الوكالة العالمية للطاقة الذرية في تريستا عام ١٩٦٤. ودخل اليونسكو في شراكة متكافئة مع الوكالة في عام ١٩٧٠ م وخلال الخمسة عشر عاما لوجود المركز انتقل اهتمامه من الفيزياء الاساسية والاولية الى مواد ذات صلة بالفيزياء النظرية والتطبيقية كالفيزياء المواد، وفيزياء التفاعلات، وفيزياء المصادر الشمسية وغيرها من المصادر غير التقليدية، والفيزياء الجغرافية، وفيزياء المحيطات والصحارى، وتحليل النظم، بالاضافة الى فيزياء الطاقة العالية، وجاذبية الكم، وعلم الكونيات، والفيزياء الذرية والنووية والرياضيات. وفي كل سنة، يقضي قرابة ١٥٠٠ فيزيائي، نصفهم من الدول النامية، حوالي ستة اسابيع او اكثر في هذا المركز، ويحضرون ندوات مطولة، ويشتركون في حلقات عملية للبحوث. وقد اصبح المركز مفخرة لليونسكو، وقوى موقف الفيزياء في العالمين النامي والمتقدم، ولكنني في الخمسة عشر عاما التي قضيتها فيه، كنت احس باطراد بانني مقيد، وخاصة في الوقت الحاضر. لقد كنت دائم الاعتزاز والفخر بانني اقضي نصف يومي في البحث ونصفه الاخر في الادارة، لكنني وجدت ان ذلك المجرى سيتحطم في الخمس سنوات الاخيرة، ليس ذلك لان العمل الاداري [illegible] وصار مرهقا [illegible] لان شهرة المركز نفسه ووضعه في جو المؤسسات العالمية قد زادت، ومنذ وجوده فانه غير مؤكد من سنة لاخرى. وباختصار فان نصف ميزانية المركز تدفعه الحكومة الايطالية وتتقاسم دفع نصفه الثاني وكالة الطاقة الذرية الايطالية ومنظمة اليونسكو.

انني مدرك تماما محدودية اليونسكو في الاضطلاع بمسئوليات مثل هذه المشاريع، فقد حدد اليونسكو التزامه المفوض له فيما يخص مثل هذه المؤسسات منذ ٢٤ عاما. فهو يقوم بمبادرة انشائها ويسهم في خلقها، ولكنه لا يخطط برنامجا طويل المدى لدعمها. ان حقائق الوضع الحالي تتطلب مراجعة هذا الالتزام المفوض له، وايجاد اموال ثابتة لتحقيق ذلك. وكما قلت سابقا فان العالم يحتاج اليوم الى مؤسسات دولية تتمتع بالاستقرار وشروطه على الصعيد التطبيقي للعلوم، مؤسسات مثل معاهد البحوث في مجال القمح والارز والتعليم والفيزياء كالمركز العالمي للفيزياء النظرية.

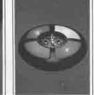
ولزملائي الكرام في اللجنة التنفيذية لليونسكو اقول: اننا ان لم نجد طرقا ووسائل لابقاء المبادرة التي اتخذناها عام ١٩٧١ حية، خاصة وقد حظيت باعتراف وتقدير عالميين لاهميتها القصوى لعالمية الفيزياء وسلامتها في العالم النامي، فمن غيرنا يستطيع ذلك او يريده؟

ان مؤسسات كالمركز العالمي للفيزياء النظرية يجب ان تصبح جزءا حيا ومستمرا ومالوفا ومستقرا في هيئة الامم المتحدة، والا فان الهوة في العلوم والتكنولوجية بين الشمال والجنوب ستظل كما هي الى الابد.

ان عالمنا ينقسم في مجال العلوم كما في غيره من المجالات الى عالم فقير واخر











ثلاثة نداءات إلى المجتمع الدولي - حكومات وعلماء

غنى ونصفه الغنى هو الشمال الصناعي، وذلك الذي يخضع لإدارة مركزية - ويتمتع بدخل يبلغ خمسة ترليون دولار، وهو ينفق ٢٪ من هذا الدخل، أي ١٠٠ بليون دولار في العلوم غير العسكرية وبحوث التنمية.

أما النصف الآخر من الإنسانية، الجنوب الفقير، الذي لا يتمتع بأكثر من خمس دخل الشمال الغنى الصناعي، أي واحد ترليون دولار. فهو ينفق بليوني دولار على العلوم والتكنولوجية، وذلك يعني بحساب النسبة وبالمقارنة التي ما تنفقه الدول الغنية أنه كان ينبغي أن ينفق عشرة أضعاف هذا المبلغ، أي ٢٠ بليون دولار - وفي مؤتمر العلوم والتكنولوجية الذي عقد في فيينا في أغسطس الماضي تحت اشراف الأمم المتحدة، طالبت الدول الفقيرة باعتمادات مالية دولية ليرتفع المبلغ من بليونين الى أربعة بلايين دولار، وقد تلقوا وعودا لا بالمبلغ كله أو حتى نصفه وانما بواحد على سبعة منه.

نداءات ثلاثة

وفي الختام، أرجو أن أوجه ثلاثة نداءات، أولها الى المجتمع الدولي - حكومات وعلماء.

ان عالما ينقسم الى أغنياء وفقراء في مجال العلوم والتكنولوجية لن يطول بقاؤه وليس هناك في الوقت الحاضر سوى مركز عالمي واحد للفيزياء النظرية بميزانية تبلغ مليونا ونصف المليون من الدولارات، لخدمة أكثر من مائة دولة نامية - قارنوا هذا بالمشاريع الأوربية المشتركة الخاصة بالفيزياء وحدها والتي يرصد لها نصف بليون دولار سنويا.

وندائي الثاني أرفعه الى الدول النامية نفسها لأن انتشار العلم والتكنولوجية فيها هو مسؤوليتها. وفوائده من أبناء هذه الدول النامية أولى.

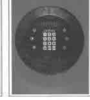
ان رجال العلم يحتاجون [illegible] الذين [illegible] الامكانيات [illegible] [illegible] والتكنولوجية. ويجب أن يكون الهدف هو زيادة [illegible] ومضاعفته عشرة أمثال ما هو عليه الآن، ورفع مبلغ البليوني دولار التي تنفق حاليا على العلوم والتكنولوجية الى ٢٠ بليون دولار، فالانفاق على العلم سيثمر عشرة أمثاله.

وأخيرا أرجو أن أتقدم بكل تواضع بنداء خاص الى اخوتي في الأقطار المسلمة.

لقد أسبغ الله نعمته على بعض منكم وصار دخل هذا البعض ستين بليون دولار، وعلى ضوء المعدلات العالمية يفترض أن يتم انفاق بليون دولار سنويا على العلوم والتكنولوجية من هذا الدخل. لقد كان أسلافنا هم الذين حملوا مشاعل البحث العلمي عالميا في القرن الثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر فكونوا كرماء، وابذلوا بليون دولار على العلوم العالمية حتى أمسك الآخرون عن البذل والانفاق، وأقيموا صندوقا لرعاية الموهبة العلمية، وهي وفيرة، في العالم الإسلامي والعربي والدول النامية حتى لا يضيع أي عالم موهوب.

ان مساهمتي الشخصية المتواضعة لانشاء هذا الصندوق هي كل ما ملكت يداي من مال - ستين ألف دولار، منحتني إياها في سخاء الأكاديمية السويدية.









شهد العقد الماضي من هذا القرن اهتماما بالغا بالصحة واللياقة البدنية ، خاصة بعد أن استقر في أذهان الناس أن الانتظام في التمرين البدني الخفيف يبعد شبح مرض القلب وأخطاره. وقد اكتسب الجري المتمهل شعبية طاغية وولع في الكتابة والاعلان عنه والترويج له كوسيلة لتحقيق اللياقة وإطالة العمر ، فأصبح مظهرا مألوفا وشعبيا في أوربا ، وطافت الجري في جماعات كبيرة تنظم له دورات سنوية تجتذب الآلاف المشتركين كما في استراليا ونيو زيلندا وبريطانيا التي اشتهرت فيها الدورة القومية للجري المطولة التي انشأتها جريدة الصنداي تايمز ، وجذبت في عاميها الأولين أكثر من ستة عشر ألف مشترك.

واندفع القادة والسياسيون يبرزون عضلاتهم الرياضية ، ويظهرون لياقتهم ورغبتهم لهذه الرياضة الجماهيرية الأولى ، فقادوا حملات قومية للجري المتمهل ليكسبوا ثقة عند جماهيرهم ، ويساهموا في خفض تكاليف علاج مرض القلب ، والذي يقدر في بريطانيا وحدها بأكثر من ٢٥٠ ألف شخص .

ولكن لذة هذا الجديد ومتعته لم تدم طويلا ، إذ أخذ الشك في فائدة هذه الرياضة الشعبية يطغى ، خاصة بعد أن طرحت الصحف الغربية بعناوين بارزة مروعة عن موت بعض عشاق الجري المتمهل ، مثل كابتن الفريق القومي الإنجليزي لكرة القدم ، الذي خر ميتا أثناء أحد التمارين - مما عمل بثقل المجهود البدني العنيف يدنو وكأنه ينهي العمر بدلا من إطالته

واكثر ما روع الناس في موت العدائين في

● هناك أدلة إيجابية في صالح الجري تقدمها دراسات .. كافة

● الجري البطيء وجزء من برنامج علاجي لمرضى القلب



سهل هو انهم اقوا من بين الذين اهتموا بالتريض، ويمكن اعتبارهم أكثر لياقة بدنية من متوسط الناس. فالمستر بيتر بتروز، طبيب الفريق الإنجليزي القومي — ٥٣ سنة — كان يعتبر من المهووسين باللياقة. فقد كان يقوم بتمرينات عنيفة مع الفريق الإنجليزي، ويمارس لعبة الاسكواش، ويجري بانتظام. ولكنه مات في الملعب المغطى بالسكتة القلبية بعد أن جرى ميلين بلدية فقط من مشواره اليومي الذي يقطعه في العمل.

أما موت الرياضي النيوزيلندي دنيس ستيفنسون — ٥٣ عاما أيضا — فقد كان أكثر ترويعا. كان رياضيا طوال حياته، وكان من أبرز عدائي المسافات الطويلة في بلده. فهو صاحب الرقم القياسي لمسافة ميل وبطل الجري لمدة ٢٤ ساعة. وقد أصيب بنوبة قلبية مميتة بعد يومين من اشتراكه في سباق الماراثون.

وفي كلتا الحالتين كانت الحقائق أشد تعقيدا مما نشرته الصحف في عناوينها المثيرة، ورغم أن الرجلين كانا يتمتعان بأعلى درجة صحة ولياقة، فقد أظهر التشريح أنهما كانا يعانيان من الترسبات الدهنية في شرايين القلب، والتي تسبب تصلب الشرايين الحاد.

كان بيتر بتروز قد لاحظ وأحس بعلامات منذرة قبيل موته، منها ضيق الصدر وتعب يصاحبه أثناء لعب الاسكواش. وكان أحيانا يضطر إلى إيقاف سيارته أثناء سيره إلى عيادته. وقد أخضع نفسه لرسم بياني للقلب، ولكنه لم يظهر أي شيء. حتى حين قد [illegible] ليستطيع تلك الآلام التي [illegible] من [illegible] المرض كان كامنا فيه .. حتى لقي به حتفه.

أما دنيس استيفنسون، فقد شعر في [illegible] بقدار بدائي، [illegible] من موجة [illegible]. وأغمي عليه ذات مرة أثناء إحدى المحاضرات بالجامعة، كما شعر بالآلام في صدره وذراعيه. وفي سباق الماراثون الذي كان في اليوم السابق لموته، [illegible] — وأكمل السباق في زمن بطيء للغاية.

إن أول سؤال يتبادر إلى الذهن بعد موت بتروز واستيفنسون هو: كيف يمكننا أن نقول إن التمرين النشط يمنع مشاكل مرض القلب بعد أن لقي اثنان من الرياضيين حتفهما في سن مبكرة نسبيا، ومتسبب في شرايين القلب؟

وتبدو الإجابة منطوية في حقيقة أن بعض الناس معرضون لمرض القلب، ويموتون له مهما فعلوا. ولا يتغلب الجري المنتظم على العوامل الأخرى مثل الغذاء الغني بالكسترول، وكثرة التدخين وارتفاع ضغط الدم والإجهاد.

وكان بيتر بتروز قد وصف نفسه بأنه حالة كلاسيكية لمرض تصلب شرايين القلب، وكما قالت زوجته: كان رجلا متقلبا، وكان الإجهاد جزءا من حياته المهنية كطبيب عمومي، ولذا فقد [illegible] إلى التمارين الحادة في أواخر [illegible] من عمره. كان يعود مجهدا متوترا من عيادته ليجد في التمارين سلوى وراحة لنفسه كما تقول زوجته.

أما استيفنسون، فيعتقد أن ارتفاع ضغط الدم كان وراء موته. إلا يرى طبيب القلب الذي درس نتائج تشريح الجثة أن فرط ضغط الدم هو مرض عضوي يمكن أن ينشأ في وقت مبكر من عمر الإنسان، ولا صلة له بلياقة الشخص البدنية، وانه يتأثر بعدد من العوامل المختلفة عند مختلف الناس. وإذا أخذنا الناس في مجموعات ودرسنا حالاتها، فإننا سنجد أن فرط ضغط الدم يقل كثيرا عند ذوي اللياقة البدنية منه عند غيرهم. ولكن ذلك لا يعني بالضرورة أن كل فرد في المجموعة التي تتمتع باللياقة خال من ضغط الدم. وإذا كان لشخص ما مرض ضغط الدم كما في حالة دينيس استيفنسون، فإن التمارين مهما كان نوعها لن تخفف ذلك [illegible].

وهذا يقودنا إلى سؤال آخر —

فإذا افترضنا أن الشخصين بتروز واستيفنسون كانا سيموتان لتصلب شرايين القلب، فهل كان موتهما نتيجة لتمرينهما في ذلك اليوم؟ إذا أن الذروة لا تقطع بصفة قاطعة. لقد

الجري







الصحيح لكثير من المؤلفين في مجال الطب الرياضي أن ثمة علاقة بين الموت الفجائي والنشاط الرياضي ، ولكنهم لم يجمعوا على ذلك كلية . ولقد قدم الدكتور ستيفارد حجة نظرية تدعو إلى أن التمارين الرياضية يمكن أن تكون سببا لسكتة القلب ، ولكنه وجد أن هذه النظرية لا تجد السند من الدراسات التي أجريت على حالات الموت الفجائي . ولا تتوفر سوى الحصائيات لا تشكل ثمة قاطعة .

ففي دراسة أجريت في فنلندا على ٢٦٠٠ حالة من حالات الموت الفجائي ، تأكد أن ثلث هذه الحالات ارتبطت بالإجهاد الجسدي أو النفسي ومن بين هذه ... الحالات ... من العمل أثناء النشاط الرياضي ... حالة من هذه الحالات ... متصلا بالنشاط الرياضي . وشملت حتى العشي (١٢ حالة موت فجائي) وجرف الثلوج (حالات) والجري (٨ حالات) والتزحلق على الجليد (٤ حالات) والعمل المنزلي الشاق (١٨ حالة) . وهذه الاحصائية تبين أن ضروبا من النشاط المتواضع يمكن أن تكون مميتة اذا ما توافرت ظروف معينة كامنة في الشخص . ويحلو لي ان يحضر الناس الذين يتعلقون كل متعة في نشاطات مختلفة قبل أن تتضح الصحة الكاملة لأخطار الرياضة التي تؤدي الى الموت الفجائي .

وقد دلت المسابقات التي تجرى في نيوزيلاندا واستراليا المتعة على أن الوان السباق التي تقتصر على مسافة سبعة أو ثمانية اميال ، لم يسجل لها حالة من حالات الموت المفاجيء — حتى حين اشترك فيها عداءون لأول مرة في حياتهم . وفي السباق الذي تنظمه الصنداي تايمز اللندنية فان الحسابات المبنية على احصائيات تتصل بالوفيات المرتبطة بأمراض القلب في بريطانيا كل عام لا تستشف ولا تجد غرابة في موت من هم في الخامسة والاربعين الى الرابعة والستين من عمرهم .

وهناك دليل إيجابي في صالح الجري المتمهل يقدمه الدكتور تيرنس كاففا من تورونتو ، وهو يوظف الجري المنظم كجزء من برنامج علاجي لمرضى القلب ، وهو يقول ان المرضى في عيادته ـ ٢٢٦٦ شخصا في الفترة بين عام ١٩٦٨ و ١٩٧٨ ـ قد قطعوا جريا قرابة مليون ميل آنذاك التمرين . ولم يتعاود مرضى القلب سوى ٥٨ منهم فقط . وكما يقول الدكتور كاففا : فان هذه الحالات التي قل علاجها يقوم على التمارين المستمرة كانت حالات خطيرة للغاية . ونسبة الموت بينهم من جراء ارتداد النوبة القلبية هي سبع مرات أو أقل عشر مرة أعلى مما هي عند غيرهم من نفس الاعمار الذين لم يصابوا بنوبة قلبية من قبل . ولكن نسبة ارتداد المرضى هي مرتبة قليلة جدا . وهي حين تقع تحدث دون

ماذا تفعل قبل أن تبدأ رياضة الجري المنظم ؟

تذكر ان قلب الانسان حين يبلغ منتصف العمر هو كالسيارة المستعملة ، ولا يمكنك أن تسابق بسيارة مستعملة في الطريق الخلوي لتقودها بسرعة ثمانين ميلا في الساعة .

ان هذه القاعدة نفسها يمكن تطبيقها بالنسبة للتمارين الرياضية .

ولذا يجب على من تجاوز الاربعين من عمره أن يراجعوا اطباءهم قبل ممارسة الجري المنظم ، وسيقوم الطبيب بفحص ضغط الدم ، والوزن ، ويستوثق من الفاصل طبية أخرى . كما يجب أن يعرف شيئا عن اسلوب حياتك وعندك وعاداتك في التدخين والشرب والأكل ، وسيستخص في بعض الحالات اجراء رسم للقلب .

وهناك طريقة بسيطة لتعرف وحدك إن كان التمرين المعتدل مناسبا لك أو مجهدا ، وذلك بان تسير سيرا حثيثا لمدة خمس دقائق ، أو ان تمضي دقيقتين في هبوط وصعود سلالم لا تتعدى العشر عتبات واذا شعرت بأي ألم في الصدر أو ضيق ، أو ان قمت بجس نبضك فاتفق الى معدل مائة ضربة في الدقيقة بعد عشر دقائق ، فيجب أن تستشير طبيبك .

ويجب الا تزيد سرعة جريك في البداية عن سرعة مشيك ، كما يجب الا يرتفع التمارين معدل نبضك الى أكثر من ١٢٠ ضربة في الدقيقة .

ما الذي يحدث لنوبات القلب؟

إن ما يحول دون تحديد العلاقة بين التمارين الرياضية العنيفة والموت الفجائي هو اننا لا نعرف إلا نذرا قليلا عن سبب وقوع نوبات القلب في لحظة معينة دون اخرى.

والسبب الرئيسي لمعظم حالات الموت بالسكتة القلبية هو شرايين التاج التي يمكن أن تصبح ضيقة بواسطة تراكم الترسبات الدهنية، وليس توقف القلب نفسه عن النبض هو الحدث المعلوم، وحتى اللحظة التي نكتشفها اخيرا تثبت هي بالضرورة اكثر مظاهر الموت الفجائي.

ومع ان النظرية التقليدية عن النوبة القلبية تقوم على مسألة انسداد الشريان التاجي، فإن رأيا آخر يرجح بعض الاسباب الكيميائية البيولوجية في عضلة القلب نفسها، كما ان رأيا ثالثا يقول بان اجزاء ميكروسكوبية (مجهرية) من الدم قد تكون هي التي تعترض تدفق الدم الى ممرات القلب الموصلة للكهرباء، ومن ثمة تسبب الاختلاج العضلي، او ربما كان هناك جهاز يسبب تقلصات عضلية او تشنجات لا ارادية في الشريان التاجي، وإن لم يتم تفسير تلك التشنجات بعد.

وينظر بعض الاخصائيين الى نوبة القلب من وجهة نظر سيكولوجية اشارة بعدم القدرة على التحمل ومواكبة الحياة... او حتى كنوع من الانتحار!

وقد نبه الاطباء بسقوط الرئيس الامريكي كارتر اثناء الجري الجماعي مبينات القلب التي علق عليها اثنان من السلسلة الكندية في ظروف مماثلة عندما كانا يحاولان في جزع ان يدركا المطافا حسنا في جماهيرهما.

ومهما يكن السبب الحقيقي للموت بنوبات قلبية، فليس هناك ادنى شك في اهمية الدور الذي يلعبه الاستعداد والتهيؤ للمرض في الشجرة التاجية، والذي تدور اغلب المناقشات الطبية حول كيفية تجنبه.

اعتبار لما يقوم به المريض من نشاط او خلافه، فقد تحدث اثناء النوم، او الجري او قيادة السيارة. ومن بين هذه الحالات الثمانية والخمسين التي ارتبت في علاجها، كانت وفاة ١٢ فقط مرتبطة بالتمرين البدني، بينما مات نفس العدد في مراقدهم، وواحدة فقط اثناء الجري المتمهل... وإن لم تقع اثناءه.

ويقول الدكتور كينيث كوبر، وهو من انصار علاج القلب بالتمرين الرياضي، إن الاهتمام الكبير بالتمارين البدنية قد بدأ في منتصف الستينات. وبحلول عام ١٩٧٨ ارتفع عدد ممارسي رياضة الجري المتمهل الى ٢٦ مليون شخص منتظمين في الولايات المتحدة. وكان نقاد هذه الرياضة يتوقعون أن يرتفع عدد حالات الموت الفجائي بالقلب نتيجة لذلك، ولكن، وفي كل عام من الحقبة الماضية كان عدد حالات الموت الفجائي بالقلب يتناقص، وفي الحقيقة فإن نسبة الموت بالقلب لعام ١٩٧٨ هي اقل بنسبة ٢٣٪ مما كانت عليه في عام ١٩٦٨.

وهناك آراء اخرى اكثر تطرفا.. إذ يرى الطبيبان الامريكيان توماس بازلر وجاك اسكالف ان عدائي الماراثون الدائمين يتمتعون بحصانة دائمة من نوبات القلب، وان حالة موت ديبيس استيفنسون لا تناقض ذلك، إذ ان الدكتور نورمان شارب يرى ان هذا العداء ربما كان قد وجد بعض الحصانة من تمارينه العنيفة، وربما كان المرض قد داهمه بوقت مبكر، خاصة وهو مهيأ لارتفاع ضغط دمه، ان لم يكن عداء ومقاطعه.. فهذه مجرد وجهة نظر.

وتعتقد زوجة الطبيب بازلر ان الجري وممارسة لعبة الاسكواش قد مدا في عمر زوجها، والذي كان يرى انه لن يعمر الى الاربعين باسلوب الحياة الذي كان يتبعه، ولذلك اخذ

نفسه بالتمارين العنيفة، وهو يرى ان نجد له الآن عمره متجاوزا البحث والعثرات...

وهناك مؤشرات بأن المجهود الجسدي المفاجئ لا يمثل سوى نسبة ضئيلة من امراض القلب... ولقد يتضح ان يحتمل ذلك حقا من الوصفات التي اعتبرته مفاجئة جدا وغير متوقعة.. واجرى طبيبا البحث في مدينة تيو كاسل بانجلترا، وقد تبين ان للاجهاد النفسي الحاد والنشاط البدني المعتدل تأثير اكبر من التمرين العنيف في هذه الوفيات.

ولكن.. كيف يمكن لانسان عادي بلغ منتصف عمره ان يتخذ قرارا بممارسة الجري المتمهل او التخلي عن هذه الفكرة بعد ان يقف على هذه التقارير المتضاربة، وبعد ان يسمع بموت طبيب الفريق القومي الانجليزي لكرة القدم، وموت عداء الماراثون النيوزيلندي، وموت صبي في الخامسة عشر من عمره لم يكن يشكو من اي الم في القلب؟

ان المشكلة، كما يقول الدكتور دان توستتول بيدو الاخصائي امراض القلب بمستشفى سنت بارثولوميو بلندن، هي بالرغم من فائدة التمارين لسواد الأعظم من الناس إلا انها ضارة لبعض الناس.. ولا يمكن التمييز بين هذه الاقلية من الناس، وإن كان يمكن تحديد نوع الناس الذين يحتمل ان تكون التمارين في ضررهم.. من واقع الاحصائيات. ويمكن القول ايضا بان الذين يشكل التمرين مجازفة كبرى لهم، يجب ان يتخذوا بعض الاحتياطات.. مثل ان يراجعوا اطباءهم، او يحرصوا على اجراء فحص كلي قبل الشروع في مثل هذه الهوايات.

ويذهب الدكتور روي شيبارد الى حد القول بانه حتى في حالة الرياضيين الذين يتمتعون

بحالة مكافئة في منتصف عمرهم، ويمارسون العدو بطريقة التزحلق مثلا، وفي فترات متقطعة، فإن خطر موتهم بالقلب اثناء فترة نشاطهم البدني هو نسبة تزيد بثلاثة او اربعة اضعاف عن خطر موتهم فيما لو كانوا يجلسون للقراءة في بيوتهم.. وهذا المستوى من المجازفة ضئيل بصفة عامة.

هناك مجازفة طفيفة، كما يقول الدكتور شيبارد، ولكن اذا قام المرء بالجري المتمهل بطريقة معقولة وفي حذر وتدرج، فإن حاله بعد عام سيكون افضل مما لو اختار الجلوس في منزله دون ممارسة هذه الرياضة الخفيفة.

ويقول الدكتور توستتول بيدو: اننا جميعا نتعرض للخطر كلما مشينا في الطريق، والمسألة كلها مسألة درجة ونسبة المخاطرة.. فالناس الذين يحلو لهم الجلوس في بيوتهم، ويزيد وزنهم هم ايضا يزيدون من نسبة الخطر عليهم، ولذا يجب ان يكونوا اكثر حذرا..

ان ما حدث لديبيس استيفنسون، العداء النيوزيلندي، ينبغي ان ينبه الرياضيين الى ضرورة اجراء فحص طبي لانفسهم مثلهم مثل اي شخص آخر.. وان ينتبهوا الى اي اعراض غريبة يحسون بها. والطريق الواضح لتصحيح كثير من هذه المشاكل هو ان يغير المرء نهج حياته.. ولكن المفارقة العجيبة هي ان السبيل الوحيد لتغيير نهج حياة الناس في الغرب هو ان يخرجوا الى الجري المتمهل.

وربما لم يكن الجري وحده هو الذي يفيدهم، بل ان كل ما يرتبط به ايضا.. وحقيقة الامر هي ان ملايين الآلاف من الناس الذين بلغوا منتصف العمر يعانون من تصلب شرايين التاج.. ولكنهم رغم ذلك يجرون..

وقد اصبحوا صحة واختيارا..


CHENEY

سيرة ذاتية لعروة بن الورد

شعر: سهام الناصر

(١)

جاءوا من دارين ومروا بالدهناء ثقالا ،
صحبك يا عروة يا ابن الورد
اضافوا عندي
وحليك البسها الآن
وبمسك من دارين تطيبت
ظللت اترقب عودتك الموعودة
ولكنك فارقت الاحباب ،
وثمة اشياء لك بعد معلقة بجوار المرآة
واذكر كنت تقول بأن لوجهي في ليلك تاثيرا مثل السيف
ذاكر به في الحرب والقاء القيلولة .
تلجأ احيانا للحلم باصوات مسموعة
يكفي ان تجدني لحظات تدغدغني شمس حضورك
ان ترحل بحقائق الحزن كيوقا ؟ مخزون قدما
سيبقى كالصلواء تقاطعني تقطعها من تعش
وتحسك الذاتي غيما بعطر النوافذ ، وتجديه .

(٢)

فارسي الشهم ،
ظللت هنا انتظر العودة
لن اجرؤ ان افتح « بحر » حقائبك
الملأى بالذهب ، الصندل والمسك والبياه اخرى
احرص ان لا فكرها الآن ،
لقد كنت تمازحني فيها في ثدار الكاس
وتستعر الاشعار « الذهبية » في صدرك !
يا انثى ما حملت إلا قيصوم الريح
بالكلة قلبي
موتا للقلب اسميك لونا « وثنا » نهرا
لولاه لقال الرمل يشق الى انثى صهيل العور
الاشجار نساء فبهن اراك
اشجارا رائعة ، رائعة ، فتكونين الاشجار
ظلالا وارفة
اشياءها في قيظ ،
فالصعلوك محال ان يسال اين مذاهبه ؟
او اين اروح به الخطوات الضعفة
او تاتى !

(٣)

اسالهم صحبك هل « حم قضاؤك ؟ » إنى ،
لن اصدع بالامر ،
محال رغم الالفة مابين الموت وبينك ،
انتظر الليلة عودتك الموعودة ،
هل تاتى ؟
صحبك يهذون بالمعارك والفجر تبدى
والصعلوك محال ان يسال :
اين مذاهبه ؟
(احيانا لا يقتلنا إلا الموت)
لقد كنت تقول لهم :
(ان ياتى الموت لنا او ياتى النصر فسيان)

(٤)

— من جاء بك الآن الى حيث اموت ؟
— لو لم يرحل صوتك في طلبي
ما سافر نحو رفاقك يا ابن الورد سوى صوتي

(٥)

الفجر تبدى
عند الافق تعانقه الشمس ،
تحنت بدمائك يا ابن الورد ،
القيظ يحاصرني ،
وارى لم رمادا وخيولا تجرى !
اسمع اصواتا تضحك او تبكي

(٦)

الطفلة فيك اكتابت
والتحقت في عينيها الاحزان !
— اتبكين ؟ !
(صوتك يا ليلى)
— لا بل ماء الحب تحدر عن مجراه
ففاض بعينى الموج ! ،

(٧)

الاشجار ظلال لا « تورف »
موتك يا ابن الورد
خناجر ترحل في لحمى
كنت الامال والانقى
وصعاليك كل بنى اسد

البصرة : سهام الناصر



والعدل في الأرض يبكي الجن لو سمعوا
به ، ويستضحك الأموات لو نظروا
فالسجن والموت للجانين ان صغروا
والمجد والفخر والاثراء ان كبروا
فسارق الزهر مذموم ومحتقر
وسارق الحقل لهو الباسل الخطر
وقاتل الجسم مأخوذ بفعلته
وقاتل الروح لا يدري به البشر

جبران خليل جبران

الأديب والشاعر والرسام وعميد الأدب المهجري

بقلم : د. عيسى الناعوري

في السادس من شهر كانون الاول عام ١٨٨٣ ، وفي قرية « بشري » الجاثمة على سفح جبل الارز ، والمزينة بكرومها وتلالها وبهاء على كتف وادي قاديشا — أو الوادي المقدس ، كما يعرفه أيضا — في الشمال اللبناني ، ولد جبران بن خليل جبران وكاملة رحمة . وفي عام ١٨٩٤ ، وجبران بعد صبي في الحادية عشرة من عمره ، اصطحبته امه ، مع أخيه الاكبر بطرس وأختيه سلطانة ومريانا الى أميركا الشمالية ونزلت بهم في حي الصينيين في بوسطن ، وهناك فتح بطرس دكانا صغيرا ، ودخل جبران المدرسة ، وامتهنت الام وابنتاها الخياطة .

وفي المدرسة بدأت موهبة جبران الصبي في الرسم ، واسترعت انتباه معلميه ولكنه لم يلبث ان عاد الى لبنان عام ١٨٩٦ ودخل مدرسة (الحكمة) في بيروت ، حيث بدأت تبرز موهبته في الخيال الشعري وفي عطلة الصيف مع أبيه في بشري ، وهناك لامس الحب قلبه لاول مرة ، اذ احب فتاة اكبر منه يسمى اسمها (حلا الضاهر) ولكن ذوي الفتاة قابلوا حبه بالزجر فحمل الفتى الماقت الامه وعاد الى امريكا عام ١٩٠١ . ولم تلبث قصة هذا الحب البكر أن ظهرت في رواية صغيرة صاغها جبران (الاجنحة المتكسرة) شحنها بالثورة العارمة على الطبقة الاقطاعية وعلى رجال الدين في لبنان ، كما جاءت في عباراتها الرومنطيقية الشبيهة برواية (آلام فرتر) للشاعر الالماني الشهير ووالتناغم غوته ، من حيث الحرارة ، ولهفة الحب ، والالم الذي يرافق الحب ويتفجر عذابا للمحبين . واما في عباراتها العربية ، فقد كانت لونا جديدا من الادب العميق ، والعبارة المؤثرة بحرارتها ولطف خيالها ، وعذوبة استعاراتها وتشبيهاتها الجميلة .

الى باريس

وفي بوسطن نمى الفتى جبران يتمم موهبته في الرسم والادب معا — وهناك راحت الاقدار تخطف أفراد الاسرة من حوله : فقضى السل على سلطانة ، فبطرس جبران ، ثم على امه واخته بطرس . وأصبح جبران وحيدا مع اخته مريانا في ديار الغربة . واضطرت الاخت الى خياطة السل لكي تسد حاجتها التي ، واخرج هو وكتب كتاباته الاولى . وفي عام ١٩٠٤ نشر أول مقال له في جريدة (المهاجر) ، كما أقام اول معرض لرسومه . وكان هذا المعرض سببا في تعرف المعلمة الاميركية ماري هاسكل به فدعته الى عرض رسومه في مدرستها ، وأبدت اعجابها برسومه وبموهبته الفذة ، ورأت أن في وسعها أن تكون له أما روحية ومرضعة نفسية ، فأرسلته الى باريس لدراسة الرسم على نفقتها مدة ثلاث سنوات ، من عام ١٩٠٨ الى عام ١٩١٠ .

ثم انقطع [illegible] بماري هاسكل ومساعداتها المالية [illegible] [illegible] [illegible] الثورة والتمرد [illegible] [illegible] [illegible] فكانت تشعر [illegible] [illegible] [illegible] كما كانت ترى اليه اشد بالبسوط في عالم الفن ، وهو ماش في الضوء ، ولذلك رفضت مرضته ووقفت منه بالصداقة الدائمة .

بينما خليل جبران

في القائمة السوداء

أول كتاب نشر لجبران كان (الموسيقى) عام ١٩٠٥ ، ثم تلاه (عرائس المروج) عام ١٩٠٦ ، ثم (الارواح المتمردة) . وهذا الكتاب وسابقه متشابهان من حيث التمرد والثورة على الاقطاعية وعلى رجال الدين في لبنان ، لتحالفهم على اذلال صغار الفلاحين وأجراء الارض . ولهذا قام رجال الدين الموارنة في لبنان بجمع نسخ (الارواح المتمردة) وحرقوها في بيروت ، ولهذا أيضا اضيف اسم جبران الى (القائمة السوداء) التي كان محظورا على الكاثوليك أن يقرأوا مؤلفات اصحاب الاسماء الواردة فيها . ثم تلا الكتاب الرابع (الاجنحة المتكسرة) ، وهو قصة حبه في بشري ، مكتوبة بأسلوب رومنتي حار ونثر سما وأرتفع الى القمم مما يعدها شعرا من عباراته الذهبية المشرقة ، والتي لم يكن مثلها مألوفا في الادب العربي في ذلك العهد ، وهي عبارة شعرية رقيقة مرصعة ودقيقة العبارة .

وفي تلك السنة تقمصت ملكة الشعر تطل الى من وراء أجفان امرأة جميلة ، وفيها رأيت ابالسة الجحيم يصرخون ويزمجرون في صدر رجل مجرم ... ومن لا يشاهد الملائكة والشياطين في محاسن الحياة ومكروهاتها ، يظل القلب بعيدا عن المعرفة ، ونفسه فارغة من العواطف ... لا تحدثني عن السعادة ، لان ذكرها يؤلمني كالتعاسة ، ولا تصور لي الهناء ، لان ظله يخيفني كالشقاء ، ولكن انظر الى لارينك الشعلة المقدسة التي اوقدتها السماء في رماد صدري ... ان المحبة المحدودة تطلب امتلاك المحبوب ، أما المحبة اللامتناهية فلا تطلب غير ذاتها ... »

أسلوبه الخاص

وفي عام ١٩١٤ صدر لجبران كتاب (دمعة وابتسامة) وهو يضم خطرات من الشعر المنثور ، المنعم بالخيال البهيج والتعبير الغني بالرسالة . وفي هذا الكتاب ، كما في الاجنحة المتكسرة ، كان جبران يتميز عن غيره من الكتاب العرب بعباراته الشعرية ، الغنية بالخيال ، وبالالوان

بالاستعارات والتشبيهات البهيجة المشرقة ، واصبح لجبران اسلوبه الخاص المتميز ، وتفكيره المستقل ، واصبح تصوير المشاعر من لون جديد غير مألوف ، وقد بدا بذلك يسترعي انتباه الكتاب في الشرق بشكل يلفت النظر .

وفي عام ١٩١٩ صدرت مطولته الشعرية (المواكب) وقد بناها على صوتين ، او تيارين متعاكسين ، يمثل اولهما ظاهر الحياة البشعة وحقائقها البغيضة ، ويمثل الثاني جوهر الحياة المنسجم او الرغبة الروحية البسيطة الحرة كحياة الغاب .

يقول الصوت الاول ، مثلا :

والحق للعزم ، والارواح ان قويت سادت ، وان ضعفت حلت بها الغير
ففي العرينة ريح ليس يقربه بنو الثعالب ، غاب الاسد ام حضروا
فان رأيت ضعيفا سائدا ، فعلى قوم اذا ما رأوا اشباههم نفروا

فيرد عليه الصوت الثاني ناثلا بسرح واستبشار بروح الحياة الحرة :

ليس في الغابات حزن
لا ولا فيها الهموم
فاذا هب النسيم
لم تجئ معه السموم
ان حزن النفس ظل
في فضا الفكر يمر
وغموم النفس تبلى
مثل اوراق الخريف
اعطني الناي وغن
فالغنا سر الخلود
وانين الناي يبقى
بعد ان يفنى الوجود

جبران الداعي الى القوة

في هذه المطولة الشعرية يبرز لنا اول لقاء بين الشاعر العربي جبران والفيلسوف الشهير الالماني فريدريك نيتشه ، ثم كان اللقاء بينهما بعد ذلك في كتاب (النبي) الذي كتبه جبران بالانكليزية ، وفيه يبدو اثر نيتشه ابرز بارزا في مقاطع كثيرة يلتقي عنده الرجلان : الشاعر والفيلسوف وقد نال هذا الكتاب من الشهرة والذيوع ما يندر جدا ان يلاقي مثله كتاب آخر في



فردريك نيتشه

العالم . فلقد ذكرت مبيعات فصوله في بعض المكتبات الامريكية ارقاما مذهلة ، وترجم الى جميع اللغات الغربية ، ولاحظت طبعاته في الغرب والشرق عشرات الالوف . وفي اثناء الحرب العالمية الثانية طبعت منه طبعة خاصة للجيش الامريكي المحارب في ميادين القتال المختلفة .

في هذا الكتاب نجد جبران الثوري والداعي الى القوة التي لا ترحم الضعيف المقهور ، وجبران الذي تسمو نفسه لتسمو فوق البشر ، بحيث يتساوى عنده المحروم والقديس ... ولا يرى في الامر الشريعة الكاملة الكبرى والموعظة النافعة المحبة ، والحياة في هذا تدفع في الواقع امتدادا للتفاعل الانساني ، تعلم المحبة والتسامح والاخاء . ومن هذا الكتاب نقتطف ما يلي :

ان الريح لا تخاطب السنديانة الجبارة بلهجة اجل من اللهجة التي تخاطب بها احقر اعشاب الارض ، والعظيم العظيم ذلك الذي يحول همهمة الريح الى انشودة تزيدها محبته حلاوة ... ان الارض تقدم لكم ثمارها ، ولن تفتقر اذا عرفتم كيف تملأون ايديكم من خيراتها لما حرمتم شيئا من العافية في حياتكم ، لانكم بغير مبادلة عطايا الارض لن تجدوا وفرا في الرزق ، ولن يشبع جشعكم ...

لا تتحدثوا عن السعادة
لأنكم تذكرونها
في المنفى كالتعاسة

ولم يكن (النبي) اول كتاب ظهر بالانكليزية لجبران : فقد سبقه (المجنون) الذي صدر عام ١٩١٨ ، ثم (السابق) الذي قصد جبران ان يجعله سابقا للنبي . ومضى جبران بعد ذلك يكتب مؤلفاته بالانكليزية وان لم ينقطع تماما عن الكتابة بالعربية ، ولا سيما لجريدة (السائح) ، لسان حال الرابطة القلمية . وتذكر بربارة يونغ في كتابها (هذا الرجل اللبناني) ان جبران كان يضع كتبه بالعربية اولا ، ثم يترجمها الى الانكليزية ، ولكننا نعلم انه لم ينشر قط كتبه الانكليزية بأصلها العربي ، اذا صح ما قالته بربارة يونغ ، ومع ذلك فنحن نصدق كلامها ، فقد كانت سكرتيرته ورفيقة اعماله في الاعوام الاخيرة من عمره ثم وكيلة اعماله بعد وفاته . ولعل آخر كتاب ظهر لجبران بالعربية كان (العواصف) الذي نشرته دار الهلال في مصر سنة ١٩٢٠ .

بعد (النبي) تلاحقت مؤلفات جبران الانكليزية ، وهي (رمل وزبد ـ يسوع ابن الانسان ـ آلهة الارض) . وهذا الاخير صدر قبيل وفاة جبران بقليل . وفي تلك الاثناء كان جبران قد وضع فصول كتابه (حديقة النبي) الذي لم يقدر له ان يصدر الا بعد وفاة جبران . وكان قد شرع كذلك في كتابة فصول كتابه (التائه) ولكنه لم يتمه في حياته ، بل عكفت وكيلة اعماله الادبية بربارة يونغ على جمع اوراقه وتنسيقها وترتيبها وتقديمها الى (الفريد نوف) ناشر اعمال جبران الانكليزية .

الرابطة القلمية

ان الحديث حول جبران يستوجب الحديث عن (الرابطة القلمية) كذلك ، وكان جبران عميدها ، وقد تأسست في اميركا الشمالية عام ١٩٢٠ لتجمع شمل الادباء والشعراء العرب المغتربين هناك . وكان اعضاؤها عشرة اشخاص ، ولكن البارزين والظاهرين المتألقين فيها كانوا : جبران ، ونعيمة ، وابو ماضي ، ونسيب عريضة ،

●● من لا يشاهد الملائكة والشياطين في محاسن الحياة ومكروهاتها ، يظل قلبه بعيدا عن المعرفة ، ونفسه فارغة من العواطف .

لا تحدثني عن السعادة لان ذكرها يؤلمني كالتعاسة . ولا تصور لي الهناء لان ظله يخيفني كالشقاء . ولكن انظر الى لأريك الشعلة المقدسة التي اوقدتها السماء بين رماد صدري . ان المحبة المحدودة تطلب امتلاك القلوب اما المحبة المتناهية فلا تطلب غير ذاتها !

« جبران »



دوليهم في الاهمية والشمالية الثرة الفاخر رشيد أيوب ، شاعر الحنين الرمزي الى الوطن والى عهد الشباب - وكانت جريدة (السائح) التي كان يصدرها عبد المسيح حداد ، عضو الرابطة ، هي الملتقى الذي التقى فيه القلمهم المبدعة ، ومنها تنطلق في المهاجر وفي البلدان العربية . وسرعان ما اصبحت الرابطة ذات اثر بارز وفعال في تجديد الادب العربي ، وفي نهضته النهضة الجديدة .

وظهر في العالم العربي لون جديد هو (الاسلوب الجبراني) او (الانشاء الجبراني) او (النثر الجبراني) يتردد في الصحافة العربية . ذلك ان جبران كان عنصر الابداع والنتاج الاول والاهم في ادب الرابطة القلمية المهجري . وكان اسلوبه جديدا فعلا ، لم يألفه الادب العربي في كل العصور السابقة . وكان يمتاز بالرقة والرشاقة ، والطلاوة ، والجدة في التعبير وفي الخيال وفي التصوير . كما رأينا في ما قدمناه من شعره ونثره - وهو قليل جدا ...

وظلت الرابطة حية باعضائها النشطة حتى وفاة جبران عام ١٩٣١ ، ومن هناك بدأت تتبعثر ، ويمضي اعضاؤها تباعا الى الابدية ، فلم يبق منهم الان سوى ميخائيل نعيمه الذي بلغ الثمانين من عمره ، وهو يقيم في لبنان منذ سنة ١٩٣٢ . لقد كان جبران روح الرابطة القلمية وجوهرها الفكري ، وكان نعيمه فيلسوفها الادبي ، وايليا ابو ماضي شاعرها . وهكذا تركت الرابطة بعضائها بارزة سخية الاثر في الادب العربي المعاصر .

في طفولة جبران ماتت امه ، واخوه بطرس ، واخته سلطانة بالسل . وقد قضى على جبران ان ينشأ كذلك عليلا ، وان يصطلي بالمرض سنوات طويلة من حياته المليئة بالكفاح وبالعطاء الادبي والفني وبالمجد . وقد صارع جبران الامراض والارهاق بصبر وجلد .. وفي اواخر ايامه اصيب بضعف في الكبد مع بداية سل في احدى رئتيه . حتى كان اليوم العاشر من نيسان عام ١٩٣١ . واشتدت وطأة المرض على جبران ، فنقل الى مستشفى سانت

فنسنت في نيويورك ، ومات فيه قبل منتصف الليل .

كان الحنين الى لبنان والى جوار الارز .. فابتاع في اربعة بقري ديرا صغيرا في سفح جبل الارز يدعى (دير مار سركيس) تراجي امامه ومن تحته غابة الثرية جميلة وارفة الظلال . وكان ينتوي العودة ليقيم متنسكا بقية عمره . ولكن القدر القاسي شاء الا يعود جبران الا في قلب تابوت ، ليثوي في المكان الذي ابتاعه ليقيم فيه حيا .

يقول جبران في الحنين الى لبنان :

« ان علي تقاليدي بمزاياها ، وتكرر تقاليدي بجريرته ، تحسبني تقاليدي براحتها ولن استعيد عزة نفسي وحرية فكري وراحة جسدي الا في لبنان .. سأعود الى قمم لبنان الطاهرة ، واوديته الهادئة ، وسأكل من عنبه وبقوله ، واشرب من خمره وزيته ، واستلقي على بيادره ، وامرح مع قطعانه ، واسهر على شبابات رعاته واغرق غديرانه ..

كذلك قال جبران لوديله و نسيبه ، مرارا ، ولكن امنيته لم تصدق كما اراد ، بل كما اراد القدر .

وفي ٢١ آب عام ١٩٣١ وصل جثمان جبران الى بيروت ، بعد وفاته باربعة اشهر ، ومن هناك نقل الى دير مار سركيس في بشري ، ووضع في صومعة محفورة في قلب الصخر ، خلف حاجز زجاجي يسمح للزائرين برؤية التابوت النحاسي الذي يضم جثمان جبران . وكتبت فوقه على ترس الكهف العبارة التالية : (هنا يرقد نبينا جبران) . ولكن كلمة (نبينا) لم تلبث ان تحولت بعد سنين الى (بيننا) . واما مدخل الغابة فقد وضعت عنده لافتة مكتوب عليها باللاتينية :

O Beata Solitudo
O Sola Beatitudo

ومعناها بالعربية : (ايتها الوحدة السعيدة ، انت السعادة الوحيدة) ..

● عيسى الناعوري

د. محمد عبد الحي

ت. س. اليوت والقارئ العربي ٣

صلاح عبد الصبور في شبابه بين ناظم حكمت وت. س. اليوت

● الألفاظ الدارجة جاءت أقرب إلى اللغة التي راجت مع تأثير الشعر الواقعي العالمي في العالم العربي

● هذا التآلف بين اليوت وحكمت في شعر عبد الصبور كان من الأمور المدهشة التي دخلت في تكوين الشعر العربي

ولد صلاح عبد الصبور كشاعر – فيما يقول – « بين صفحات كتب المنفلوطي وجبران خليل جبران » – استمده جبران وأبطله « الى عالم غريب ومعزع هو عالم غيبته » ، ولكنه فزع كثيرا حين شعر بينابيع التجارب الذاتية التي ظل ينهل منها في شعره يغور وينضب ، كما أن قراءاته ومساجلاته من الاصدقاء في أواخر الاربعينات وبداية الخمسينات قد زلزلت نفسه زلزالا كبيرا ويقول عبد الصبور انه تعرف على أشعار اليوت عن طريق صديقه وزميله في الجامعة عبد الغفار مكاوي الذي قدم اليه « بعض قصائد اليوت ورتكه مع شعره الرومانتيكي الصافي ، وقرأنا وتناقشنا وتبادلنا قصائدنا وآراءنا » .

حقا ، ان عبد الغفار مكاوي اهتم بشعر اليوت في وقت مبكر ، وترجم له « الرجال الجوف » عام ١٩٥٢ – ولكن يبدو لي أن مقالة لويس عوض المنشورة في (الكاتب المصري) عام ١٩٤٦ ، وفي كتابه (في الأدب الانجليزي الحديث) عام ١٩٥٠ ، وكلمة سلامة موسى في كتابه (الأدب الانجليزي الحديث) – الطبعة الثانية ، عام ١٩٤٨ ، وقد اشرنا الى كل منها في المقالة السابقة ثم ديوان (بروفرك) المنشور عام ١٩٤٧ بما فيه من محاولات النسج على منوال اليوت – وسنمضي الى ذلك في مقالة لاحقة ان شاء الله – كل ذلك لابد أنه قد جذب انتباه الشباب الجديد المهتم بالشعر ، لا سيما لصلتها الوثيقة بالفكر الواقعي ، في مصر آنذاك .

• • •

وقد ارتبط اهتمام عبد الصبور باليوت ، كما يظهر في شعره في ديوانه (الناس في بلادي) باهتمامه بالفكر الواقعي في نفس الوقت ، فكتب شعرا لا يخلو من تأثر بالاثنين. يقول :

« حين توقفت عند الشاعر ت. س. اليوت في مطلع الشباب لم تستوقفني أفكاره أول الأمر بقدر ما استوقفتني جسارته اللغوية . فقد كنا نحن – ناشئة الشعراء – نحرص على أن تكون لغتنا منتقاة مقصدة ، تخلو من أي كلمة فيها شبه العامية أو الاستعمال الدارج » .

وعند اليوت وجدوا معجما شعريا ينقل « الصورة التي هدف اليها الشاعر » بصدق ، فهو لا يتورع حين يلم صورة الفتاة العاملة التي تسكن وحيدة في شقة منزل ، حينما تعود لقرها في المساء ، لحياة خالية من المعنى والهدف ، أن يستعمل كلمات مثل (التايبيست – الشاي – علب الصفيح – الغسيل المنشور – الأطقم الداخلية – الجوارب – الشبشب – الشدات) .

« وقد تأثرت بهذه السمة الجديدة في عهد باكر ، أعلنت عن تأثري في قصائدي « شنق زهران » حين حاولت أن أرسم صورة صابقة لهذه الشخصية الريفية في ملبسها وطابعها الانساني (...) (...) وفي قصيدة « الملك لك » » .

وهكذا في قصائد أخرى . وقد كتب صاحب مقدمة ديوان (الناس في بلادي) مؤكدا هذا التأثر باليوت ليس في « الجسارة اللغوية » فحسب وانما في طرق أخرى للتعبير مثل التضمين والاقتباس ، وغيرها من « المقولات الاليوتية » الشائعة .



ناظم حكمت



صلاح عبد الصبور



اليوت



● حين توقفت عند اليوت لم تستوقفني أفكاره بقدر ما استوقفتني عبارته اللغوية

ان قصائد مثل « شنق زهران » و « الملك لك » و « الناس في بلادي » تحمل في طواياها فكرا واقعيا — وقد يكون صلاح عبد الصبور قد تأثر فيها بشيء من اليوت ، بما في تلك « الجسارة اللغوية » ، رغم ان جسارتها اللغوية لا تخرج عن استعمال الفاظ دارجة ، وأمثال وتعابير شعبية ، بينما جسارة اليوت اللغوية لا تخلو من « سفسطائية » مثقفة ، ولا يمكن ان نسلخ الالفاظ اليومية التي يستعملها من البيئة التي يضعها فيها ، او يعارضها به او يجانسها معها ، ولديه دائما لمسة نارية اخيرة يرفع بها لغة الحديث العادي الى مرتبة الرمز . اما استعمال الالفاظ الدارجة في قصيدة مثل « الملك لك » — وبالرغم من ان عنوانها قد يكون مما اخذ عبدالصبور من « الرجال الجوف » — فهو اقرب الى اللغة التي راجت مع تأثير الشعر الواقعي العالمي في العالم العربي منها الى طريقة اليوت — ان اليوت يستعمل الالفاظ « التي لم تمتد استعمالاتها في الشعر » — في قول عبد الصبور حينما يتكلم عن السأم والضجر وفقدان المعنى في حياة البيئة المدينية المنفصلة عن الينابيع الروحية الموحدة ، والرغم يقتربون غالبا كلاسيكيا ، اما مع ارتفاع المقابلة بقصر تلك الينابيع في لغته وشعره . اما في قصيدة مثل « الملك لك » فاللغة الشعبية وسيلة لتمجيد الحياة الشعبية — مع الاحتجاج على الفقر :

حقيقتي حريب
الى صبيتي
الى اخوتي
الى اخواتي
الى حفلة الاشقياء الظهور يقامون ظهرا على المصطبة
وقد يحلمون بقصر مشيد
وباب حديد
وحورية في جوار السرير
ومائدة فوقها الف صحن
دجاج وبط وخبز كثير

● ● ●

ويبدو لي ان تأثير اليوت قد اختلط في ذهن صلاح عبد الصبور في شعره في (الناس في بلادي) بتأثير شاعر آخر تغلغل تأثيره في الشعر العربي الواقعي تغلغلا عميقا ، هو الشاعر التركي ناظم حكمت — هذا التآلف بين اليوت وحكمت في شعر صلاح عبد الصبور في ذلك الديوان من الامور المدهشة التي دخلت في تكوين الشعر العربي بعد الحرب العالمية الثانية — وهي جزء من تلك المعادلة التي ارادت ان توحد بين طريقة اليوت وبين الفكر الثوري .

وقد راج شعر ناظم حكمت في ترجمة الدكتور علي سعد عام ١٩٥٦ ولعل لمقدمته للقصائد المترجمة نفس اهمية مقالة لويس عوض في ت. س اليوت فقد كتبت بنفس الروح التبشيرية ، وقدم فيها علي ابو سعد ملخصا لطريقة ناظم حكمت في كتابة الشعر وعرض لارائه الثورية ، ولعودته « بالواحه الى الينابيع الشعبية المحلية في امته » ، فشعر ناظم حكمت يزخر بالحكايات والتعابير والصور والامثال الشعبية .

وقد حقق بذلك « ثورة عميقة » في القاموس الشعري ، فقد نجح في توسيع آفاق الشعر التركي وتجديدها باعطاء هذا الشعر الطابع الجديد الذي يعكس عالمنا وعصرنا الحديثين:

● ذوق التخلف الذي يعنى بالزينة أكثر مما يعنى بالصدق.. هو الذي خلق ما أسميه «القاموس الشعري»


جارسيا لوركا


لويس عوض

«لقد حطم الاطارات الشكلية الخانقة التي فرضتها التقاليد العربية والفارسية على الشعر التركي فنقله من مجال الجمال اللفظي الى تيار الحياة الحقيقية ».

«وبتحقيق هذه الخطوة فصل ناظم حكمت عربة الشعر التركي من ركب الآداب الشرقية التي لا تزال تحتضر في جو البلاغة الآسن حيث تتخبط ارستقراطية فكرية بعيدا عن احاسيس الجماهير وروحها، و سير شعر بلاده في اتجاه الشعر الغربي المعاصر». (...) (...) ».

« وانك لتعجب لهذا الشاعر كيف يستطيع ان ينقل اليك اكثر الاشياء والاحداث والاشخاص قربا منك والتصاقا بواقع عيشك وعيش المجتمع دون ان يبتعد بك عن الشعر وعن الرعشة الجمالية ».

لقد وسمت هذه اللهجة التبشيرية والدعوة الحارة لطريقة شعرية جديدة تحطم « الحدود بين الحياة والشعر » وتنقذ اللغة الشعرية من ان « تحتضر في جو البلاغة الآسن » اغلب المقالات والمقدمات التي قدمت للقارىء العربي شعراء غربيين ذوي اتجاهات مختلفة مثل فدريكو غارسيا لوركا ومايكوفسكي وبول ايلوار واندريه بريتون وسان جون بيرس وريته ماريا ريلكه - لقد قدم هؤلاء الشعراء وترجموا من قبل شعراء ونقاد متبايني النزعات مختلفي الأساليب والمعتقدات ، ولكن يكاد يلتقي الجميع في اللهجة التبشيرية التي تدعو الى الاستفادة من الشعر الاجنبي لابتداع لغة جديدة للشعر العربي تستطيع ان تحمل التجارب والهموم التي استجدت مع العصر بعد ان سقطت لغة الشعر الرومانتيكي وفقدت قوتها وحيويتها ... وعي شكله ... الشعر

... لقد خرجنا من عباءة المدرسة الرومانتيكية العربية التي تعتني فيها الالفاظ بذواتها والدلالات المجنحة ، والايقاع الناعم . وكنا قبل ذلك كله اسرى للتقليد الشعري العربي الذي يؤثر ان تكون للشعر لغته الخاصة ، المجاوزة للغة الحياة ، والبعيدة عنها في بعض الاحيان .

(...) (...)

ولكن ذوق التخلف الذي يعنى بالزينة اكثر مما يعنى بالصدق هو الذي خلق ما نسميه « بالقاموس الشعري ».

وبالرغم من انه يجعل من اليوت معلمه الاول في الخروج من حدود القاموس الشعري ، فان اثر ناظم حكمت في (الناس في بلادي) عميق لا يمكن ان يتجاهله الناقد . فالقصيدة التي جعل عنوانها اسما للديوان مثال واضح لذلك التأثير في اللغة والامثال والتعابير والنماذج البشرية الشعبية :

وعند باب قريتي يجلس عمي مصطفى
وهو يحب (المصطفى)
وهو يقضي ساعة بين الاصيل والمساء
وحوله الرجال واجمون
يحكي لهم حكاية .. تجربة الحياة
حكاية تثير في النفوس لوعة العدم
وتجعل الرجال ينشجون
ويطرقون
يحدقون في السكون
في لجة الرعب القديم والفراغ والسكون
ما غاية الانسان من اتعابه ؟ ما غاية الحياة ؟

(...) (...)

بالامس زرت قريتي ، قد مات عمي مصطفى
ووسدوه في التراب
لم يبتن القلاع (كان كوخه من اللبن)
وسار خلف نعشه القديم
من يملكون مثله جلباب كتان قديم ..
الخ

عبد الصبور يحتذي هنا تلك النماذج البشرية الفقيرة التي يتحدث

منها ناظم حكمت في شعره بتعاطف شديد وحب غير مصطنع مثل (يونس الأعرج) و (يوسف المسكين) وجمهرة الفلاحين الذين تغص بهم قرى الريف التركي حيث :

البيوت الواطئة
المكفهرة الوجوه
تساند رؤوسها
حول أزقة كمسارب المتاهة
وحملة العمائم المزركشة
ذوو عيون الجن
وأحاديث اليمام
يقعدون القرفصاء في العوائد
وأمامهم لابسو الأخفاف
بأقدامهم المشققة

إلخ

ولعل الوضع الصحيح للأمر هو أن نقول أن هناك توترا بين ما يمكن أن نطلق عليه « القطب الأليوتي » و « القطب الناظمي » في القصائد الرئيسية في ديوان (الناس في بلادي) انحسر بعدها تأثير ناظم حكمت مع تبلور فكر الشاعر ونضج شعره في دواوينه التالية •

د. محمد عبد الحي
جامعة الخرطوم

في عدد قادم ..
الحب له وجه ثالث
شعر:
عبد المنعم عواد يوسف

مونولوج جماعي ٢

إسماعيل مصطفى تامر

– سألت سمكة جارتها في البحر الكبير :
– قولي لي أين تذهب مياه هذا البحر
– ما الذي جعلك تسألين هذا السؤال ؟
– لأنني سمعت أن الشمس تشرق كل يوم من مياه البحر
– ولكنني أيضا سمعت بأنه يعود إليه في كل يوم مقدار ما تسرقه الشمس ولذلك لا ينقص الماء أبدا ..
– [illegible] مثل هذا [illegible] ؟
– إنها حكاية طويلة سمعتها بالصدفة من صديقنا النورس .. حقا .. إن هو يحتفظ بالحكاية [illegible] معه
– هل تريدين سماع الحكاية .. أو تريدين مني أن أستمع للهدوء الآن لا معنى له على صديقنا « النورس » بالمناسبة أنت تبالغين في التحامل إياه .. رغم أنه يحمل لك الكثير من المودة والمحبة ...
– صحيح .. إذا كان الأمر كذلك .. فأخبريني عن الحكاية ؟
– عندما صعدت مياه البحر مع أشعة الشمس .. شعرت بأنها تحررت من إسار كبير كان يربطها ولأول مرة .. تشعر نقطة الماء بشكلها الجديد ، بعد أن كانت ذائبة في المحيط الكبير
– وماذا يعني أنها شعرت بشكلها الجديد .. وماذا أيضا نقطة الماء من دون المياه جميعها
– أولا أنت لا تستطيعين تقدير هذا الشعور لأنك لا تملكينه .. وثانيا إن الماء الذي يخرج من البحر يصبح نقاط ماء كثيرة وبذلك تفترق عما كانت عليه قبلا
– ولكن ماذا يعني هذا الفرق ؟
– يعني الكثير ... ولقد كانت قبل تعيش في إطار المحيط ، إنها علاقة بالكل .. علاقة المصير ، أما الآن فهي تعيش في إطار ذاتها ولا مكان يحدها وعلاقتها بالكل .. علاقة ذكرى قديمة كالضباب !
– المهم ؟!
– المهم .. ذهبت نقطة الماء لإحدى الفرج ونسيت تماما خلال تجوالها مكانها في المحيط .. ونسيت أيضا .. أن البحر الكبير لن يقر له قرار من دونها .. سيقلب لها الأرض ويمهد أمامها المجاري ويستنسف جبالا تقف في طريقها من أجل أن ترجع إليه
– كل ذلك من أجل نقطة ماء ؟!
– بل وأكثر .. فالبحر لا يحتمل النقص حتى ولو بنسبة نقطة ماء صغيرة ؟!
– أليس ذلك بخلا .. ؟
– بل تفوقا وكمالا !
– يكمل بنقطة ماء ويتفوق بها ... ؟!
– تلك حقيقة ! !
– وبعد ... أكملي الحكاية ... ؟
– ذهبت نقطة الماء في تجوالها الأكثر فالأكثر ، لكنها كانت بين فترة وأخرى تتساءل بحيرة في ذات نفسها
– عم تتساءل ؟
– لقد انتبهت إلى أن المجاري تنفتح أمامها ، والجبال تتزاح بقوة عن طريقها ، ومع ذلك فقد كانت تهرب من واد لآخر .. لكنها كانت تجد أن المظاهر ذاتها تتكرر ولكن بطريقة مختلفة ؟!
– بطريقة مختلفة ؟!
– نعم لقد كانت تحس في الجميع أنها مدفوعة باتجاه ما .. كانت تحس لهفة لا تعرف كنهها وحنينا لا تدرك مبتغاه .. مما دفعها للتساؤل العميق ، فقد كان عليها أن تجد المبرر لكل ذلك.
– أكملي هذه الحكاية ولا تتوقفي !
– وبدأت ذاكرتها المنسية تعود إليها شيئا فشيئا .. ولكنها مع ذلك لم تستطع أن تنكر وجودها الجديد
– وبعد .. ؟
– بعد العذاب واستمرار الصراع !
– وبعد .. ؟
– وجدت نفسها تندفع في دوامة لا نهاية لها
– وبعد .. ؟
– وصلت أخيرا إلى البحر الكبير متعبة منهكة ... يكبر سؤالها بحجم المحيط ويرجع إليها الجواب بحجم نقطة الماء !!
– هكذا .. ؟
– تلك حكاية النورس !
– هيه .. إلى أين تذهبين ؟
– لقد تذكرت .. هناك صياد جائع ينتظرني منذ مدة طويلة !!

منها تأثر حكمت في شعره بتعاطف شديد وحب غير مصطنع مثل (يونس الاعرج) و (يوسف المسكين) وجمهرة الفلاحين الذين تغص بهم قرى الريف التركي حيث :

البيوت الواطئة
المكفهرة الوجوه
تساند رؤوسها
حول أزقة كمسارب المتاهة
وحملة العمائم المزركشة
ذوو عيون الجن
وأماليد اليمام
يقعدون القرفصاء في الحوانيت
وأمامهم يلهو الأطفال
بأقدامهم المشققة
الخ

ولعل الوضع الصحيح للأمر هو أن نقول أن هنالك توترا بين ما يمكن أن نطلق عليه « القطب الأليوتي » و « القطب الناظمي » في القصائد الرئيسية في ديوان (الناس في بلادي) انحسر بعدما تأثير ناظم حكمت مع تبلور فكر الشاعر وتضح شعره في دواوينه التالية .

د. محمد عبد الحي
جامعة الخرطوم

في عدد قادم ..
الميت له وجه ثالث
شعر :
عبد المنعم عواد يوسف

مونولوج جماعي ٢

إسماعيل مصطفى تامر

- سألت سمكة جارتها في البحر الكبير :
- قولي لي أين تذهب مياه هذا البحر
- ما الذي جعلك تسألين هذا السؤال ؟
- لأنني سمعت أن الشمس تشرق كل يوم من مياه البحر
- ولكنني أيضا سمعت بأنه يعود إليه في كل يوم مقدار ما تسرقه الشمس ولذلك لا ينقص البحر أبدا
- أرجوك كفي وافهمي .. ولكن كيف عرفت مثل هذا الكلام ؟
- إنها حكاية طويلة سمعتها بالصدفة من صديقنا النورس .. حقا .. [illegible]
- هل تريدين سماع الحكاية .. أم تريدين مني أن أستمع للهجوم الذي لا معنى له على صديقنا « النورس » بالمناسبة أنت تبالغين في اتهامك إياه .. رغم أنه يحمل لك الكثير من المودة والمحبة ...
- صحيح .. إذا كان الأمر كذلك .. فأخبريني عن الحكاية ؟
- عندما صعدت مياه البحر مع أشعة الشمس .. شعرت بأنها تحررت من إسار كبير كان يربطها ولأول مرة .. تشعر نقطة الماء بشكلها الجديد ، بعد أن كانت ذائبة في المحيط الكبير
- وماذا يعني أنها شعرت بشكلها الجديد .. ولماذا أيضا نقطة الماء من دون المياه جميعها
- أولا أنت لا تستطيعين تقدير هذا الشعور لأنك لا تملكينه .. وثانيا إن الماء الذي يخرج من البحر يصبح نقاط ماء كثيرة وبذلك تفترق عما كانت عليه قبلا
- ولكن ماذا يعني هذا الفرق ؟
- يعني الكثير ... ولقد كانت قبل تعيش في إطار المحيط .. إنها علاقة بشكل علاقة الصميم ، أما الآن فهي تعيش في إطار ذاتها ولا مكان يحدها وعلاقتها بالكل .. علاقة ذكرى كثيفة كالضباب !
- المهم ؟!
- المهم .. ذهبت نقطة الماء لأبعد الفرح ونسيت تماما خلال تجوالها مكانها في المحيط .. ونسيت أيضا .. أن البحر الكبير لن يقر له قرار من دونها .. سيقلب لها الأرض ويمهد أمامها المجاري وسينسف جبالا تقف في طريقها من أجل أن ترجع إليه
- كل ذلك من أجل نقطة ماء ؟!
- بل وأكثر .. فالبحر لا يحتمل النقص حتى ولو بتسمية نقطة ماء صغيرة !
- أليس ذلك بخلا .. ؟
- بل قوة وكمالا !
- يكمل بنقطة ماء ويتفوق بها ... ؟!
- تلك حقيقة !؟
- وبعد .. أكملي الحكاية .. !
- ذهبت نقطة الماء في تجوالها الأكثر فالأكثر ، لكنها كانت بين فترة وأخرى تتساءل بحيرة في ذات نفسها
- عم تتساءل ؟
- لقد انتبهت إلى أن المجاري تفتح أمامها .. والجبال تنزاح بقوة من طريقها ، ومع ذلك فقد كانت تهرب من واد لآخر .. لكنها كانت تجد أن الظواهر ذاتها تتكرر ولكن بطريقة مختلفة !؟
- بطريقة مختلفة !؟
- نعم لقد كانت تحس في الجميع أنها مدفوعة باتجاه ما .. كانت تحس لهفة لا تعرف كنهها وحنينا لا تدرك مبتغاه .. مما دفعها للتساؤل العميق ، فقد كان عليها أن تجد المبرر لكل ذلك
- أكملي هذه الحكاية ولا تتوقفي !
- وبدأت ذاكرتها المنسية تعود إليها شيئا فشيئا .. ولكنها مع ذلك لم تستطع أن تنكر وجودها الجديد
- وبعد .. ؟
- بعد العذاب واستمرار الصراع !
- وبعد .. ؟
- وجدت نفسها تندفع في دوامة لا نهاية لها
- وبعد .. ؟
- وصلت أخيرا إلى البحر الكبير متعبة منهكة ... يكبر سؤالها بحجم المحيط ويرجع إليها الجواب بحجم نقطة الماء !!
- هكذا .. ؟
- تلك حكاية النورس !
- هيه .. إلى أين تذهبين ؟
- لقد تذكرت .. هناك صياد جائع ينتظرني منذ مدة طويلة !!

حدود البحث في الأدب الأفريقي ومشكلاته خارج مجال اللغة العربية

علي شلش

تعرضنا في مقال سابق لمشكلة المفهوم في الأدب الأفريقي ، ونتعرض اليوم في هذا المقال لمشكلة البحث في هذا الأدب ، خارج مجال اللغة العربية ، وهو التعبير الذي انتهيت إليه في المقال السابق دفعا لتعبير « جنوب الصحراء » الذي يستخدمه بعض المستشرقين والافريقيين على السواء .

حدود البحث

لقد واجه العالم ظاهرة أدبية جديدة خارج مجال اللغة العربية في افريقيا ، وهي ظاهرة ترعرعت في هذا القرن على وجه التخصيص ، الا وهي ظاهرة الكتابة بلغات اجنبية وافدة ، التي تختلف كثيرا عن ظاهرة الكتابة بالانجليزية مثلا في امريكا الشمالية أو الكتابة بالاسبانية والبرتغالية في امريكا الجنوبية ، وذلك لأن المستوطنين الجدد في تلك البقاع بدأوا يكتبون بلغاتهم التي جاءوا بها ، وطمسوا للأهالي الأصليين ، وفي الوقت نفسه لم يغادروا أو يهاجروا ، بل ذابوا في مستوطناتهم وصاروا أمما جديدة لها آدابها وفنونها . اما في افريقيا فقد جاء المستوطنون الجدد، أو المستعمرون بتعبير أدق ، وحاولوا الكتابة بلغاتهم ، كما حاولوا تعليمها ــ بل فرضها على الأهالي الأصليين ، ولكنهم مالبثوا ان غادروا تحت وطأة الكفاح العنيف ضد وجودهم ، ومع ذلك بقيت لغاتهم وانتشرت ، وكادت في أوقات كثيرة ان تحتكر التعبير الأدبي ، وان تقصي عنه اللغات المحلية العديدة التي لم يكن معظمها يتمتع بأبجدية مكتوبة .

يقول المستشرق الألماني يان هاينزيان :

« إن الأدب افريقيا التقليدي أدب شفاهي . ولكن منذ أن بدأ الافريقيون في الاتصال بالثقافتين العربية والغربية أنتجوا أعمالا أدبية مكتوبة » .

الأدب الأفريقي المكتوب

ويوضح يان مجال هذه الأعمال المكتوبة فيضيف قائلا :

« لقد جاء أدب افريقيا المكتوب من منطقة (التشابك) بين ثلاث ثقافات هي : الافريقية والعربية الإسلامية والغربية . اما الأدب الذي جاء من المنطقة التي اشتبكت فيها الثقافتان الافريقية والاسلامية فسنسميه (الأدب الافرو عربي) واما الأدب الذي جاء من المنطقة التي اشتبكت فيها الثقافتان الافريقية والغربية فسنسميه (الأدب الافريقي الجديد أو المستحدث) » .

وعلى الرغم من أن يان يستخدم كلمة « افريقي » على نحو غير موضوعي كمرادف لكلمة « زنجي » أو « اسود » إلا اننا نحب أن نمضي معه في تحليله هذا الى النهاية . فيقول : الأدب الافريقي الجديد إذن ، وريث تراثين : الأدب الافريقي التقليدي والأدب الغربي . والعمل الأدبي الذي لا يكشف عن اية مؤثرات اوربية ــ بما في ذلك عدم تدوينه ــ ينتمي الى الأدب الافريقي التقليدي ، لا الافريقي الجديد . [illegible]

[illegible]

لا بأس بهذا التحليل ، ولا بأس ايضا بالنتيجة التي توصل إليها . فكلاهما يعكسان والعا موضوعيا لظاهرة الأدب في افريقيا خارج مجال اللغة العربية ، وهو ــ في الوقت نفسه ــ واقع غني متعدد الابعاد . فليست اللغات الاوربية الثلاث الوافدة ــ الانجليزية والبرتغالية والفرنسية ــ هي وحدها التي تحمل مهمة التعبير الأدبي . فثمة لغات اخرى محلية ، بعضها ذو ابجدية مكتوبة مثل السواحيلية في الشرق والهوسا في الغرب والسوتو والزولو في الجنوب ، وبعضها الآخر ــ وهو الغالبية العظمى ــ لم يعرف ابجدية مكتوبة بعد ، وهذا البعض الأخير لم يدرس الدراسة الكافية بعد ، ولم تجمع كل إفرازاته الأدبية الشفاهية بعد .

ولنعد الى القائمة التي نشرها يان ، والحقها بكتابه « الأدب الافريقي الجديد : تاريخ للأدب عند السود » . فقد بدأها يان من القرن السادس عشر وانتهى بها الى عام ١٩٦٧ ، واحتوت على اربعة آلاف عنوان لكتب مطبوعة في شتى اشكال الأدب ، بما في ذلك دواوين الشعر ومجموعات القصص والروايات والسير الذاتية والمنتخبات والمسرحيات . ولكن قبل أن نناقش حصيلة الأرقام في هذه القائمة يحسن بنا أن نتوقف قليلا لنجيب عن سؤال هام : لماذا بدأ يان القائمة من القرن السادس عشر ؟ والجواب انه يعتقد أن راهبا برتغاليا من أصل زنجي افريقي يدعى الونسو ألفاريز كان ، أول كاتب من أصل افريقي كتب أعمالا ادبية بلغة اوربية ، وقد عاش ألفاريز هذا في لشبونة خلال النصف الأول من القرن السادس عشر . غير اننا نتساءل مع يان نفسه : هل هذا يجعل ألفاريز أول كاتب للأدب الافريقي الجديد ؟ أو بعبارة أخرى : هل هذا يجعله أول أديب في تاريخ الأدب الافريقي الجديد بالمفهوم الذي سبق أن بيناه نقلا عن يان ، أي على أساس أن الأدب الافريقي الجديد هو حصيلة لقاء الثقافة الافريقية والثقافة الغربية ؟

لقد اكتشفت في بحثي عن جذور الدراما الافريقية أن ثمة كاتبا معروفا في التراث المسرحي الأوربي في العصر الروماني قد جاء من أصل افريقي ، وهذا الكاتب هو ترنتيوس أو تيرنس الذي كان عبدا أعتقه سيده وخلع عليه لقب اسرته ولكنه احتفظ له بكنية « الافريقي » ، وقد كتب تيرنس جميع أعماله باللغة اللاتينية ، ويقال انه ولد في قرطاجة بشمال افريقيا عام ١٨٥ ق . م ، واشتراه سيده من هناك ثم نقله الى روما صبيا حيث ظل إلى وفاته عام ١٥٩ ق . م . وقد تحدثنا بالتفصيل في كتابنا الصغير « الدراما الافريقية » (دار المعارف ، سلسلة : كتابك ، رقم ١٠٠) ولكن قد يقال أن تيرنس جاء من شمال افريقيا ، أي من المنطقة التي عرفت في العصرين الاغريقي والروماني باسم افريقيا ، على حين أن يان قد عنى بالمنطقة التالية للصحراء الكبرى جنوبا ، تلك التي اطلق عليها بطليموس اسم « اجيسيمبا » ، ولعله ــ أي بطليموس كان يعني بها « المجاهل » أي الأرض التي لم تكتشف أو تعرف لها حدود . ومع ذلك فان المصريين القدماء قد سبقوا بطليموس ــ المصري بالاقامة ــ في اقتحام تلك الرقعة التي كانت على عهده تعتبر من المجاهل . كما أن تيرنس ــ كما يتضح من صوره التي تكفلها العصور ومن مسرحياته الباقية ــ ينتمي لأصل زنجي أو مولد على الرغم مما قيل من انه ولد بشمال افريقيا . وبذلك يكون تيرنس أول كاتب من أصل افريقي كتب بلغة اوربية .

قائمة بكتب افريقيا

ولنعد الآن الى قائمة يان . فلا شك انها تلقي ضوءا رقميا إن صح التعبير على ظاهرة الأدب خارج مجال اللغة العربية .

يقول يان إنه يوجد في افريقيا جنوب



الصحراء (اجيسيمبا) ٨٠٥ كاتبًا ، اكثر من نصفهم (٤٢٥ كاتبًا) يكتبون بلغات اوربية - اما الباقون (٣٨٠ كاتبًا) فيكتبون بلغات افريقية ، وان نحو ٩٠٠ عمل ادبي قد كتبت بلغات اوربية ، وان نحو ٥٦٠ كتابًا قد كتبت بلغات افريقية ، وانه يوجد في تلك الرقعة نحو ٧٠٠ لغة منها ٤١ لغة ذات ابجدية مكتوبة . ويقع معظم هذا الادب المكتوب في افريقيا الجنوبية بمعنى ان ٣٩٤ عملا ادبيا الفها ٣٦٥ كاتبًا في ١٨ لغة مختلفة من لغات الجنوب مثل الزوسا والزولو وغيرهما . اما في غرب افريقيا فيوجد ٧٩ كاتبًا انتجوا ١٠٦ اعمال في ١٣ لغة مثل اليوربا والطاتتى والهوسا ، على حين يوجد في شرق افريقيا ووسطها ٢٥ كاتبًا انتجوا ٥٩ عملا في ٩ لغات مثل السواحيلية والملاجاشية (لم يضم بيان الادب في اللغة الامهرية بدعوى انها ليست لغة اجيسيمبية !) .

اما اللغات الاوربية الوافدة فيوجد ٩٠٠ عمل في افريقيا جنوب الصحراء ، منها نحو النصف (٥٠٠) بالانجليزية ، ونحو الثلث (اكثر من ٣٠٠) بالفرنسية ، فضلا عن ٦٠ عملا بالبرتغالية ، بالاضافة إلى خمسة اعمال باللاتينية وسبعة بالافريكانية وستة بالالمانية وعمل واحد في كل من الهولندية والاسبانية .

كما يوجد ١٢٣ منتخبا او كتب مختارات من الادب الافريقي تحدث في العديد من اللغات الاوربية والاسيوية . ولكن إذا كان عدد السكان في افريقيا جنوب الصحراء (اجيسيمبا) يبلغ ٢٠٩ ملايين نسمة كما يقول بيان فان نسبة عدد الكتاب (٨٠٥) الى عدد السكان تصل إلى كاتب واحد لكل ٢٦٠ الف نسمة ، كما تصل نسبة عدد الكتاب باللغات الاوربية (٤٢٥ كاتبا) إلى كاتب واحد لكل ٤٩٢ الف نسمة .

وقد علق بيان نفسه على هذه الارقام فقال إنها تعكس وضع الكتاب في هذه الرقعة من القارة باعتبارهم القلة ، وباعتبار أن هذه الاقلية جزء من « الصفوة » ، وان هذه الصفوة يزداد حجمها في افريقيا الناطقة بالفرنسية بالقياس إلى ضآلة حجم التعليم ، على حين يتسع حجم التعليم ومعرفة القراءة والكتابة في افريقيا الناطقة بالانجليزية ، فضلا عن ان الرقم الاجمالي للكتاب (٨٠٥) يمكن أن يتزايد اذا وضعنا في اعتبارنا اولئك الكتاب الذين قصروا نشر انتاجهم على الصحف والمنتخبات . وقد استبعد بيان من قائمته هذه المستوطنين الاوربيين في جنوب افريقيا ممن يكتبون بالانجليزية .

ما تقول الارقام

غير ان هذه الارقام تعكس ايضا بعض الحقائق المتعلقة بالكتابة والكتاب ، ولا بأس من إجمال هذه الحقائق في ثلاث على النحو التالي :

أولا - ضآلة الحصيلة النهائية للكتاب (٨٠٥) والكتب (٩٠٠) بالقياس إلى عدد سكان الرقعة الممتدة جنوب الصحراء (٢٠٩ ملايين) ويعنى ذلك حداثة عهد هؤلاء بالادب المكتوب ، مع ان البدايات الاولى كانت مبكرة جدا ، سواء في اللغات التي تأثرت بالعربية مثل الهوسا في الغرب والسواحيلية في الشرق ، او في اللغات الاوربية الوافدة .

ثانيا - ضآلة حجم القنوات المستخدمة في التعبير الادبي المكتوب ، سواء كانت لغات محلية او عالمية بالقياس إلى مجموع اللغات المتاحة للتعبير . ويعنى ذلك ان فرص ارتياد مجال التعبير الادبي كثيرة ، وان تدوين اللغات غير المدونة واجب قومي ووطني .

ثالثا - انقراض عدد من اللغات الاوربية الوافدة كأداة للتعبير الادبي مثل اللاتينية والاسبانية والالمانية والهولندية ، مع سيادة ثلاث لغات اوربية هي الانجليزية والفرنسية والبرتغالية على التوالي .

مع ان بيان استبعد الامهرية من مجال بحثه على اساس انه معنى بتلك الرقعة المجهولة جنوب الصحراء ، وكذلك على اساس ان الامهرية لم تكن مجهولة على عهد بطليموس ، فان اى بحث موضوعي في الادب الافريقي خارج مجال اللغة العربية لا يمكن بأي حال ان يستبعد هذه اللغة العريقة القليلة الاثر الادبية .

يتضح من ذلك كله ان حدود البحث في الادب الافريقي خارج مجال عربيتنا لابد ان تشمل كافة اللغات المستخدمة في التعبير الادبي ، وكذلك كافة الاثار التي انتجتها هذه اللغات ، سواء كان التعبير الادبي بلغة افريقية مكتوبة او غير مكتوبة او بلغة اوربية وافدة .

مشكلات البحث

يتعرض الباحث في الادب الافريقي خارج مجال العربية لبعض المشاكل الاساسية التي تتعلق بالموضوع او تتعلق بالمنهج . ونستطيع ان نجمل هذه المشاكل في ثلاث على النحو التالي :

أولا - مشكلة الادب الشفاهي

لا شك ان الادب المكتوب باللغات الاوربية او الافريقية يشغل مساحة ضئيلة على خريطة التعبير الادبي في افريقيا خارج مجال العربية . ولا شك ايضا ان هذه المساحة الضئيلة تعتبر احدث واقل شهرة من تلك المساحة العريضة التي يحتلها الادب الشفاهي او ما نسميه « الادب الشعبي » الذي لا يعرف مؤلفا محددا وتتناقله الشفاه من مكان إلى مكان ومن جيل إلى جيل . وهو ادب اعتبره البعض ركيزة للادب الحديث المكتوب اشبه بالادبين الاغريقي والروماني حين اصبحا ركيزة للادب الاوربي الحديث . ولا شك انه كان وما زال من أهم المؤثرات في الادب المكتوب بلغات وطنية او اجنبية .

وعلى الرغم من ان هذا الادب الشفاهي قد بدأ جمعه على ايدى الاوربيين منذ نحو قرن إلا ان عملية البحث فيه ودراسته مازالت في مرحلة مبكرة جدا كما قال بيان بحق . وقد جاء على القارىء غير الافريقي حين من الدهر كان يقبل فيه على منتخبات هذا الادب الشفاهي إقبال جمهور السينما على افلام الادغال وطرزان . وكان المطلون على هذه المنتخبات في الصحف يحبونها على اساس انها تأخذ القارىء إلى عالم مجهول او غريب الاطوار او طريف !

محاولات جمع الادب الشفاهي

لقد ظهرت اول محاولة اوربية هامة لجمع الوان هذا الادب في المانيا عام ١٨٩٦ . وقد اعدها المستشرق الالماني اوجست سيدل في صورة منتخب كبير من الادب الشفاهي بعنوان « قصص الافريقيين وحكاياتهم » . وكتب سيدل مقدمة لمنتخبه هذا دعا فيها القارىء إلى رؤية الافريقي المتوحش وتخيله وهو يفكر ويشعر ويتخيل ويتألم الشعر مثل بقية البشر ! ثم جاء المستشرق الالماني - ايضا - ليو فروبنيوس فنشر منتخبا من الحكايات والقصص بعنوان « الديكاميرون السوداء » وهو عنوان مستوحى من الكتاب الايطالي القديم الذي ضم مجموعة من القصص بعنوان « الديكاميرون » او « الليالي العشر » وتلاه بعد ذلك زميله مايمهوف بكتاب عنوانه « حكايات من افريقيا » نشره عام ١٩١٧ وفي عام ١٩٢١ اعد فروبنيوس الكرة فبدأ في نشر منتخبه الضخم « اطلانتيس » (القارة المفقودة) الذي ظهر في ١٢ جزءا حتى عام ١٩٢٧ واحتوى على ٤١٢٨ صفحة ، وضم مئات

القصص والأساطير والخرافات وحكايات الجن .

وقد تميزت هذه المحاولات وغيرها بأن أصحابها كانوا على دراية بأفريقيا على عكس بعض المحاولات الأخرى التي نقلها أصحابها عن غيرهم دون أن تكون لهم صلة وثيقة بالقارة مثل محاولة الشاعر الفرنسي بليز سندرار « المنتخب الزنجي » . كما تميزت هذه المحاولات وغيرها بأن معظم أصحابها كانوا رجال دين وتبشير . أما محاولات الأفريقيين أنفسهم فلم يشتد ساعدها إلا في فترة ما بين الحربين العالميتين ، ولم يقوموا أصلية بجمع هذا التراث الشفاهي إلا مؤخراً في عصر الحرية والاستقلال ، على الرغم من وجود محاولات أفريقية مبكرة ترجع إلى عام ١٨٤٣ .

ويرى بأن أن محاولات سميل وسلينهوف وفروبنيوس قد وضعت أسس النظر إلى هذا التراث كمصدر جديد وغني لمؤرخي الأدب ، ولكنها — مع غيرها في النهاية — لم تعامل معاملة أدبية إن صح التعبير فقد دخلت علوم أخرى مثل الأنثروبولوجيا واللاهوت وعلم اللغة وصارت عاملاً مساعداً في فهم هذه العلوم ثم ينظر إلى محتوياتها كنصوص أدبية قابلة للدراسة أو المقارنة .

وهكذا أصبحت دراسة الأدب الشفاهي مشكلة أمام الدارس ، على الرغم من أنها دراسة واجبة وضرورية لفهم الأدب المكتوب نفسه . ولكن من المفيد بالطبع دراسة الأدب الشفاهي من الجانب الدلالي دون إغفال دوره كمنبع من منابع الأدب المكتوب وكمؤثر من أهم المؤثرات فيه .

ثانياً — مشكلة المراجع

لا شك أن الأدب المكتوب قد حل المشكلة حلاً جزئياً ، بما أتاحه للقارىء والدارس معاً من فرص الاطلاع والبحث . كما ساعدت الببليوجرافيا من ناحية أخرى على حل المشكلة بما أتاحته من قوائم وفهارس منظمة باللغات الأوربية . وكذلك ساعدت الترجمة على تيسير المراجع بالنسبة للغات الأوربية بصفة خاصة . ومع ذلك فإن جانباً هاماً من هذا الأدب المكتوب — بلغات أفريقية — مازال بعيداً عن متناول الدارس غير المتخصص في هذه اللغات ، ولا شك أن الترجمة كفيلة بحل المشكلة ، وهو حل يملكه الأفريقيون أنفسهم بما عندهم اليوم من تخصصات وخبرات . ولا شك أيضاً أن الأدب الشفاهي غير المكتوب لم يجمع حتى اليوم بطريقة شاملة ومنظمة ، وهو أمر يملكه الأفريقيون أنفسهم أيضاً .

غير أن المشكلة في النهاية — مشكلة المراجع — تظل عقبة حقيقية أمام الدارس بلغة مثل لغتنا فما نقل إلى العربية من آثار وغيرها في أفريقيا قليل ومبعثر ، وما زال في مرحلة مبكرة جداً ، وما أنجزناه في مجال البحث والدرس نادر ندرة كبيرة من ناحية ، كما أنه يردد آراء المستشرقين ومن سار على هديهم من الأفريقيين من ناحية أخرى .



جان بول سارتر — الرئيس السنغالي

ثالثاً — مشكلة المنهج

على الرغم من الوفرة النسبية في الأعمال الأدبية للأفريقيين خارج مجال لغتنا ، وعلى الرغم أيضاً من الامتداد الزمني الطويل نسبياً لتاريخ هذه الإبداعات ، وعلى الرغم كذلك من وفرة المستخلصات التي جمعت أعمالاً مختلفة من الأدب الأفريقي ، إلا أن حجم الدراسات التي عقدت حول الأدب الأفريقي والأدب الغالب فيها مرات خضوعية للثقافة ، والطابع الغالب كبيراً على المستوى الفني ولا يمكن مقارنته بما في الأدب بمجموعات أخرى أكثر عمقاً في الكشف الهوية والاستقلال عن مستويات التعدد أو التعدد عند الكاتب والإبداع والخروج منها إلى المطبوع والمكتوب منها إلى بحث في الأدب مثلاً كتاباً حول تاريخ الأدب في لغاتها المحلية أو لغتها الإنجليزية الوافدة ، وقس على ذلك أية دولة أخرى غير نيجيريا .

ولقد مضى حين طويل من الدهر كان النمط السائد في دراسة الإبداع الأدبي فيه هو المنتخب أو كتاب المختارات الذي يجمع فيه محرره عدداً من الأعمال الأدبية يقدم بمقدمة من عنده أو يعهد بها إلى سواه ، على نحو ما فعل سنجور في كتابه « منتخب الشعر الزنجي والملاجاشي الجديد في اللغة الفرنسية » (١٩٤٨) الذي كتب مقدمته جان بول سارتر ، أو ما فعله زميله ليون داماس في منتخبه « منتخب الشعر الزنجي بالبرتغالية » (١٩٥٨) ، أو ما فعلته آن تيبل في كتابها « الأدب الأفريقي بالإنجليزية » (١٩٦٥) ، وغير ذلك من كتب كثيرة اتخذت شكل المختارات مع مقدمة وصفية أو تاريخية أو تحليلية .

ظل هذا النمط سائداً حتى منتصف الستينات تقريباً حين استقرت أوضاع كثير من الدول الأفريقية ، وانتشرت دوريات أدبية رافقت ظهور الجامعات الجديدة وأقسام الأدب التي انتشرت في شرق القارة وغربها ، وعندئذ بدأ في الظهور نمط آخر من الدراسة الشاملة المتأنية التي توخت التحليل والمقارنة للأدب المكتوب باللغات الأوربية ، واتخذ هذا النمط في صورتين أساسيتين : صورة المقال أو البحث الموجز ، وصورة الكتاب . أما صورة المقال والبحث الموجز فقد توليت نشرها الدوريات أو منتخبات الدراسات النقدية مثل كتاب « الدراما في أفريقيا » وهو مجموعة من المقالات النقدية نشرت عام ١٩٧٦ ضمن سلسلة « الأدب الأفريقي اليوم » التي تصدرها دار هاينمان الإنجليزية ، أو المقالات التي تنشرها مجلة « الوجود الأفريقي » التي تصدر بالفرنسية في باريس . وأما صورة الكتاب الذي يختص بدراسة ظاهرة الأدب الجديد في أفريقيا فهي أقل كماً من الصورة السابقة ، ومن أمثلتها كتاب « الأدب الأفريقي في القرن العشرين » الذي ألفه أوسكار رونالد داثورني عام ١٩٧٦ ، وحاول فيه أن يؤرخ للأدب خارج مجال لغتنا تاريخاً وصفياً وتحليلياً عاماً ، واقتصر على الآداب المكتوبة دون أن يتناول الأدب الشفاهي غير المكتوب . ومن هذه الدراسات الشاملة المتأنية ما تعلق بظاهرة جزئية واحدة أو أديب واحد في هذه الآداب مثل « روايات تشينوا أتشيبي » لكيلام ، أو « شعر ليوبولد سنجور » لميزو ، أو « مقدمة للرواية الأفريقية » لبالمر ، وكلها كتب أصدرتها دار هاينمان الإنجليزية لأفريقيين ومستشرقين .

قضية تصنيف الأدب الأفريقي

والحق أن المنهج الذي سار عليه داثورني لا غبار عليه من حيث المبدأ ، ولكنه يثير سؤالاً هاماً : إلى أي مدى يستطيع الباحث أن يربط باللغة كإطار عام كما حدث هنا وليس كأداة للتعبير تختلف من كاتب إلى كاتب ومن نص إلى نص ؟

لقد عالج المستشرق الألماني يان هذه القضية وهو يعالج تصويره لأدب القارة ، قال : « ثم بعد من الممكن اليوم أن يصنف الأدب على أساس اللغة ، فقد تخطت اللغات الأوربية واللغة العربية خارج مناطقها التقليدية . ولكن الآداب لا يمكن أن تصنف أيضاً على أساس جغرافي ، لأن الجغرافيا لا تقدم فئات وأصنافاً أدبية . فالأدب الأفريقي الذي يضم في مجموعة واحدة — بلغة الجغرافيا — كلاً من أفريقيا الشمالية وأفريقيا جنوب الصحراء والبوير في جنوب أفريقيا من شأنه أن يخلق من التباين ما يفوق ما يخلق من التشابه ، وكذلك أن يتجاهل العلاقات الوثيقة بين أفريقيا والبحر الكاريبي ، وبين شمال أفريقيا والشرق الأدنى . ومثل هذا التصنيف لا يهتم بالثقافة أو التاريخ أو الأسلوب ، ولا علاقة له بالأدب » .

ويستطرد يان قائلاً :

« بل إن الأدب — أخيراً — لا يمكن أن يصنف على أساس بشرة الأدباء أو مساقط رؤوسهم ، التي تعتبر بدورها فئات خارج الأدب ، ولقد حاربت لسنوات طويلة عبارات مثل « الأدب الزنجي » . . « الأدب الأسود » . . « أدب السود » ، وذلك لأن الذين يستخدمون مثل تلك المصطلحات إنما يعبرون — ربما بشكل تلقائي — عن معتقد مؤداه أن لون بشرة الأديب كاف لتحديد الأسرة الأدبية التي ينتمي إليها

أدب أفريقيا التقليدي أدب شفاهي .. ولكن عندما بدأ الأفريقيون في الاتصال بالثقافتين العربية والغربية أنتجوا أعمالا أدبية مكتوبة

وأخيرا يصل بان إلى المدخل عن اللغة والجغرافيا ولون البشرة وسقط الرأس كأساس لتصنيف الأدب ودراسته ، فيقول :

« لا يمكن أن تصنف الأدب إلا على أساس الأسلوب والمواقف التي تعرضها ؛ وبدقة أكثر أول على أساس دراسة الأعمال المفردة وتحليل أساليبها ، وتصنيفها بعد ذلك ، ثم مقابلتها على تقاليد الأساليب والمواقف المشابهة . ولا يمكنك أن تدخل في وضع الأعمال الأدبية في ، أسرها ، الصحيحة مالم تفحص هذه السمات - ومالم تحلل عملا محددا فأنت لا تستطيع أن تحدد الأدب الذي ينتمي إليه ذلك العمل » .

ويسوق بان مثلا عمليا لتحقيق هذا المنهج بقوله :

« لابد أن نفحص العمل ، وليكن مثلا عملا لأديب من اليوروبا يكتب بالانجليزية ، لا سيما وراء الأفكار الحديثة التي يحتوى عليها وتأثيرات النماذج الانجليزية فحسب ، وانما أيضا وراء المصطلحات الأسلوبية وأنماط التعبير التي تأتي من أدب اليوروبا الشفاهي في لغة اليوروبا » .

والحق أن بان قد أوقعنا في مشكلة حين نحى الجغرافيا الطبيعية والبشرية معا عن مجال تصنيف الأدب ودراسته . وكان قد سبق - فيما عرضنا له من آراء - أن ربط الأدب بالأرض التي أنتجته والبيئة التي يعبر عنها . ونخشى أن يوحي ذلك بالتناقض . إذ أن الأرض والبيئة مسألتان جوهريتان في الأساس . وكلا ، لأن الجغرافيا الطبيعية لم تكن في يوم من الأيام عاملا حاسما في وجود التعبير الأدبي أو عدمه . ولأن التعبير الأدبي في أساسه نشاط إنساني يتعلق بالإنسان حيثما ظهر أو كان . ولأن أداة هذا النشاط الإنساني نفسه هي اللغة فإن الأدب في النهاية مرتبط باللغة قدر ارتباطه بالأرض والبيئة . وليس معنى تداخل اللغات الأوربية واللغة العربية خارج مجالها التقليدي أن نصنف أو ندرس الأدب في نيجيريا مثلا بمعزل عن اللغة الانجليزية ، ولا أن ندرس الأدب في لغة مثل الهوسا بمعزل عن اللغة العربية كمؤثر خارجي .

أما التباين الذي خشي بان ظهوره عند دراسة الأدب الافريقي بفحص القارئ العام فهو أمر طبيعي يواجهه دارس أي أدب في أية قارة حتى لو كانت أمريكا الشمالية أو استراليا اللتين توحدتا سياسيا وتاريخيا . أما مسألة تجاهل العلاقات الوثيقة بين سواحل افريقيا الغربي والبحر الكاريبي ، أو بين شمال افريقيا العربي والشرق الأدنى فإن حديث بان عنها لا يزيد على أن يكون مجرد افتراض نظري ليس له ما يبرره ، تماما مثل الافتراض النظري الذي قد يتجاهل جزيرة مدغشقر أو غيرها عند الحديث عن افريقيا . والعبرة في النهاية هي بالمنهج الذي يستخدمه الدارس والأدوات والمادة العلمية التي تحت يديه . وقد أتاح لنا علم الأدب المقارن - وهو علم حديث بلا شك - الكثير من الأدوات والمناهج في مجال تصنيف الأدب على مستوى قارة واحدة أو عدة قارات ، لا على مستوى أدب واحد أو عدة آداب تنطق لغة واحدة .

المنهج التحليلي [illegible]

ولكن المنهج الذي يقترحه بان بدراسة الأعمال المفردة وتحليل أساليبها ، ثم تصنيفها على أساس الأسلوب والمواقف التي تعرضها لا يزيد على أن يكون مجرد افتراض نظري ، فضلا عن أنه يتعلق بمشكلة التي سبق أن افترض عليها ، بل إنه هو نفسه لم يطبق هذا المنهج في كتابه ، وإنما اقترحه اقتراحا ، ولكن ليس معنى أنه افتراض نظري خلوه من أي قيمة ، وإنما معناه أنه افتراض ينتظر من يحققه . وإذا أتيح له ذلك فهو في النهاية مرحلة متقدمة لابد أن تسبقها مراحل أخرى من الفحص والدرس الأدبيين . مثلا كل بان يدعو - بالمثل الذي ساقه عن أديب اليوروبا الذي يكتب بالانجليزية - إلى ضرورة وضع مؤثرات البيئة اللغوية المحلية في الاعتبار عند دراسة مثل هذا العمل المكتوب بلغة أجنبية ، فلا شك أنها دعوة سليمة . وقد تحقق شيء منها على أيدي بعض الافريقيين ممن درسوا روايات الكاتب النيجيري آموس توتولا الذي ينتمي لليوروبا ويكتب بالانجليزية . وقد أثبت هؤلاء أن توتولا يستوحي التراث الافريقي لا الافريقي - في الأسطورة .

المنهج التاريخي الوصفي

مشكلة المنهج إذن مسألة طبيعية ولكن الحل جد مختلفة مع القارئ العربي العام - غير المتخصص - ونظيره الأوربي أو غير العربي بصفة عامة . فالقارئ العربي العام بالنسبة لموضوع الأدب خارج مجال العربية في افريقيا أشبه بالقارئ الأوربي في مطلع هذا القرن حين كانت بضاعته من الأدب الافريقي قليلة ، وحين كان هو نفسه يقبل على هذه البضاعة بعقل تغذى على الأهواء والتحيزات . وقد تغير اليوم موقف القارئ الأوربي كثيرا ؛ ولكن القارئ لا يزال واقعا في تلك المرحلة التي مر بها نظيره الأوربي ، لا من ناحية الأهواء والتحيزات ، فهذا أمر لا وجود له عند أيام عشرة الحس الافريقي الزنجي ، ولكن من حيث قلة البضاعة . ومن ثمة يكون أصلح منهج في مثل هذه الظروف لمعالجة موضوع كهذا - لقارئ كهذا ، هو المنهج التاريخي الوصفي مع ما يمكن أن يتسع له ذلك المنهج من تحليل ومقارنة واستقراء .



● المعطوبون عم القدر الثاني عشرا - في عام ١٩٧٩ فقط قتل ١٧ صحفيا أثناء العمل ، واعرض ١٣ صحفيا لعدوان مباشر واستضافت السجون ٢٥ صحفيا وتم استبعاد ٢٨ صحفيا بعد تعرضهم للاغتيالات المريرة .

« تقرير منظمة اليونسكو »

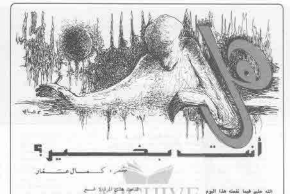
● بعد أن حصلت على جائزة مؤسسة الإذاعة الملكية لم يعد يهمني الحصول على جائزة نوبل .. إن أكون رجلا أيضا أفضل بكثير من أن أكون مجرد عالم أصلح .

« البرتو مورافيا »

● العالم مليء بالمجانين وأنا العاقل الوحيد - ولقد بحثت عن نهر الجنون لأشرب منه وأصبح مثل باقي الناس .. ولكن لم أجد هذا النهر حتى الآن .

« الفنان العالمي سلفادور دالي »





أنت بخير ؟

شعر : كمال عمار

الله عليم فيما نفعله هذا اليوم
ان كنا نفعل ما يرضينا ..
او ما يرضيهم ....
او ما يرضيه !
في كل صباح نبدأ رحلتنا في التيه
فالبعض يباع بسوق النخاسين
والبعض يبيع
والبعض الآخر لا يعنيه من باع ومن بيع بوادينا
يتساوى الأمر !

● ● ●

● قدحك ...
ـ ما زلنا في اول ساعات الليل
● اعلم .. لكنا في منتصف الويل
حسب التوقيت المأساوي
للمدن الصماء البكماء
فاذا نطقت .. شهقت
واذا سمعت .. فزعت
واذا ... قدحك ...

[illegible]
ـ هل ... أنت بخير ؟!

● ● ●

من الشعر المحر ، الشقشقة المستغلقة على الافهام
في كل فصول تراجيديا الكذب الاخضر
لم يكتمل النظارة بعد
لعظات ويكاد العرض يمد اليد
والصالة فارغة الا من انسان
يتثاءب ويدخن سيجارا وهميا ويفكر
فيمن دفعوا ثمن بطاقات الرؤية ثم ولا احد يأتي ..
ويقولون قطارات الليل تتوه كثيرا والعجلات تشد عن القضبان .
والاحلام الرمل نواصيها تنحل وتتكسر
والانسان
يتثاءب من الفي عام
ويدخن سيجارا وهميا ويفكر
انا من ضيع في الاوهام
ايام العمر !

شيرين خالد الأغا

وجه مدينة من فلسطين

صفد زنبقة الجليل

غريب أنا ياصفد ..
تقول البيوت : هلا
ويأمرني ساكنوها ابتعد
علام تجوب الشوارع
يا غريب .. علاما ؟
اذا ما طرحت السلاما
فلا من يرد السلاما
لقد كان اهلك يوما هنا
وراحوا .. فلم يبق منهم أحد !
على شفتي جنازة صبح
وفي مقلتي مرارة ذل الأسد
وداعا وداعا صفد ! ؟

بهذه الكلمات الدامعة .. اوجز الشاعر الفلسطيني سالم جبران حال مدينة صفد بعد سقوطها في حمأة الاحتلال الصهيوني يوم الحادي عشر من مايو عام ١٩٤٨ .

ان مما يضاعف تفريح الاكباد ان تعيش صفد على امتداد تاريخها عربية أبية وفجأة يمسح الظلام وجهها الصبوح ، ويغيّر هويتها ، ويصبغها بالصبغة الصهيونية ! وربما تكون صفد هي المدينة الفلسطينية الوحيدة في الجليل لا يتواجد فيها عربي واحد سواء كان مسلما او مسيحيا ! !

لقد حرص الصهاينة على تهويد صفد ، وصهينتها تماما ، فما كادت دولة العدوان تثبت أقدامها في فلسطيننا الحبيبة حتى بادرت باقتلاع جذور مواطني صفد الشرفاء ، وقذفتهم بعيدا عبر دروب التيه والضياع .

لقد استأصل أعداء امتنا قلب مدينة صفد العربي ، وزرعوا مكانه قلبا يهوديا رماديا ، واستبدلوا شرايينها الصلبة النقية ، وحطموا عمودها الفقري ، وازالوا كل وشم عربي حفره التاريخ على وجهها وذراعها وحدقات عيونها ، ولم يعد الزائر العربي لصفد يرطب فؤاده بصوت المؤذن مترنما بحمد الإله .

إن من واجب صفد علينا أن نقرأ تاريخها ، ونستحضر أمورها ، فربما يظهر من بينها من يشرق به كصلاح الدين او كالظاهر بيبرس يحررها من مغتصبيها كما حررها قديما من صليبيي الأمس .

قلعة الجليل

تقع مدينة صفد في الجليل على سطح جبل كنعان ، وقد سُمّي بهذا الاسم نسبة الى كنعان بن نوح الذي دعاه سيدنا نوح كي يركب معه في الفلك المشحون لكي لا يغرقه الطوفان ، فرفض دعوة والده وقال له : سآوي الى جبل يعصمني .

وتقع صفد في أعلى نقطة في شمال فلسطين حيث جبل الجَرْمَق ، وهو اكثر جبال فلسطين ارتفاعا حيث يعلو بمقدار ١١٩٨ مترا عن سطح الابيض المتوسط ، مكانها بين سوريا شرقا ، ولبنان شمالا وفلسطين طبريا وعكا جنوبا وغربا .

تمتاز المدينة بموقعها السوقي (الاستراتيجي) الممتاز ، فهي قلعة الجليل بلا منازع ، كما تمتاز بمناظرها الطبيعية الساحرة فهي زنبقة الجليل بلا منازع !

ترتفع عن سطح البحر المتوسط بما يقرب من ٩٠٠ متر ، وعن سطح بحيرة طبريا بـ ١٠٥٠ مترا ، وهذا الموقع الجميل اكسبها طقسا صيفيا فريدا ، ومما يزيد من جمالها احاطتها بأشجار الصنوبر والتين والزيتون وكروم العنب وقبيل النكبة العربية الاولى عام ١٩٤٨ كان قضاء صفد يضم حوالي سبعين قرية عربية ، اما بعد النكبة فقد ازال الصهاينة اغلبها ، وحولوها الى مستعمرات تستوعب مهاجريهم ، ولم يبق من هذه القرى العربية سوى ست فقط !

• • •

ذكر بعض المؤرخين ان اسم صفد الحالي مشتق من « صفاة » الكنعانية العدنانية ، وهي تعني الصخرة الصلدة ، ثم حرفت فيما بعد واستقرت على وضعها . وهناك قول آخر بأنها قد اخذت اسمها من « الصفد » بالفتح ، بمعنى العطاء والوثاق جمعها اصفاد . قال تعالى في سورة ابراهيم « مقرنين في الاصفاد » . وفي المثل : « الصفد صفد » أي ان العطاء قيد .

صفد والصليبيون

بقيت صفد معزولة على قارعة التاريخ فترة من الزمن ، حتى انها لم تذكر في احداث التاريخ الاسلامي ، ولا في مؤلفات العرب ورحالتهم من امثال البلاذري واليعقوبي والطبري والمقدسي .. وبقيت مغمورة حتى القرن الحادي عشر حينما احتل الصليبيون ديار الشام ، فلفتت صفد انظارهم بسبب موقعها الحصين ، فأمر القائد الفرنسي « فولك انجو » بتشييد قلعة حصينة على ربوة صفد عام ١١٤٠ ميلادية ، وقد صار لهذه



القلعة شأن كبير في الحروب الفرنجية نظرا لموقعها الفذ الذي يشرف على الجزء الشمالي من اقليم الجليل ، وعلى الطريق بين دمشق وعكا ، ولذلك كانت تلك القلعة من آخر المعاقل الصليبية التي استطاع المسلمون الاستيلاء عليها في القرن الثالث عشر .

وفي عام ١١٥٧ لجأ الى قلعة صفد خامس ملوك مملكة بيت المقدس الفرنجية بلدوين الثالث على اثر هزيمته امام جيوش نور الدين زنكي .

وفي عام ١١٦٨ عهد اموري الاول حماية قلعة صفد الى فرسان الداوية وكلنا يعلم بان البطل المسلم صلاح الدين الايوبي قد حقق انتصاره الباهر على الصليبيين في معركة حطين الشهيرة عام ١١٨٧ ميلادية، وفي الرابع عشر من شوال في ذات العام رفع راية النصر على قلعة صفد بعد ان دحر اعداءه منها .

نكسة عابرة

ان القارىء لتاريخ الايوبيين في تلك الفترة يعلم بالنزاع الذي دب بينهم حول اقتسام دولة صلاح الدين بعد وفاته ، وقد بلغ الهوان ببعضهم مبلغه ، ونتيجة لخوف الصالح اسماعيل من غدر الملك نجم الدين اتصل ببعض زعماء الحملة الصليبية طالبا مناصرته على ابن عمه ، وقد اباح لهم بعض المناطق التي يسيطر عليها بما فيها صفد . ولم يرد الله لهذه الامة نكسة طويلة، فسرعان ما قيض لها رجلا ... بيع في اسواق الرقيق بحلب بسبعة عشر دينارا ، ولكن الاسلام صقل نفسه وهذب خلقه .. فتوصل هذا

فتاة صفد ... ترتدي الملاية الصفدية المشهورة

بحيرة طبريا .. ترتفع عنها صفد بحوالي ١٠٥٠ مترا



المملوك الى اعلى مركز في دولة الاسلام وخاض الملك الظاهر بيبرس عدة معارك مع الصليبيين . وفي اليوم الخامس عشر من شوال عام ٦٦٤ هجرية (١٢٦٦ ميلادية) تمكن من تحرير صفد ، واستحق بجدارة ان يلقب « بركن الدين والدنيا » ومازالت اسوار القلعة تحمل نقوشا تدعو هذا السلطان المجاهد بانه « اسكندر زمانه — وعمود دينه » .

بيت الأحزان

يقول الرحالة التركي (اوليا شلبي) وهو يصف رحلته من اسطنبول الى بلاد الشام عام ١٦٧١ ميلادية : قبل ان اصل الى صفد تذكرت ان اول بلد عمرت بعد الطوفان كانت « الجودي » التي استقرت عليها سفينة نوح قرب الموصل ، ثم ان سام بن نوح لما فرغ من بناء دمشق بنى صفد ، وقد اتسع عمرانها وسكنتها طوائف عديدة من البشر ، ولما قضى الرومان على عصيان اليهود بعد المسيح « ٧٠ سنة » نامت هذه البلدة نوما عميقا ، واختفت في نكبات الزمان ، حتى اقام فيها الفرنج حصنا كان شجا في حلوق المسلمين ، حتى جاء السلطان صلاح الدين وفتح صفد . واخيرا لاحت لنا المدينة كانها حمامة بيضاء تتحفز للطيران ، وحالما وصلت اليها هرولت مسرعا الى مغارة « بيت الاحزان » حيث حزن يعقوب على يوسف ، وابيضت عيناه من الحزن وهو كظيم ، ثم ارتد اليه بصره حينما جاءه البشير بقميص يوسف ، وهذا المقام الشريف يتوسط مقبرة تضم عشرات من الابرار الصالحين الاخيار رضوان الله عليهم . يقال ان الدموع التي سكبها يعقوب على امتداد اربعين سنة قد فتتت الصخور ، ثم تساقطت على الارض ، وفي هذا المكان نزل سيدنا جبريل الامين على يعقوب بواسطة شق اراده الله « ولا يزال هذا الشق لامعا كان النحات تركه في التو والساعة » .

كما يدعي اليهود بانه تتواجد في هذا المزار قبور سيدنا يعقوب واولاده الاثنى عشر . ويذهب الكثيرون من اليهود الى الاعتقاد بضرورة زيارته ولو مرة واحدة في الحياة ، اما في حالة رفض اليهودي اداءه هذه الزيارة فهو اثم فقيه ، اما اذا انزوى ولم يستطع فامامه ثلاثة خيارات : ان يعفر وجهه بترابها ، او يشرب من مائها او يستنشق دخان اشجارها !

وعلى قمة الغار نقشت الآية الكريمة « فلما ان جاء البشير القاه على وجهه فارتد بصيرا » .

صفد ... ونابليون

في مطلع عام ١٧٩٩ ، انطلقت القوات الفرنسية من مصر الى فلسطين بقيادة

في مطلع عام ١٧٩٩ عجزت القوات الفرنسية عن اقتحام عكا برغم طول الحصار

منظر عام لمدينة صفد المحتلة منذ عام ١٩٤٨

نابليون بونابرت » وقد استولت على السواحل الفلسطينية ، الا انها عجزت عن اقتحام عكا برغم طول مدة الحصار المضروب عليها والذي استمر سبعين يوما فاخذ نابليون يرسل جنوده في اتجاه المناطق الجبلية بقصد الاستكشاف والتغلغل في البلاد ، وبعث بفرقة من جنوده بقيادة الملازم « بلانيل » لاستطلاع طبيعة الجبال الصفدية ، واكتشف الصفديون تحركاتها ، فانقض شبابهم المتحمس على افراد الفرقة فابادوهم عن بكرة ابيهم ، معمما اسقط القائد ، ونكاية في نابليون ساقوه الى عكا ، وقدموه هدية لواليها احمد باشا الجزار .

وبعد فترة انشغل اوار احدى المعارك مع الفرنسيين واستطاع الفرنسيون الاستيلاء على صفد ، وانتقموا من اهلها شر انتقام ، وتقول احدى الروايات الفرنسية ... ان عساكر الشام انهزمت ، وجموع العربان تقهقرت ، واستولى الفرنسيون على غنائم كثيرة حتى انهم وجدوا خياما ملأى بانواع الحلوى والملبس ، فملأوا جيوبهم وحقائبهم ، واحرقوا ما زاد عن حاجتهم ، وفي الليل اشعلوا النار ، وتناولوا العشاء ثم سمروا .

مع الحملة المصرية

خضعت صفد للحكم المصري مدة تسع سنوات (١٨٣١ – ١٨٤٠) حينما بعث محمد علي باشا بابنه ابراهيم لفتح بلاد الشام .

ويبدو ان ابراهيم باشا كان متعطشا لشهوة السلطة ، فما كاد يتمكن من البلاد حتى اصدر اوامره بجمع السلاح ، وزيادة الضرائب ، واحتكار الحرير ، وتجنيد ابناء البلاد ليكونوا في خدمة اطماعه ... واستاء الناس لهذه التصرفات ، فعمت النقمة والثورة كل الارجاء الفلسطينية بما فيها الديار الصفدية ، وقد عهد محمد علي باشا لصديقه الامير بشير الشهابي في جبل لبنان مهمة اخماد ثورة الصفديين بالذات ، فاستجاب الامير ، وعسكر في قرية بنت جبيل في الجنوب اللبناني ، وحينما علم الصفديون بتواجده آثروا السلامة فاتاهوا عليهم وفدا رفيع المستوى بقصد تقديم الولاء والطاعة فقبلها منهم وتوجه الامير بنفسه الى صفد فلاقاه وفد يهودي ، واشتكى اليه بان مسلمي صفد قد نهبوا اموالهم بعد انسحاب الفرنسيين من عكا عام ١٧٩٩ .

وزعموا انهم قد فقدوا ما يزيد عن اربع وتسعين خزنة من الذهب !!

فطلب الامير الشهابي من اعيان صفد ان يقدموا هذا المبلغ ، فاقسموا له باغلظ الايمان ان كل ما يملكه يهود صفد لا يوازي عشر معشار ما يدعون ، فلم يستمع لكلامهم بل ضبط بيوتهم وارزاقهم واخذ يعذبهم حتى هرب الكثيرون .

ولم ينته الامر عند هذا الحد بل ان القناصل الاوربية قد بالغوا في قيمة الخسائر اليهودية ، على الرغم من ان عملاء هؤلاء القناصل قد اوصوا اليهود بالمبالغة في تقدير الخسائر لانها ستدفع لهم من خزينة الدولة المصرية ، وقد جاء في وثيقة محفوظة في السجلات الملكية بالقاهرة « ... لكن مادام اصدقاؤنا القناصل قد اصروا وصمموا ، وتخلصنا من هذه القلقلة ، فقد صدرت الاوامر خطيا الى سليمان باشا بجمع املاك وعقارات هؤلاء الفقراء (من اهل صفد) لتقسيم اثمانها على المدعين كذبا وبرغم هذا التهالك الذي اظهره محمد علي باشا الى بريطانيا والنمسا وروسيا وبروسيا الا انهم لم يرضوا عنه ، وقاموا بتحريض ومساعدة العثمانيين ضده مما اضطره الى سحب جيشه من الشام ، ومن ثم عادت البلاد الى حكم الاتراك .

● اليهود يقدسون صفد ويعتبرونها من المدن الأربع المقدسة لديهم مع القدس والخليل وطبريا

اليهود في صفد

تعتبر صفد واحدة من المدن الاربع المقدسة لدى اليهود اضافة الى القدس والخليل وطبريا . وبالنظر لما ورد في التلمود (الكتاب المقدس الثاني عند اليهود) فإن المسيح الذي يرتقبونه سيضع مروره في اخريات الايام بصفد .

يقول مؤلفا كتاب « ولاية بيروت » : أن الوفا من شيوخ الرجال والنساء من الطائفة اليهودية يؤمون هذه الديار ليموتوا فيها لا ليعيشوا في محيطها فتراهم يشكلون اقذر الطبقات واحطها ، شعورهم طويلة ، وجوههم لاتعرف النظافة والماء ، ثيابهم قذرة ، وقبعاتهم قد اسودت من الدهن ، يحملون في ايديهم توراة او تلمودا ولاينفكون عن تلاوته في الازقة ، لا يعبأون بالاقذار والعفونات ، وان الانسان ليحتاج الى قوة فوق طاقة البشر حتى يقدر على احتمال تلك الروائح حين مروره في محلة اليهود . ولا ريب انهم يعتقدون بان هذا الانحطاط هو علامة الزهد والتقوى

هذا من ناحية كهنة اليهود والمتقون منهم .

اما من ناحية شبابهم ورجالهم فانهم يقبلون على الحياة في نهم شديد ، ويصارعون من اجل تحقيق وتوطيد اقدامهم وتحقيق حلمهم الذي يمتد من النيل الى الفرات

وبالنسبة لمدينة صفد ، ففي نهاية القرن التاسع عشر هاجرت عشرات من الاسر اليهودية الى فلسطين واقامت في فلسطين . وقد تكفل المليونير اليهودي البارون روتشيلد بالانفاق عليها . وفي عام ١٨٩٦ تاسست على حسابه مستعمرة (العطلة) بمصف مليون فرنك

الحياة الاجتماعية

لقد استطعنا ان نتعرف على بعض العادات الاجتماعية التي كانت سائدة في صفد ايام الانتداب البريطاني الاسود على فلسطين . ومن هذه العادات ان ابناء صفد المسلمين كانوا يتزوجون في سن مبكرة . ويدفعون جميع ما يملكونه الى الزوجة على سبيل المهر . وهذا سبب في تسلف الحاجة والعوز لدى الكثيرين منهم ، كما انهم لايهتمون بكنس الموجز . واعلى مهر مؤجل في الاسر الكبيرة كان يتجاوز ٥٠٠ قرش ، اما المهر المعجل فيبلغ احيانا خمسة آلاف قرش !

وإذا رغب الصفدي في الزواج فانه لا يرى وجه الفتاة التي يرغب في الارتباط بها ، اما اذا تم الزواج فليس من عادة الزوج ان يترك بيت ابيه ، بل يعيش هو وزوجته مع اسرته وذلك بقصد التقليل من تكاليف بناء بيت جديد للزوجين .

اما عند يهود صفد وبخاصة طائفة « السفارديم » فيجب على الزوجين ان يسكنا عاما واحدا في بيت والد الزوج ، وعاما آخر في بيت والد الزوجة ويدفع العروسان مهرا متساويا ، ثم يجمعا في صندوق واحد حيث يوضعا في حوزة الزوج ليشتغل به في بداية حياته الزوجية !

ولما عرفت من هذه العادة لدى اعدائنا قلت في نفسي : ما احرانا ان نتبع هذه الطريقة مع تعديل بسيط ، حتى نضع حلا لمشكلة غلاء المهور المستعصية في كثير من اقطار وطننا العربي !

● عثرت على قائمة طريفة تبين اسعار بعض الحاجيات في مدينة صفد لعام ١٩٢٤ مبينة بالقرش الفلسطيني المساوي للقرش الاردني او الكويتي تقريبا : كيلو لحم ضان بسبعة قروش ، كيلو لحم بقري بخمسة قروش ، كيلو سمن بلدي بتسعة قروش كيلو عدس بنصف قرش ، عشر بيضات بقرش واحد ، كيلو سكر بثلاثة قروش !

● في احدى واجهات قاعة الاستقبال بقصر الوالي العثماني تم نقش هذين البيتين :

الا يادار لا يدخلك حزن
ولا يغدر بصاحبك الزمان
فنعم الدار تؤوي كل ضيف
اذا ما الضيف ضاق به المكان

شخصيات صفدية

لقد انجبت صفد مئات من الشخصيات السياسية والدينية والادبية والاقتصادية على امتداد تاريخها . وبالنظر لاحوال صفد السياسية حاليا وما رافقها من هجرة الصفديين وتشتتهم فانه يصعب علينا حصر جميع شخصياتها البارزة ، ولكن هذا لا يمنعنا من ذكر من عرفنا منهم :

● علي رضا النحوي (١٨٩٠) قاضي صفد ، واحد رؤساء بلديتها .

● احمد بن محمد الخالدي (١٩١٥) كان عالما تقيا نقيا ، له عدة مؤلفات ، يعتبر جد اسرة فورة الصفدية العريقة

مرتفعات الجولان السورية المحتلة تستطيع رؤيتها من صفد

● أنجبت صفد مئات الشخصيات السياسية والدينية والأدبية والاقتصادية على امتداد تاريخها

● احمد بن حامد النحوي (١٨٨٥) عمل قاضيا في المحاكم الشرعية بفلسطين
● شهاب الدين بن خفاجة الصفدي (١٨٣٠) له مصنفات عديدة ، يعتبر الجد الاعلى لاسرة النحوي الصفدية العريقة .
● محمد سليمان شما (١٨٤٤) مؤرخها وقاضيها ، وعالم انسابها ، واحد رؤساء بلديتها
● الشيخ احمد الاسدي (١٨٦٤) له زاوية معروفة باسمه ، يعتبر الجد الاول لاسرة الاسدي الصفدية العريقة .
● سعيد افندي مراد (١٨٨٠) استاذ الاجيال في صفد ، عمل مفتشا لمدارس القضاء ورئيسا للبلدية .
● ابو الفرج العطني (١٨٩٤) شغل منصب الافتاء في صفد ، وعدة مناصب اخرى .
● نصوح منور (ابو غاندي) كان ضابطا في جيش الثورة العربية انعم عليه المغفور له الحسين بن علي بوسام النهضة .
● محمد برادعي العيلبي : عمل مستشارا قانونيا ، ويتقلد وسام الاستقلال الاردني من الدرجة الاولى .
● شكيب الاموي : خطيب بليغ ، ووطني صادق ، من كبار رجال الاعمال في جدة .

ومن رجالات صفد المرموقين ايضا : الحاج ابراهيم قورة ـ محمد سعيد مراد ـ سعيد عزيز عيسى ـ نور الدين عيسى ـ عثمان توفيق صفدي ـ نايف نمر خرما ـ فهمي شما ـ المجاهد صبحي الخضرا ـ المجاهد عبد الرحمن الخضرا ـ وغيرهم كثيرون .
ومن شعراء صفد الموهوبين محيي الدين الخضرا الملقب (بمعري صفد) ، ومحيي الدين الحاج عيسى ، وله ديوان مطبوع معنوان « من فلسطين واليها » وقد اصدره في حلب نجله الدكتور ايمن الذي يعمل صيدليا في حلب ، وقد اخترنا من شعره هذه الابيات :
قد كنت ياصفد الحبيبة قلعة
صمدت لكبير الحقد والارهاب
بل كنت صرحا للبطولة والندى
عربية الاحساب والانساب
ان عبر الاعداء وجهلا فالدجى
يمحوه صبح من رءوس حراب

● ● ●

وبرغم نكبة صفد وتشريد ابنائها فما زال الصفديون محافظين على تقاليدهم وعاداتهم التي ورثوها عن اجدادهم ، وقد برزت في دائرة الشرف والفضيلة والاخلاق الحميدة عشرات من العائلات الصفدية العريقة والوجيهة نذكر منها : قدورة ـ النحوي ـ الخضرا ـ السعدي ـ الصيداوي ـ رستم ـ الحلاق ـ الاسدي ـ البغدادي ـ البيطار ـ منور ـ شما ـ قانوس ـ عيسى ـ البرغوثي ـ دله ـ وغيرهم
بعد النكبة الرهيبة الاولى نزح الصفديون ـ الا قلة منهم ـ الى سوريا الشقيقة وقد احتضنهم ابناء الشعب السوري الاصيل ووقفوا معا يساهمون باخلاص في عمليات البناء والتشييد ، وهم يتمتعون بكافة الحقوق والمزايا الممنوحة لاخوانهم السوريين . ولا غرابة في ذلك فصفد تعتبر ابنة الشام في كثير من الامور كطلاوة اللهجة وصلة النسب ، ومفاخر الاطعمة ، والشجاعة ، وصدق الوداد .

سقوط صفد

كبقية القرى والمدائن الفلسطينية جاهدت صفد جهادا مشهودا ضد البريطانيين واليهود ، وقد شارك الصفديون في جميع الثورات الفلسطينية التي اشتعل اوارها على امتداد ثلاثين عاما من الانتداب البريطاني الاسود على فلسطين .
وقد كان لصفد دور بارز في حادث البراق عام ١٩٢٩ ، وقدمت واحدا من شبابها المناضل تحمل المشنقة البريطانية الجائرة ، وهو الشهيد فؤاد حجازي ، غير ان صفد وقعت ضحية المؤامرة البريطانية اليهودية ، وفي عشية اليوم التاسع من مايو عام ١٩٤٨ قام اليهود بهجومهم الاخير على صفد ، واستولوا عليها بعد ان انسحب رجال جيش الانقاذ التابع للجامعة العربية ، ولما راى السكان جيش العرب ينسحب بلا قتال يذكر اضطروا الى الخروج عن مدينتهم خوفا من تكرار مذبحة دير ياسين في صفد : اما شباب صفد الذين يدافعون عن القلعة فيقول عنهم شيخ مؤرخي فلسطين عارف العارف : «استشهد من حامية صفد يوم سقوطها ٩٩ رجلا ، كانوا اثناء القتال في داخل القلعة ، ورفضوا الاستسلام عندما تغلب اليهود عليهم ، فقتلهم هؤلاء عن بكرة ابيهم ، وقتلوا قائدهم ممدوح عاطف البرندي وهو من القدس» .
قال لي احد شيوخ صفد الاجلاء : يابني ... انكم معشر الشباب تجهلون كثيرا تصرفات وعمليات جيش الانقاذ الذي تراسه فوزي القاوقجي ... لقد اضرنا ذلك الجيش اكثر مما نفعنا ... عن طريق مجلة « الدوحة » طالبوا المسؤولين في الجامعة العربية ان يفتحوا خزائنهم المغلقة عن اسرار ومخازي جيش الانقاذ في فلسطين .. فهذه امنيتي من مجلة «الدوحة» .

حاضر صفد

ظاهرتان ملفتتان للنظر في صفد اليوم ... الظاهرة الاولى ان العدو قد حولها الى مدينة صناعية ...
اما الظاهرة الثانية فهي ان العدو قد ابقى جزءا كبيرا من الاحياء العربية كما هي على حالها القديم ، وتحولت صفد الى مركز عالمي للفنون الجميلة ، وفيها مدارس للفن ، والنحت ، والرسم ، والتصوير ، وكلها في حي خاص
لن نقول لصفد كما قال لها الشاعر سالم جبران وداعا ياصفد ... بل نقول لها كما قال سيدنا يعقوب عليه السلام «صبر جميل والله المستعان» .

نبيل خالد الاغا



محمد المنسي قنديل



أيام الجوع

● كان النيل أيامها يمشي ناعسا متكسر الموجات، ومصر كلها نائمة

كان « ياسف » اليهودي الملازم بدار ضرب النقود يستعد للسفر الى اسطنبول . متاعه قليل ورحلته طويلة . وزوجته « سارة » واقفة في الركن المعتم ترقبه دون ان تقدم له المساعدة . كان ياسف يلهث وهو يجذب الرباط .. وحين قطع ياسف شحوها .. قالت :

ـ سوف ارحل معك الى اسطنبول ..

توقف ياسف في حيرة .. تمتم مرتبكا .. ولكن ساقابل السلطان لاقدم له تقريرا عن .. وقاطعته سارة في برود . ولن تقابل السلطان الا وانت معي ..

هبط ياسف الى حارات « بولاق الوجه » .. كان الوقت صيفا .. ولكن الوحل لا يجف ابدا .. وقال « صارقيم » صانع الكعك .. احضر لي حفنة من تراب صهيون وخذ وعدا من السلطان .. ومرة اخرى تمتم حائرا .. اي وعد ؟ .. واشاح ساروقيم وهو يقول .. وعد باي شيء .. يكفي ان يعدك السلطان ..

دخل ياسف من باب المعبد .. مسح قدميه في الحصير المجدول فازدادتا وسخا .. كانت الترتيلات العبرانية والمزامير الخافتة تبحث في داخله شعورا بالوحشة .. تعيده طفلا صغيرا . ووقف الحاخام بلحيته السوداء . وجد ياسف نفسه وهو ينحني امامه في خشية .. وقال الحاخام امرا في اقتضاب ..

ـ لا تعد الا ملتزما للديار المصرية.

تحت وطأة الكابوس المتصل

ايام الكابوس الطاغي

كان النيل يمشي ناعسا بتكسر الموجات . ومصر معها نائمة تحت وطأة الكابوس العثماني . كابوس فرض ثقله الثقيل على القلوب على القصور والمساجد والحارات والوكالات والاسواق المسقوفة والطرقات المتربة . الكابوس وقد فقدت مصر خمسين صنعة انتقلت بصانعيها الى اسطنبول .. ولم يكن الا بعد ان فقدت مصر كل شيء .. كان المساجين في سجن « العركانة » يحفرون ثقبا في الجدار لعلهم يخرجون الى شمس جديدة . والباشا قد غضب فجأة على « كتخداه » وذبحه وشريكه في المكوس فلم يتردد لعطفه في خنقه وهبطت جثته من القلعة بدعوى انه مات من التخمة . وكان اضراب العميان في الجامع الازهر يدخل اسبوعه الثاني وقد اغلقوا المسجد وعطلوا الشعائر واوقفوا الاذان لعل الملتزمين يفرجون عن اموال الاوقاف التي نهبوها .

وجاء الخبر الى القاهرة ان السلطان مصطفى خان قد انجب توأمين فعلقت الزينات ابتهاجا كان الدنيا ينقصها المزيد من السلاطين . وهبت ريح شديدة محملة بالتراب الاسود فاظلم الجو . وكانت صلاة الجمعة قائمة وتحطم المنبر الذي يقف عليه امام جامع ابن طولون . وصاح صائح ان القيامة قد قامت والساعة قد ازفت . فهرع المصلون وتدافعوا من باب المسجد ومات خلق كثير تحت الاقدام .. ولم تقم القيامة ولم يعرف القتلة . وخرج « قيطاس بك » على راس تجريدة عظيمة لتأديب الاعراب الذين يقطعون طريق الحج فازمهم الاعراب شر هزيمة .

وجاء من الفيوم سيدنا « العليمي » اخر الانبياء الكذبة وجمع خلفه المستضعفين والفقراء والشواذ واللصوص والبغايا وكل من له مظلمة .. وكل من يحلم بالخلاص .. وكل من في صدره نقمة .. وتبعوه .. من شارع الى شارع .. وهو يهذي بكلمات غامضة فيوقظ الاحلام من تحت الرماد .. وادعى الولاية وجاء اليه الناس من كل البلدان والكفور واختلط النساء بالرجال فقامت عليه العسكر وقتلوه ودفن بناحية مشهد السيدة نفيسة ..

ايام الغواية

وقف « ياسف » خاشعا امام مراد بك الدفتردار ملتزم كافة عموم الديار المصرية . وكان ميناء الاسكندرية مزدحما بالحمالين وموظفي المكوس .. وقال البك ..

ـ من معك يا ياسف .. ؟ ..

اعتذر « ياسف » لانه اضطر لاصطحاب زوجته . وتطلع البك اليها .. كانت تقف على مقربة منهما . كل شيء كان يشي بانها امرأة

ومشيه الجمال . واعترف البك بينه وبين نفسه ان ياسف قد احسن الاختيار . لم يكن غير موظف صغير بدار الضرب يقوم باحصاء الوارد والمنصرف . ولن يقف امام السلطان الا دقائق معدودة . يذكر فيها ارقاما مبهمة يثبت فيها ان مجموع الجزية السنوية يتناسب مع دخول الزراعة ومكوس التجارة وسوف يصرفه السلطان وهو يتثاءب .. ولكنه بمثل هذه الزوجة يستحق اكثر بكثير.

وكان ربان السفينة أرمنيا ذا لحية كثة حمراء . دفع « ياسف » الى مؤخرة السفينة وكاد ان يلقي متاعه في البحر . وترفق البك بالزوجة ولمس يدها وهو يصعد السفينة وأيقن ان هذه الرحلة التي كانت طويلة يوما سوف تكون ممتعة هذه المرة ..

ازداد احساس ياسف بالضآلة .. ونزل البك الدفتردار في « قمرة » فاخرة . وحين سارت « سارة » الى الجانب الاخر من السفينة اوشك ياسف ان يختنق بالبكاء وقد ادرك انها ذهبت اليه !! ولكنها عادت بعد فترة غير كافية لفعل اي شيء وكان معها القبطان ذو اللحية الحمراء واشار له فحمل الامتعة وأنزله في قمرة قذرة ولكنها أفضل من مرافقة الجرذان في قاع السفينة . ولم يجرؤ على النظر الى وجه سارة . وابتعدت الاسكندرية والارض والنورس . وغاصت السفينة في زرقة صافية .. ووقف على سور السفينة شاردا فرأى الحاخام يصعد من جوف البحر ويأمره ان يعود ملتزما .. والتفت الى الخلف فوجد مراد بك الدفتردار واقفا امامه .. يحدق فيه وعويناته المغاسية فرغيظ . ووجهه الارناءوطي الاحمر أصبح قرمزيا .. ومد « ياسف » يده في استعطاف ولكن مراد بك هوى على وجهه بلطمة قوية ثم انصرف مسرعا ... قال :

ـ ماذا حدث ؟ ..

قالت : هذا البك الدفتردار جاء الى القمرة وحاول الدخول .

واحس ياسف بيد باردة تعتصر قلبه .. وقال في لهفة :

ـ وماذا فعلت ؟ ..

وحين قالت بلا مبالاة .. القد طردته .. ازدادت درجة فزعه .. لم يكن يريدها ان تطرد البك الدفتردار . عاد الى سطح السفينة كالمجنون . امره القبطان الارمني ذو اللحية الحمراء بالعودة فورا لان هناك عاصفة على وشك الهبوب .. كانها لم تهب بعد .. وكانت سارة امام مرآتها وقد تكاثرت زجاجات العطر . واصداف البحر المتألقة .. وثلاث لاسيء منثورة فوق المحمل لم يرها من قبل .. وكانت هادئة تماما حتى انه لم يجرؤ على أن يسألها أي سؤال .

وفي الأيام التالية بدا البك معه لغة غريبة .. يسبح راضيا ثم ينقلب غاضبا .. يبدأ معه بالاغراء ثم ينقلب الى تهديد .. لم يكن يدرك ان ياسف لا يملك اموالا . وانه مجرد ملتزم صغير في دار ضرب النقود .. ولكنه يقسم النقود الاخرى دون ان يملكها .. يتزوج سارة الجميلة دون ان يملكها ايضا ...

معركة تغري بالخسارة فيها عشرات المرات . كان ياسف متأكدا ان البك ما زال يحاول .. وانه مازال يطرده .. ولكن الهدايا الغريبة تتكاثر .. وثقة سارة في نفسها تزداد ...

وتحول البك الى وحش بالغ القسوة .. تعمد ان يهين ياسف علانية امام صغار البحارة والملتزمين والمسافرين وحين بدت اسطنبول انتاب ياسف نوع من الشلل وقد ادرك انه لن يرجع حيا .. او على الاقل لن يرجع وسارة معه .. وحين جلسا في الفراش معا في الليلة الاخيرة قبل الوصول .. قالت سارة بصوت خافت :

ـ ماذا طلب منك الحاخام حين ذهبت الى المعبد .. ؟

● حـين متـراميـة الحقـول الخـاليـة والأرض المتشققـة!

ضحك ياسف بمرارة وقال :

ـ طلب مني الا اعود الا ملتزما للديار المصرية ..

وقالت سارة بهدوء ..

ـ كنت اعرف انه سيطلب منك ذلك ..

ولم يقص عينيه .. رأى على الوسادة شعرة حمراء .. خشنة ملفوفة في حلقات .. أمسكها .. ثم التفت نحوها وهو يصرخ ..

ـ سارة أيتها اللعينة .. لماذا رفضت البك الدفتردار اذن .. ؟ ..

ايام الانتظار

كانت مصر تنتظر حين تتوالى الفصول وتتغير الالوان على وجهها .. في « ابيب » و « مسرى » و « توت » تصبح مصر لؤلؤة بيضاء .. حين يفيض النيل المبارك .. وتصبح الضياع على روابيها لآلئ مثل الكواكب الغرقى والماء يحيط بها من كل جانب .. ثم يأتي شهر « بابة » و « هاتور » و « كيهك » لتصبح مصر مسكة سوداء . حين ينكشف الماء عن الارض المخصبة بالغرين . المحملة بالوعود . وتبدأ الزراعات في التفتح كضحكات الاطفال .. ويأتي شهر « طوبة » و « أمشير » و « برمهات » لتصبح مصر زمردة خضراء .. ترتفع النباتات والحشائش وتتفتح زهور البرسيم وحبات القمح وبطن النمل وتغني العصافير كأن مصر لن تعرف الجوع ابدا .. ثم تأتي شهور « برمودة » و « بشنس » و « بؤونة » فتصبح مصر سبيكة حمراء .. وتحين مواسم الحصاد فيبيض الزرع ويصفر القمح وتتورد الحشائش مثل سبيكة من ذهب ..

ومصر ما زالت تنتظر لان ايام الجفاف لا لون لها . فالنيل ينحسر ليظهر الحصى .. وينحسر ليظهر عظام الغرقى والمغدور بهم والقتالين .. وينحسر ليظهر السمك الميت فتبدأ ايام الجوع . والمقياس عند الروضة ينتصب مثل شاهد قبر .. ينعي موت ايام المقدسة التي ذهب



من أنهار الجنة · لأن النيل سيد الانهار وحين خلقه في أول ما خلق سخر كل نهر من المشرق الى المغرب فاذا اراد الله ان يجري نيل مصر امر كل نهر ان يمده فاستمده الانهار بمائها وفجر الارض له عيونا ·· فلماذا لم يف الميعاد هذا العام ؟ ··

حين يرتفع الماء الى ثلاثة عشر ذراعا تأتي مصر بخراجها ·· واذا تواصل الارتفاع الى خمسة عشر ذراعا كان في ذلك كفايتها وري جميع اراضيها ·· واذا ارتفع الى ستة عشر ذراعا استبشر من مصر ربع الارض · اما اذا بلغ ثمانية عشر ذراعا جاء الفيضان كالطوفان يلطم البيوت الطينية ويخنق البذور · وينحسر الماء فلا يترك خلفه الا الوباء ·

ولكن النيل اخلف الميعاد · شعر بهذا الفلاح في القرى البعيدة ·· حين اخذ في كفه حفانا من الماء فاذا به رخو فاتر بارد اخضر بلون الطحلب الراكد ·· لو وفى النيل لاصبح الماء حارا فائرا بالزبد ·· متوهجا بالفرين الاحمر ·· خصبا بالحياة ·· وشعر بذلك جباة القرى ·· حين مروا على الحقول الخالية ·· والارض المتشققة · وتطلعوا بطرف أعينهم للحيوانات والطيور التي يربيها الفلاح حتى يقبضوا وفاء ضرائبهم ·· وشعر بذلك الملتزم وهو يعد خيله وسوطه ليقوم بجولة ارهابية ·· ليخيف الفلاح ·· ويرعب النهر · ولن يشعر الباشا الا متأخرا ·· ولن يشعر به السلطان في اي حال ·· مهما حدث يجب أن يصل خراجه اليه والا قبض على الباشا وعزل الوالي وشنق النهر واعدم كل الفلاحين ··

ايام الصعود على الأعناق

وقف « يوسف » امام السلطان · يمسك كشوف الحساب وهو يرتعد كان مبهورا من كل شيء ·· من حارات بولاق الموصلة الى بلاط الباب العالي · لم ينم · ولم تدعه « سارة » ينام · سهرت طوال الليل تعيد ترتيب كل شيء معه · والدك يغلي ·

كان السلطان مصطفى خان فخما كما يليق دائما بسلطان ·· ووقف مراد بك الدفتردار في المقدمة يتكلم ويقدم تقريره المالي بلهجة رتيبة مملة وهو يبالغ في الانحناء والاعتذار

ثم أشار الى « ياسف » ليتقدم اكثر ·· ويتحني اكثر واكثر ·· ثم اخذ يتلو الارقام · وبعد فترة التبه السلطان · واصفر وجه الدفتردار · واقترب الصدر الاعظم ·· الارقام تقول شيئا مخالفا للخراج · ايخراج مصر اكبر مما يجمع بكثير ·· لان الزراعة لا تحصد جيدا · والزيادات القرى اقل مما يجب ·· وحتى فلوس التجارة تهرب لصغار الموظفين ·· ولو ان هناك ملتزما جيدا فسيجمع ضعف هذا الخراج ·· واشار السلطان بيده فصمت « ياسف » · والقى نظرة على البك فازداد وجهه امتقاعا · وقال السلطان لياسف ··

ــ أتعني انه يمكن ان يزيد خراج مصر الى ضعف هذا الرقم ··

انحنى « ياسف » وهو يلهث ·· وقال السلطان متشككا :

ــ هل تستطيع ان تقوم بجمعه ·· ورد « ياسف » في صوت واضح ··

ــ اجل ·· يا مولاي ··

وفض السلطان مجلسه واوشك البك ان يصرخ ·· واوشك ان يصرخ اكثر عندما اكتشف ان ياسف مدعو لحفل عشاء اقامه السلطان هو ليس مدعوا اليه · مرت سارة بذهنه وهي تتالق · كان امله أن ينتقم له أحد من الحاشية ·· ولكن ان يدخل السلطان نفسه في اللعبة ·· هذه هي الكارثة ··

كان « ياسف » متضائلا لم يأكل الا القليل · ولم يقرب شراب السلطان · وكانت سارة ملائقة كالعهد بها ·· وقد تحول السلطان مصطفى خان الى عين براقة ·· وفي الصباح صدر « بيور لدي » سلطاني يعلن وضع مراد بك الدفتردار في السجن · وتعيين « ياسف » اليهودي ملتزما عاما لكافة الديار المصرية ··

وسارت السفينة من استنبول الى الاسكندرية · الى مصر التي أختلف التيارها ميعادها · وتركها فرمواجهة عام قاس مليء بالجوعي والموتى ·

وخرج الباشا والوالي وخلفه فقهاء الازهر · وقساوسة القبط وحاخامات اليهود الى جبل المقطم ·· كل يستجير بطريقته · الاتراك يتمتمون بالتركمانية · والمسلمون يصلون صلاة الاستسقاء · والقساوسة يبتهلون للعذراء المقدسة ·· واليهود ينتظرون قدوم « ياسف » · والسفينة تخترق المتوسط وليس لربان لحية حمراء · والدفتردار في السجن · والقرى التي كانت آهلة قد خلت من ساكنيها · ماتت الدجاجات قبل ان يستولي عليها الجابي ·· والماشية التي بقيت كانت هزيلة ·· مريضة ·· على وشك الموت · والارض مشققة · تجري فيها ديدان غريبة لا تظهر الا في وقت الجوع · والسفينة تسير وسط زرقة صافية كانها تمتد الى السماء · وكانت سارة تتعلل بما ينبغي ·· وكانت تبكي ابنيه ··

ــ سوف نولد منزلنا في بولاق ·· ونسكن في قصر على ترعة ·· الرملي ·

وتمتم « ياسف » وهو يقول ··

ــ نسكن وسط المصلين ·· ونترك بيوت بولاق ··

وامتلأ البحر بالنوارس · وامتلأت شوارع القاهرة بالجوعى من اهل القرى والكفور ·· وجاءت خلفهم جرذان الحقول الجائعة ·· وامتلأت الازقة بالشحاذين والعميان ورؤوس الموتى · يخرجون من مخابئهم كالوباء ليهاجموا الاسواق وأفران الخبز · واجتمع الفقراء ·· رجال ونساء وصبيان · وصعدوا الى القلعة ·· الى حوش الديوان الذي يطل عليه اسماعيل باشا وهتفوا :

ــ جوعى ياباشا ·· فقراء ياباشا ·

والابواب مغلقة · مصمتة والنوافذ بزجاجها الملون لتطل اليهم في سخرية · وحمل الجوعى الاحجار وقذفوا الابواب الصامته وهشموا

● كانت مفاجأة للباشا حين قدم السجاحة المصلة

الزجاج الملون ثم هبطوا من حوش الديوان الى حواصل الغلال في « الرميلة » وحواصل الفول والشعير والقمح التي يمتلكها كتخدا الباشا وهجموا عليها ·· وكسروا الابواب ·· ورفع احدهم يديه المقلتين قمحا ·· فكتكل النساء ·· وفرد الجميع ثيابهم يعبئونها خليطا من القمح والفول والشعير ولم ينتظر الكثير منهم فاخذوا يمضغون الحبوب لعلها تعيد اليهم بعضا من العافيه · وجاء فرسان « الينكرجية » وخيولهم تصهل ·· هذه المرة لم تكن في ايديهم سياط لقاتيب الرعاع ولكن سيوف باترة ·· امتلأت الدم بالقمح · ورؤوس الاطفال بالفول والشعير · وركض الجميع ·· من موت السيف الى موت الجوع ·· وبدأ الغلاء يعم كل شيء ···

·· ودخلت السفينة التي تحمل « ياسف » ميناء الاسكندرية ··

ايام الطاعون اليهودي

كانت الرحلة من الاسكندرية الى القاهرة اشبه بالرحيل داخل مقبرة · واستوحشت سارة كثيرا وفقدت الكثير من جمالها ·· من الذي يحلم بحكم الموتى ·· وفي شوارع القاهرة كانت جثث الطاعون لا تجد من يدفنها ·· والينكرجية والقاسمية والبكوات وعسكر الوجاقات دخلوا خلف الاسوار · وتركت المدينة نهبا مباحا للوباء ··

وفي بولاق كان اليهود في انتظاره والمشى امام الحاخام وهو يعرض أمامه « البيور لدي » السلطاني ·· لم يجد « ياسف » يهوديا جائعا ·· ولا مصابا بالطاعون · كانت السنوات السمان والسنوات العجاف قد تركت ديارا مترسبا عبر كل أجيال التيه ·· ومد الحاخام يده يبارك « سارة » ثم أمر « ياسف » بالانتظار ··

وهدأت حدة الوباء قليلا ·· وبدأت مياه النيل التي تقطع رحلتها من خط الاستواء حتى المصب في المتوسط في مائة وخمسين يوما ·· بدأت تتحرك لتطمر الطين وتخفي كل ما في قاعها



من احزان • وحان الوقت ليصعد «ياسف» الى القلعة • وسار يهود بولاق خلفه •• جمع من الاردية والقلانسين السوداء عبر الشوارع التي عمها الهوع ••

وبدا «ياسف» يحكم القاهرة •• ويحكم مصر• وكان اول امر اصدره هو الاستيلاء على قصر مراد بك الدفتردار على بركة الرطلي • وركبت سارة فوق بغلة مزينة من بولاق الى قصرها الجديد وتبعوا حرس يحميها

الارض شراقي • والنباتات تموت قبل ان تصعد ولكن الضرائب تتصاعد والمتاجر خالية الا من اعلانات الكوس • والاسواق فارغة الا من الحرس المسعور • امتلأ سجن العرقانة • وسجن القشرة •• وجب القلعة • وانتشر اليهود مثل الغربان السود •• ومثل البثور على وجه المدينة •• داهموا بيوت اولاد الناس وثقبوا جدران المتاجر وحاصروا الصناع داخل احيائهم واوقفوا جراية الازهر •• واسماعيل باشا صامت لان السلطان راضٍ • ولانه يتوقع مكافأة مجزية لقاء هذا الصمت ••

وسارة تستقبل امراء العرب من كل نوع وتعقد حلقها الخاص مع كل اطراف المماليك المتنازعة •• وياسف يحكم ••

وامره الحاخام ان يسلم الارض المصادرة من الفلاحين لليهود • وكانت موافقة اسماعيل باشا شكلية• وتحول الفلاح الى اجراء• وتلاصقت ضياع المماليك والاتراك واليهود •• ولم يبق شيء خال للفلاح •• ومرة اخرى عاد الفلاحون فرادى غرباء •• الى شوارع المدينة • وساحات المساجد وماوي الشحاذين والعميان•

— لابد من قتل ياسف ••

وصرخت جميع الاصوات • شرع الباعة والتجار والفلاحين والحرفيين •• من الازهر الى بركة الرطلي ••

الى قصر الدفتردار •• وصرخت سارة ونهض «ياسف» فزعا من على مائدة الغداء •• تطلع من خلف الستائر الى الوجوه الغاضبة • احس بانفاسهم الساخنة تلفح وجهه•

ولم يكن هناك وقت للتفكير • اسرع هو وسارة من الباب الخلفي • وهربا متخفيين عبر الحواري الى القلعة •

واحس اسماعيل باشا بالرعب •• ولم يكن امامه الا ان يخبىء ياسف خاصة بعد ان وقع بصره على «سارة» ••

وجاءت جموع الناس من البركة الى القلعة •• وكانت مفاجأة للباشا حين وجد الامراء والصناجقة قد انضموا للعامة •• والكل يهتف •• يطلب ياسف •• وصعد الامراء والصناجقة اليه ••

وتوصل الباشا اليحل يرضيه •• ويرضي الامراء ••

— سوف نضعه في سجن العرقانة ونرسل الى اسطنبول •• ثم ننظر في امره بعد ان يهدأ الجميع ••

ورضي الامراء •• وقاد الباشا ياسف الى العرقانة • وبقيت سارة في حماية الباشا • ولكن الناس لم ترض •• لقد صمدت طويلا •• وجاعت طويلا •• وصرخوا ••

— اعطونا ياسف ••

وتضاعف الجمع وهم في طريقهم الى العرقانة • وكانت سيوف الحرس اعجز من ان تصدهم• وبوابات السجن المتينة اضعف من وقف زحفهم وهرب الحراس قبل ان يهرب السجناء •• وظفر الناس بياسف اخيرا ••

صعدوا به تل المجر وهو حي • وهبطوا به الرميلة وهو ميت •• ساروا به الى سوق السلاح تحت القلعة • جمعوا الحطب والاخشاب حول جثته •• وفي المساء ارتفعت السنة اللهب • اسدل الباشا ستائره

•• وتنهد الناس في ارتياح منذ مدة طويلة •• وظلت النيران مشتعلة لعلها تضيء طريقا ما •• خلال ليل الكابوس العثماني ••

محمد شبي قنديل

جمال قطب

فنان الأساطير

بين جموح الخيال وإيقاع العصر الحديث

الذكاء والموهبة لعبا دوراً رئيسياً فيما وصل إليه فقد ساير روح العصر وخاطب كل المفاهيم والمستويات

من حقنا أن نتعرف على فنان الأساطير الأمريكي «فرانك فرازيتا» الذي حقق من المجد الفني والشهرة والثراء ما جعله حديث المحافل الفنية الأمريكية كافة، والأكاديميات بوجه خاص، حيث منحته جائزتها التي لا تقدمها إلا لأحد العمالقة الأفذاذ، ممن أضافوا على المسيرة الفنية العالمية مجالاً وأبعاداً جديدة ..

ولقد لعب الذكاء ـ بجانب الموهبة ـ دوراً رئيسياً فيما وصل إليه (فرانك) لقد ساير روح العصر بأبعاد المجالات المثيرة التي لم ينافسه فيها فنان غيره، آخذاً في اعتباره عناصر الذيوع والانتشار ومخاطبة كل المفاهيم والمستويات، وللذلك ـ وبعد جهد شاق لا يقدر عليه إلا الأفذاذ ـ استطاع أن يجني ثمار نجاحاته المتوالية بسخاء وافر، وأن ينعم بما تدره عليه أصالته، ليعيش الآن محاطاً بمظاهر الثراء الواسع والمكانة الفنية الرفيعة.

والحق أن روح العصر الحديث بمتطلباته المادية المعقدة، تفرض على الفنان والعالم والباحث والمفكر بوجه عام أن يحيا حياة كريمة تتفق مع مكانته الخلاقة المبدعة، وأن ينال حظه من متاع الدنيا لا كهدف في حد ذاته، ولكن، كوسيلة لإمكاناته في العطاء الدائب وهو في مأمن من الضغوط القاسية التي يتسم بها طابع العصر فالفنان ـ بطبيعته ـ مرهف الحس والبصيرة، ولكم يحدثنا التاريخ عن الفنانين من الرواد العظام، وقد سحقتهم الظروف الصعبة، فاستسلموا صاغرين، بل وأسلموا الروح ذاتها واحترقوا بنار العبقرية التي أضاءت



للعالم عقله وبصيرته، وبقيت أعمالهم الخالدة شاهدة على نبوغهم.

العمالقة الجدد

بعد أن تربع «نورمان روكويل» ـ فنان أمريكا الذائع الصيت ـ على عرش الأضواء منذ أوائل هذا القرن وحتى سنوات خلت، لم تتحدث المحافل الفنية بإعجاب كما تتحدث اليوم عن «فرانك فرازيتا»، فقد اتخذ الفنان من الأساطير مجالاً لإبداعه، وحلق بخياله الخصيب في أجواء الخيالات والأحلام، وأخرج فناً فريداً هو موضوع حديثنا اليوم!





ولو عدنا الى طفولة « فرانك » الاولى في « بروكلين » لنجد ان ظاهرة غريبة قد بدأت بجذب الانظار في محيط عائلته : اذ كيف يتسنى لطفل في الثالثة من عمره ان يخط بالقلم رسوما متكاملة لأشخاص وحيوانات من السهل التعرف عليها ؟

وكان افراد الاسرة يجتمعون كل ليلة حول طفلهم المعجزة ، يتسلون برؤيته — بثقة وتمكن — كل ما تقع عليه عيناه الصغيرتان !

وشجع الوالد طفله بان وفر له الاقلام والاوراق والالوان ، كما حشد الكثير من اللعب والاشكال الهندسية حوله في كل مكان .. حتى اذا ما بلغ الطفل الثامنة ، التحق بمدرسة متوسطة للفنون ، وسرعان ما اكتشف اساتذته موهبته المبكرة ، فنصحوا والده بالحاق هذا الفنان الصغير على الفور باكاديمية بروكلين للفنون الجميلة ، حيث تقبل

روح العصر الحديث تفرض على الفنان والعالم والمفكر بوجه عام أن يخضع لأكاديمية تستوعب الكثير؟

كيف يستطيع الطفل في الثامنة من عمره أن يحقق بالقلم رسوماً متوازنة للأشخاص وحيث من السهل التعرف عليها؟



هذه الاكاديمية اصحاب المواهب من سن الثامنة حتى الثمانين ، ولا يشترك فيها الا اصحاب الاستعداد الفني فقط !

وقبل الوالد عن مضض ، اذ كيف يوفر النفقات اللازمة لابنه الموهوب في مثل هذه الاكاديمية الشهيرة ، ولحسن الحظ ، سمع فنان امريكي كبير يدعى (ميشيل فالانيا) من احد اصدقائه بالاكاديمية عن هذا الطفل النابغ ، فاستقدمه الى مرسمه الخاص محتضنا اياه بعطف وحنان تعوضه عن رعاية والديه الفقيرين ، ولم يبخل الاستاذ على تلميذه بشيء فعلمه الكثير .. وافاد التلميذ افادة ما كان ليحصلها في عشرات السنين لولا هذا الاستاذ الكريم ، والظهر بدوره نبوغا اهله لان يشق طريقه في الحياة بثقة واطمئنان ، ولم يطل العمر بالفنان (ميشيل) ففارق الحياة .. وكانت قد مضت ثمان سنوات على الفتى (فرانك) نهل منها من علم وخبرة استاذه في مرسمه قبل أن يموت !

الطابع المميز

ووجد (فرانك) نفسه ـ وهو في سن السادسة عشر ـ وحيدا لاول مرة في حياته ، وكان عليه ان يشق طريقه بنفسه ليحصل قوت يومه ، والنتيجة بدلا من أن يتطلع الى ممارسة (الفن التشكيلي) ، حيث تزخر اسواقها بالمئات والآلاف من دور النشر والطباعة تتلقف اي موهبة لديها من الاستعداد الفني والاجادة ما لدى فرانك ، لكي تغدق عليه لترهقه بالاعمال اليومية المتلاحقة .

وابتدا الفنان طريقه من اوله عمل رساما مساعدا للفنان (جون جينتا) الذي تخصص في رسم كتب (الكارتون) للاطفال وهو ما يعرف باسم (الكوميكس) . ويوما بعد يوم ، اكتسب فرانك خبرة ومهارة جعلت (جون) يكتشف ان مساعده كثيرا ما يتفوق عليه في الرسم ، وعرض فرانك اعماله القديمة التي انجزها في مرسم استاذه على (جون) .. فاعجب بها وصمم على طبعها في كتب مستقلة تحمل اسم فرانك لاول مرة في حياته .. ومما لفت النظر ان تلك الاعمال اكتسبت طابعا خياليا خاصا يتناول الاساطير بطابع مميز .. وكان ذلك عام ١٩٤٤ . ولم يبعد الفنان عن هذا الاتجاه .. والى اكثر من خمسة ثلاثين عاما حتى اليوم .

الخيال المثير

ومن المؤكد ان اهتمام فرانك برسم الاسطورة ، وصنع تلك الاجواء الغريبة الفارقة في التصوير والخيال، لهو اهتمام نادر بين مئات الاساليب والاتجاهات المعاصرة ، فاشكاله تأخذ بالالباب وتبعث الدهشة والاستغراب، وتحلق بالوجدان الى آفاق رحبة من الخيال والغموض ..

وحتى الملامح البشرية العملاقة من المحاربين والمغامرين يرسمهم فرانك وهم يصارعون انواعا خرافية من الوحوش والزواحف في أجواء يلفها الدخان والسحب والاطلال ، فتنقلنا الى عالم اسطوري تبدو شخوصه كالاشباح والرؤى .

ثم نلاحظ المهارة الفائقة في معالجة لوحاته تلك من النواحي التكنيكية ، مراعيا اصول فن التصوير كأدق ما تكون عليه القيود والموازين الفنية من حيث التكوين والتجسيد والتلوين .

كما نلاحظ جليا مقدرته الفائقة

في ابراز العضلات يتسابق معه وكأنه يستعرض عضلاته الفنية على غيره من منافسيه !

وفي عام ١٩٤٩ وصل به طموحه الى ان يعمل في ثلاث من دور النشر الكبرى في وقت واحد ! ابتكر خلالها شخصيات جديدة دخلت عالم الطفل حيث توالت سلسلاته الشهيرة باسم (بك روجرز سيريابس) .

ثم افردت مجلة (بلاي بوي) واسعة الانتشار صفحاتها للوحاته الملونة ، وتلقفته الجرائد اليومية .. واغدقت عليه باكثر مما يطلب .. ونشرت رسومه تباعا ليملأ اسمه الاسماع والابصار !

وفي عام ١٩٦٤ صعد نجمه الى عنان السماء عندما رسم لوحات خاصة كأغلفة لكتب ومطبوعات (ادجار رايس) عن شخصيته الشهيرة (طرزان) .. وجاءت الاحصاءات لتؤكد أن الملايين من هذه المطبوعات وبكل لغات العالم ، يباع معظمها لا لمحتواها ، ولكن لاقتناء لوحات فرانك الفنية !

وارهق الفنان ارهاقا شديدا بين ضغوط الكم الشاسعة الهائلة .. والنهم .. للشهرة والمال .. وكان انه وصل الى درجة مساوية بين الشهرة والاجادة ! حتى ان ارتفع لوحاته الى مستوى التحف الثمينة ، فما كان منه الا ان تغالى في اثمانها الى حد الارقام المذهلة .. وكتب عنه حينذاك ان فرانك انتهج في فنه اسلوبا جميلا ورائعا .. ولكنه انتهج في اثمانها مذهب اللامعقول !

وكان الهدف من هذا التغالي ان تتاح له فرصة لالتقاط انفاسه وأن ينعم بقسط من الراحة بعد ان وصل الى هذه المرتبة من الشهرة والمستوى الرفيع ، ولكنه فوجيء بغير ما توقع، مخالفا تماما لمنطق الاشياء ! وهكذا جنون الشهرة والمال في امريكا !

العالم الاسطوري

لقد تضاعفت الطلبات على اعماله وبالحاح غريب ! فلم يجد بدا من مضاعفة الجهد والغوص في اعماق عالمه الاسطوري الثر ، ليبدع بالمزيد من التفوق والاتقان !

انهالت عليه الاموال من كل جانب، وطارت شهرته حتى عمت الآفاق ، فاشترى قصرا فخما والحق به مرسما فسيحا رائعا ، واحاطه بحديقة غناء، تتخللها حمامات السباحة المرمرية الفخمة ، وظهر اتجاه جديد بين كبار الناشرين ومحتكري الاعمال الفنية ، فقد تسابقوا الى جمع لوحاته لا من اجل تزيين كتب الآخرين بها .. بل لكي يصدروا منها سلاسل فنية خاصة تتناول أعمال الفنان !

وظهرت مجلدات فنية تحمل اسم « عالم فرانك فرازيتا العجيب » ، واعيد طبع الجزء الاول ست مرات ، وبيع اكثر من مليوني نسخة ، واستخدمت لوحاته لاكثر من غرض ، فمنذ اربعة اعوام يقوم فرانك برسم نتيجته السنوية الانيقة يطبع عليها لوحاته وباحجام مختلفة ، ويبلغ التهافت عليها الى الحد الذي يضطر الناشرون ازاءه الى اعادة طبعها عدة مرات في اوائل كل عام .. وتوالت اجزاء المجلدات الفنية عن اعماله في الظهور وتشر منها حتى الآن ثلاثة .. تنفد عن آخرها بمجرد ظهورها الى الاسواق !

الفن الجميل

ويقف (فرانك) متصدرا حفلا مهيبا في قاعة المهرجانات باكاديمية الفنون الجميلة في نيويورك ، ومحاطا بحشود الصفوة من رجالات الفن والفكر من انحاء الولايات الامريكية، ليستمع الى مدير الاكاديمية وهو يتلو شهادة التقدير والاكبار لفنه وعبقريته المبدعة والتي قررت الاكاديمية منحها له عرفانا لدوره في اضافة ثراء جديد الى عالم الفنون الجميلة .. ويتسلم الفنان الجائزة الرفيعة ، ويسرح بخاطره الى سنوات كفاحه الطويلة ، ثم يجيل بنظراته في الصفوة الممتازة من الحضور ، ويغيض البصر فيما بين يديه من هذا التقدير الادبي الذي يسمو فوق اموال العالم بأسره .. ويحس بالشكر لهذا الجمع الحاشد ، بل للبشر اجمعين .. ويعود الى قصره الرائع وهو اكثر حماسا للمضي في طريق المعاناة والاستمتاع .. طريق الفن الجميل !

جمال قطب


العم
سيد
طبيب
القلب
بريشة
الفنان
عبد السلام نشور

أصــول المهــنة

توقف تعليمي الاكاديمي عند الثانوية العليا - واغلقت الطرق ابواب العمل ، جئت عاصمة بلدي - الخرطوم ، مكتبيا مكتبا - وتزاحمت الاحرف المعهودة في ذاكرتي - لاتوجد وظائف شاغرة - تصفحت كل الصحف ، اليوم بعد اليوم حيث الاعلانات - وكل يوم لا اجد إلا الوظيفة التي هي حجم اكبر من مواصفات درجتي التعليمية الاكاديمية - واحيانا تكون في حجم درجتي الاكاديمية بالضافة خبرة ، والتي هي ايضا تنقصني .

اخيرا علمت أن وزارة التربية والتعليم في بلادي اتاحت الفرصة لخريجي المدارس الثانوية العليا للعمل بالمدارس الابتدائية ، فبحثت في المهنة بنهم المتعطش للمراتب .

تسلمت خطاب تعييني باحدى المدارس في مديرية الجزيرة ، وعمري لا يتجاوز التاسعة عشر .

تناولت محاضرتي وكانت بالصف الاول الابتدائي وكانت دهشتي شديدة في ذلك اليوم ، اخذت اجوب الفصل يمينا ويسارا ، شرقا وغربا ، ورؤوس الاطفال تتبعني وعيونهم تعبث ورقابهم لا ادري ما اصابها وفي الشرح



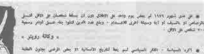
اخرجت كل ما في جعبتي من الكلمات وقدمتها اسمى اوقيت واغمضت وعلمت ، وعند سؤالي عن ما قلت وجدت اني كأني ما قلت - والدهشة بادية في وجوه الاطفال - وعندها ادركت ان كلامي كان اللغة جبارة امام جيش ضعيف العدد والعدة - اعدت الكرة تلو الاخرى وما اجدى التكرار - فثار غضبي على اطفال صغار ، واخذت اكافئ خواطرهم بالضرب المبرح ، انكرت المسألة مع الفصول المختلفة - وعندما انتهى اول يوم دراسي في مركزي ، رجعت المنزل منهك القوى والاعصاب ، والقلب ينزف دما من غباء الاطفال الصغار .

ودارت الايام وشعرت بمرارة الفشل المهني ، الدفاع المستميت والوردة امام الاطفال لانه الاخطاء -

واخذت ادراجي لعائلتي ، فكرت كثيرا في ترك المهنة ، كان يجول بخاطري اني احترق دون جدوى لدوراني مع الاطفال عرفتني المشاكل مع اباءهم . واستمرت معاناتي ثلاث سنوات بعدها ورد اسمي مع زملائي لتلقي فترة تدريبية بمعهد التربية لتدريب المعلمين .

وفي المعهد تلقيت دروسا في علم النفس والوسائل التعليمية وتقنية التدريس واسلوبه وفنه . وتلي الفترة التدريبية فترة اخرى . وعندها عرفت لماذا كان الاطفال اغبياء ! ادركت اني كنت غبيا في اسلوبي وعلمت لماذا كنت اجهد نفسي ! واقتنعت ان ثورتي كانت غبية وان ثورتي كانت طيشا . وشعرت بعظمة عملي ومهنتي ومسئوليتي . واصبح الان الطفل صديقي . وعلمت ان ضعف استيعابه ضعف في كفاءتي واسلوبي . واب الطفل الذي كان عدوا لدودا اصبح احد الاركان التي اعتمد عليها في تحديد سلوكا للصبي ومراقبته والان اصبحت ازور اطفالي في منازلهم ويزورون ابائهم . فالتلميذ صديقي وابوه والدي واخي . ومهنتي شرف اعتز به لا ارضى له بديلا .

مصطفى احمد دفع الله
السودان



● في مدى شهور ١٩٧٩ لم يمض يوم واحد على الاطلاق دون ان يسقط شخصان على الاقل قتلى بالرصاص او بالسيف او اية وسيلة اخرى للاعدام . وبلغ عدد الذين قتلوا بناء على اوامر رسمية ٧٠٠ شخص على الاقل .

« وكالة رويتر »

● اكره السياسة - الفكر السياسي لم يعط التاريخ الانسانية الا بعض المرضى بجنون العظمة الذين يتوهمون انهم يستطيعون حل المشاكل الكبيرة فيقسمون كل شيء ...

« الممثل العالمي وودي آلن »

المملكة العربية السعودية

القصة في المملكة العربية السعودية

محمد منصور الشقحاء

فن القصة في المملكة العربية السعودية

« الخبز والصمت » قصص قصيرة لمحمد علوان ، و « النبتة والطين » مجموعة اخرى لخليل ابراهيم الفزيع ، « وموت على الماء » مجموعة ثالثة لعبد العزيز مشري ..

المجموعة الاولى طبعت عام ١٣٩٧هـ بالقاهرة ، والثانية عام ١٣٩٨هـ بالدوحة والثالثة عام ١٣٩٩هـ بالرياض .

لم يكن اختياري لهذه المجموعات بطريق الصدفة او لعلاقة خاصة بالمؤلفين .. رغم انه في هذه الاعوام الثلاثة صدرت اكثر من عشرين مجموعة قصصية ورواية في المملكة العربية السعودية ، منها ست مجموعات قصص قصيرة ، وروايتان صدرت كلها عن نادي الطائف الادبي ثلاث مجموعات ضمن سلسلة القصة التي يحاول النادي اصدارها بشكل جماعي وتنظم الضفة الباحث والكاتب الذي يبحث عن نماذج القصة السعودية للاستشهاد بها في تحديد هويتها .

ونعيد علوان من الكتاب الشباب في دنيا القصة ، وقد قام القصاص يحيى حقي بتقديم المجموعة فقال عنه « انني واثق ان المؤلف سيحقق امل فيه ، فهو يثبت للمرة في قصته الاخيرة شرفا انه قادر على ان ينطق هذا الانسان الذي يحدثنا من خلال السطور بالايمان ، بالحياة ، والخير والمحبة والجهاد لنصرة الحق » .

اما عبد العزيز مشري فقد حمد علي النعيمي كاتب مقدمة المجموعة ملامحه حيث قال :

مع كل الملاحظات التي حددناها في هذه المقدمة الا ان مجموعة عبد العزيز مشري القصصية تتميز بسمات بارزة منها :

١ ـ النحت القاسي للمفردة .

٢ ـ السرد اللاهث في التعبير .

٣ ـ الكثر الشعري المتدفق في عباراته .

٤ ـ التشكيل الاقرب الى الرسم في تلوين الصورة ودمج مفرداتها .

هذه الملامح تعطي للكاتب نكهة خاصة تكمن بوضوح في قدرته الفنية على نحت الكلمات وبنائها في نسق لا تكرر نفسه ولا يقلد غيره ، ولعل موهبته كفنان تشكيلي ساعدته في محاولاته الدائبة لاعادة كتابة قصصه اكثر من مرة وصبغ متجسدة من الناحية الفنية .

اما خليل ابراهيم الفزيع فهو كاتب قصة متمرس له اكثر من مجموعة ، وقصصه القصيرة منتشرة في جميع الصحف العربية وان كان يلاحظ عليه « اتباع اسلوب النصح والارشاد والحكاية الطريفة » .. انما نلاحظ ايضا عليه « الاستعداد الكامل لان يكون كاتب قصة قصيرة في عداد كتاب القصة العرب » .

ولا غرابة عندما نجد احد النقاد العرب يتحدث عن القصة بتجاوز ولي اعمال القصة السعودية التي كانت بدايتها مع النهضة الادبية العربية ، وكانت لها اولويات ، ولكن ذات طعم خاص ومذاق مميز ..

اذ ان بداية القصة السعودية لم تكن ترجمات او تعريب كما كانت البداية في مصر وسوريا ولبنان بل كانت البداية من التراث والبيئة التي انطلقت منها ، اذ ان القصة القصيرة السعودية كانت « غريبة البذار والاروحة » في مجهولة النسب ..

وعندما اعدت مجلة الثقافة السورية في عددها لشهر تموز ١٩٧٨ عن فن القصة في المملكة العربية السعودية ، قالت « التاريخ لبداية فن القصة في ادب المملكة العربية السعودية ضرورة بالغة بكاد يكون غريبا في اليوم لاننا قلنا انه بدا في صفحات الدوريات من صحف ومجلات اتلف بواكيرها وحسبه البواكير قد ضاع معظمها » .

وفي البحث الذي قدمه الدكتور منصور الحازمي لمؤتمر الادباء السعوديين المنعقد عام ١٣٩٤هـ بعنوان الرواية في الادب السعودي الحديث أن الاستاذ عبد القدوس الانصاري صاحب مجلة المنهل اصدر عام ١٩٣٠م وقبل تاسيسه لمجلة المنهل بحوالي سبع سنوات قصة طويلة في شكل كتيب تحت عنوان « التوأمان » وكتب على غلافها « اول رواية صدرت بالحجاز » ، ثم قسم فن الرواية الى انواع اربعة :

١ ـ الرواية التعليمية الاصلاحية .

٢ ـ الرواية التاريخية .

٣ ـ رواية المغامرات .

٤ ـ الرواية الفنية .

من النوع الاول عدد الاسماء التالية « التوأمان » للاستاذ عبد القدوس الانصاري « والبعث » للاستاذ محمد علي مغربي « والفكرة » للاستاذ احمد السباعي .

وتحت لواء الرواية التاريخية « امير الحب » للاستاذ محمد زارع عقيل .

اما رواية المغامرات فقد كان حظها من الانتاج غزير منها « الارقاء » لمحمد عالم الافغاني « والزوجة والصديق » لمحمد عمر توفيق ، « وعذراء المنفى » لابراهيم الناصر « وثقوب في رداء الليل » لابراهيم الناصر ايضا ، « والقصاص » لعبد الله سعيد جمعان « وابن الضحية » لحامد دمنهوري .. الخ .

اما الرواية الفنية فقد حظي بروايتي

المرحوم القاص حامد دمنهوري ، وثمرات الايام وثمن التضحية ، وإن كانت الروايتان تندرجان تحت لواء الرواية القصيرة .

انا اميل الى ان أقول أن القصة في المملكة العربية السعودية لاقى حالة وبداية كبداية القصة الأدب المصري وان اختلفت في الاصول .

وقد شارك أدباؤنا بالمشاركة الدائمة ، ولكن الى التجاوز والأعمال من الدارسين العرب للقاص السعودي مرجعه عدم الانتشار رغم ان ٥٠٪ من علم القصص او الروايات او طبعها خارج المملكة في مصر وسوريا ولبنان .. ولكن نلاحظ ايضا ان الاصوات

الموجودة كانت لا لغى هذا التواجد وهي تمثل التلاحم في الداخل .

لهذا وانا احاول أن اقدم شيئا من التعريف للفن القصصي في المملكة العربية السعودية من خلال الاصوات الحديثة في دنيا الأدب ، لا اقصد من خلال ذلك التقييم او النقد ..

فبالاضافة الى الأسماء الثلاثة المدونة في بداية حديثي هذا ، هناك اسماء عديدة منها على حسب المثال لا الحصر :

ناصر الحدبلي وحسين علي حسين وفهد العتلوي وفوزية البكر وحصة التويجري وعبد العزيز صالح الصقعبي وعاشق الهذال وعبد الله باقازي وعدي عبد المحسن الرشيد وليالي حمزة ابو الفرج .

إذا هناك اسماء لامعة في القصة السعودية ومنشورة صحفها ولهم مجموعات منها ما طبع في الداخل .. ومنها ما طبع في عالمنا العربي .. لكن كان حظها من الانتشار في عالمنا العربي رديئا جدا .. وهذه اسماء أمثل بها استطيع ان اقدم شيئا لكل باحث يهتم بالتدوين ويحرص على ان يكون عمله كاملا .. وبالله التوفيق ..

محمد المنصور الشقحاء
الطائف

دولة الإمارات العربية المتحدة

مدخل لدراسة ...

أسامة فوزي

في مطلع السبعينات بدأت حركة جمع المأثورات الشعبية ونشرها في كتب مطبوعة تأخذ طابع المنافسة بين أكثر من طرف وأكثر من جمعية وقد ادى هذا التنافس الى ظهور عدة مؤلفات خلال فترة قياسية لا تزيد عن ثلاث سنوات ، فظهر (معجم الألفاظ العامية) لفالح حنظل في ٦٩٦ صفحة من القطع الكبير ، وقد أشار مؤلفه الى انه قضى ست سنوات في جمع الألفاظ وتبويبها وتدقيقها ، كما ظهر كتاب (العادات والتقاليد في دولة الإمارات) لمؤلفه الشيخ (احمد بن الشيخ حسن) رئيس لجنة التراث والتاريخ في (٢٤٠) صفحة وظهر كتاب (الشعر النبطي) للدكتور (احمد أمين المدني) وكتاب (الأمثال الشعبية في الإمارات) لمؤلفه (ابراهيم راشد الصباغ) و (عادات الإمارات عادات وتقاليد) لحسن الفيد و (التراث الشعبي في الإمارات) لكاتب هذه السطور بالتعاون مع خمسة من طلابي ، كما صدرت عن مركز الوثائق والدراسات مجموعة شعرية مشتركة لشعراء شعبيين معروفين ، وقد علمت مؤخرا ان الدكتور (عاطف واصف) استاذ العلوم الاجتماعية في جامعة الإمارات قد فرغ من اعداد بحث عن (الحكاية الشعبية) او (الخروفة) في الدولة وبهذا الجهد يكون الباحثون قد طرقوا جوانب مختلفة متنوعة ومكملة لبعضها من التراث الشعبي في الإمارات رغم اختلاف مناهجهم في البحث ، ورؤيتهم لعملية الجمع واسلوبهم في الكتابة .

● ● ● ●

هذه الدراسات تمكنت من الاحاطة بأكثر الابعاد أهمية في هذا البحر الزاخر من المأثورات الشعبية .

● لمعجم فالح حنظل (الألفاظ العامية في الإمارات) استطاع ان يحيط بأكثر من سبعين في المائة من الألفاظ العامية الدارجة في الدولة فكان بحق (نواة لموسوعة شعبية حاوية لكل الوان الأدب الشعبي والممارسات الشعبية) من مأكولات شعبية الى العاب الى عادات زواج وطلاق الى رقصات والشعائر الى وسائل شعبية للعلاج كما تضمن المعجم مقارنات لغوية مهمة وقد وفق مقدم ومراجع المعجم (غسان الحسن) في الكشف عن الأصول اللغوية للألفاظ العامية وربط كثير العامية بالفصحى وقد رتب واضع المعجم مفرداته حسب صيغتها التي هي عليها دون الرجوع الى جذرها المجرد لأن في ذلك تسهيلا .. فالعامية قد تستخدم صيغة معينة من الجذر الواحد ولا تستخدم الجذر نفسه او ما يتفرع عنه من صيغ اخرى) وهكذا ...

● ● ● ●

● اما كتاب (العادات والتقاليد) للشيخ محمد بن احمد بن الشيخ حسن رئيس لجنة التراث والتاريخ : فمنهجه يقوم على الفصول التي تتوزع العادات والتقاليد والأمثال الشعبية بينها ، فهناك فصل الزواج بكل تفصيلاته وشروحاته ثم فصل المرأة ولبسها وحليها ... وفصل الأمثال الشعبية ومناسباتها ، ثم الأكلات الشعبية فالعلاج الشعبي وغير ذلك ومع ان المؤلف اكتفى بالاحاطة في معظم هذه الموضوعات ومال الى التكثيف والتركيز في الشرح والعرض إلا انه توسع في باب الأمثال الشعبية فاحاط بأهمها ، وشرح اصولها بلغة عربية سليمة يكثر فيها السجع وحسن التقسيم

دولة الإمارات العربية المتحدة

والإحالة وغير ذلك من سمات الفكر العربي القديم .

● وإذا كان كتاب (العادات والتقاليد) قد اختلط - أحيانا - بأكثر من وجه للمأثورات الشعبية في الإمارات فإن كتاب (الشعر النبطي) للدكتور (أحمد أمين المدني) قد مال إلى التخصص ، حيث أفاد المؤلف كل ما يتعلق بالشعر النبطي من الأنواع والخصائص فميز بين ستة أنواع من شعر الموالي (القصيد) و (المربوع) و (الرزحة) و (العازي) و (الميدان) وقد مثل لكل نوع بمقاطع من الشعر المعروف المتداول .. كما أفرد فصلا ليترجم لأشهر الشعراء الشعبيين في الإمارات من أمثال (ابن ظاهر) و (ابن ظاهر) و (سالم العويس) وغيرهم وقد ظهر منهج الدكتور العلمي في البحث كأوضح ما يكون وفي الشرح والتحليل وربط الظواهر بعللها وبسببيتها

● ويشترك كتاب (الأمثال الشعبية في الإمارات) لإبراهيم راشد الصباغ مع كتاب الدكتور المدني بخاصية الإحاطة بموضوع واحد ... والتخصص به ... والإضاءة بحذافير الإبعاد التي يطرحها .. وقد وفق المؤلف في جمع تلك الأمثال الشعبية وسرد حكايات بعضها وشرح ألفاظها ثم عقد فصولا للمقارنة بينها وبين مثيلاتها في الدول العربية (فلسطين ، والأردن ، و ، مصر ، ولكن دون أن يعمل في شرح هذه العلائق والخصائص الأمر الذي أفقد هذه الصفحات الكثير من أهميتها .

● ويلتقي كتابا (بادية الإمارات) و (التراث الشعبي في الإمارات) في أكثر من نقطة ولكنهما يفترقان كذلك في أكثر من زاوية . فنقطة الارتكاز في الكتابين محاولة طرق أكثر من موضوع مثل (الرقصات الشعبية) و (النخيل) و (الجمل) و (المأكولات الشعبية) لكن الاختلاف يتركز في عملية الشرح والتقديم ففي حين يعقد (حسن قايد) في كتابه (بادية الإمارات) أكثر من مقارنة بين الأمس واليوم ثم يعقب في الشرح والعرض بأسلوب الصحافة ويخطئ بين الفينة والفينة بعض المصطلحات المحلية نجد أن كتاب « التراث الشعبي » يحاول أن يرسم صورة لما كانت عليه هذه العادات والتقاليد دون أن يتدخل الباحثون كثيرا في عملية التسجيل اللهم إلا فيما يتعلق بشرح المبهم من المصطلحات وأنماط السلوك ، مثل تفسير معنى كلمة (عيّالة) - وهي الرقصة الشعبية المعروفة في الكويت باسم العرضة - وغير ذلك من شروح ولعل ميل (حسن قايد) الشرح والتوضيح والتقديم للمصطلح يرتبط بعمله كصحفي خاصة وأن معظم فصول كتابه كانت قد نشرت كمقالات وتحقيقات ميدانية في جريدة (الاتحاد) اليومية الصادرة في (أبو ظبي)



● ومع أن البحوث التي قدمت حتى الآن تعطي أبعادا جديدة في تقديم الفنون الشعبية فقد تلقي الضوء على جوانب مهمة من الإبداع الشعبي إلا أننا نشعر بأن الخطوة التي حدثت في هذا الميدان إنما حققت نوعا من (الفحص) و (التسجيل) ... ولا في المقدمات أن الارتكاز في ... مباحث البحث ... عبد الحكيم ... (...) في ... من صلب المادة الشعبية التي أحاط بها وهي والشعر النبطي نجد أن الدكتور (...) في بحثه عن (الحكاية الشعبية في الإمارات) يحاول أن يفرض منهجا أوربيا على البيانات التي جمعها وذلك من خلال الارتكاز في بحثه على نظرية الأمريكي (وليام باسكوم) التي تحدد ثلاثة جوانب عند دراسة عناصر التراث الشعبي وهذه الجوانب هي :

(١) السياق الاجتماعي
(٢) السياق الثقافي
(٣) الوظائف الانفعالية

وبأسلوب مبالغ فيه عرض الدكتور هذه المحاور الثلاثة على البيانات الخاصة بالحكاية الشعبية دون أن يأخذ بعين الاعتبار أن نظرية (باسكوم) هذه خليط من نظريات سابقة لا يمكن الركون إليها في فهم وتحديد وظائف الحكاية الشعبية في الإمارات وهي خلاصة نظريات خاصة جدا في فهم الأسطورة ، نتجت عن تجارب خاصة ومحدودة أيضا فالعالم الانثروبولوجي (مالينوفسكي) وضع نظريته عن الدور الدرامي الذي تلعبه الحكاية والأسطورة - وهي النظرية التي أخذها عنه باسكوم - بعد تجربة خاصة جدا قضاها بين القبائل البدائية في المحيط الهادي ، وبالتالي فإن فهمه للدور الدرامي الذي تلعبه الأسطورة ناتج عن دراسة محدودة جدا لعينات بشرية متخلفة جدا لا يمكن بأي حال تعميم نتائجها على الشعوب الأكثر تحضرا .

● ومع أن هذا المأخذ ينسحب على دراسات غالبية الباحثين العرب الذين يعملون في جمع وتحليل المأثورات الشعبية إلا أن الكد الذي يقدمه هؤلاء لشرح وتحليل تراثهم تخلق نوعا من التوازن بين وجهات النظر وتعطي بالتالي الرؤية العربية للتراث مكانها المحدد غير المتضخم الذي لا يزيد عن كونه وجهة نظر في بحر متلاطم من وجهات النظر الأخرى ، ولكن الخطورة هنا - في الإمارات - أن الدراسات التراثية ما زالت بكرا وإن عمرها لا يزيد عن عدد أصابع اليد الواحدة كما أنها كلها كانت فاتحة لغيرها فهي إذن دراسات رائدة قد تصبح فيما بعد منهجا وطريقا يحتذى كما أن نتائجها قد تربك أي باحث جديد يختار منهجا عربيا ، لأن النتائج التي سيتوصل إليها الباحث الجديد ستختلف بالتأكيد مع نتائج سابقيه من مقتبسي المناهج الأوربية الذين لم يوفقوا في تطويعها لتوافق طبيعة المادة الفولكلورية العربية .

ثم إنني أميل إلى الأخذ بمبدأ سبق وأشار إليه الأستاذ (صفوت كمال) في مقالته عن (مناهج بحث الفولكلور العربي بين الأصالة والمعاصرة) المنشورة في مجلة (عالم الفكر) لعام ٧٦ وهو أن عملية جمع وتسجيل مواد المأثورات الشعبية هي الأساس ثم تأتي بعد ذلك خطوة الدراسة الوصفية لهذه المادة ولأن البحث الفولكلوري في الإمارات ما زال بكرا فإن الحاجة تدعو إلى تشجيع مبدأ الجمع والتسجيل فقط في هذه المرحلة بالذات وبعد اكتمال الجمع والتسجيل أو على الأقل ، بعد قطع شوط لا بأس به تبدأ خطوة ثالثة لوضع منهج عربي في بحث الفولكلور يتوافق مع طبيعة المادة من ناحية والمجتمع الذي أنتج هذه المادة من ناحية ثانية .

وبغير هذه الخطوات لن يتمكن الباحثون من إجراء الحوار الذي تحدث عنه الفيلسوف الفرنسي الشهير (جاك بيرك) ..... فهو يقول :

(التراث هو الماضي يحاور الحاضر عن المستقبل وهو ليس مجموعة مكدسة من الإنجازات الكلاسيكية بل لعله الإمكانات والكوامن التي غطتها تلك الإنجازات وعلينا أن نرد تلك الكوامن إلى شبابها ونستلهم قيمتها الخاصة ونطلق تطورها الخـــاص)

أسامة فوزي
العين -
الإمارات العربية المتحدة

تونس

الشعر التونسي على ابواب الثمانينات

محمود الماجري

تميزت الحركة الادبية في تونس بركود نوعي بعد انتهاء تجربة الطليعة في السبعينات واستقالتها من الميدان الابداعي من ذلك لاحظنا انه منذ ١٩٧٣ الى الآن لم تر حركية في ميدان نشر المؤلفات ولم نشاهد تجمعا ادبيا خرج بالادب التونسي الى الجمهور. لكن الظاهرة الصحية التي بدأت تدب في الميدان الثقافي يمكن أن تبشر بميلاد حركة جديدة من تلك الايام الشعرية التي نظمتها دار الثقافة ابن رشيق على امتداد اسبوع كامل بداية من ١١ كانون الثاني (جانفي) ١٩٨٠ حتى ١٧ منه والتي جمعت الشعراء: الميداني بن صالح ونور الدين عزيزة والبشير القهواجي وعلي دب والطاهر الهمامي ويوسف رزوقة وعبد الحميد خريف والمنصف المزغني وسوف عبيد وسويلمي بو جمعة ومحمود الماجري ومحمد العوني ومحمد الطاهر الضيفاوي وعزوز الجميل وآدم فتحي ومحمد الحبيب الزناد.

إن المتتبع للشعر هنا ليتعلق من الشعراء تفتح ضمن البحث عن كتابة جديدة تبتعد عن بعض القوالب الجاهزة التي اصبحت ممجوجة محاولة بذلك الاضافة الى رصيد الشعر في تونس دون التنصل من الهوية العربية الاصيلة ودون السقوط في الغموض والابهام لكن هذا لا يعني ان الاصوات التي استمعنا اليها متشابهة الى حد اطلاق حكم نقدي يعميها كلها بل هناك خصوصيات تتعلق بكل شاعر على حدة وذلك يظهر في نوعية الانتماء الفكري وفي كيفية التعامل مع اللغة لاخراج القصيدة الى حيز النور. فتجربة كل من سوف عبيد ومحمود الماجري ومحمد العوني مثلا لها منطلقاتها الخاصة وعندما ننظر في بعض اشعارهم نلاحظ مدى اختلاف الرؤية عند كل منها

يقول سوف عبيد في احدى القصائد:

الشجر ....

كان يشقيها الصمت

الرقو ....

كان في غرق الطريق

النسر

هنا يجمع عرسا ويمضي

ويقول محمود الماجري

يقاتلني الشوق اليك

تهجرني الصيف

تلقو خطك

وانت الخطيئة

يقاتلني الحزن عليك

النسر

تحملني الرحل

صوت طيور ماء البحيرة

اقول اصيد طيورا

فلا النصب يكذب الطيور

ويقول محمد العوني في قصيدة: ابو القاسم الشابي

وانت الذي جذره

في قرارة شخصي

واطرافه في السماء

تموج النوازع والرغبات

تداهمني عند بدء التصحيات

بالكبرياء ....

ترى من تكون؟

ونظرا لهذا الاختلاف الواضح بين الشعراء فلان اهم القضايا التي طرحت للنقاش مختلفة ايضا ومتنوعة ومن القضايا التي فرضت نفسها في اغلب الايام: الغموض الابهام والتقريرية المباشرة والعلاقة بين الشعر والسياسة والخصوصية والكونية وطرق التعامل مع التراث. إن هذه القضايا مرتبطة عضويا بالكتابة الشعرية وبدون طرحها يبقى الشعر غامضا ويسمح نوعا من التسلية الرخيصة كذلك لا مفر من طرحها واعادة طرحها في كل المناسبات. واخيرا لقد سمح هذا اللقاء لمتتبع الحركة الشعرية في تونس من القريب، ان يلاحظ ان الشعراء التونسيين يطرقون بوابات الثمانينات باصرار وان الجمهور التونسي على عكس ما يقال متعطش الى سماع اصوات متميزة تساهم في الدفع بالحركة الثقافية الى الامام.

محمود الماجري

لبنان

أول بيبلوغرافيا لأديب عربي

في البوبيل الفضي لاقامة متحف فيلسوف قرية الفريكة اللبنانية أمين الريحاني كرم الاديب اللبناني الراحل بأن اصدرت عنه اول بيبلوغرافية عربية يمكن أن تصدر لاديب في كتاب ضخم يقع في « ٥٠٠ » صفحة من الحجم الكبير.

واعلن البرت الريحاني شقيق الاديب الراحل ان البيبلوغرافية التي تحمل « امين الريحاني » استغرق انجازها حوالي تسع سنوات ما بين تحقيق وطباعة واخراج ولكن اهمية هذا العمل في اعتباره دليلا ادبيا مفصلا وموسعا في الوقت الذي تندر فيه ادلة الادب او كتب البيبلوغرافية العربية.

وتحتوي البيبلوغرافيا عرضا عن سيرة الريحاني ونتاجه بل عن كل ما كتب في السيرة وما أتى عليه من نشاطات مختلفة تتناسب مع مواضيع كتاباته المتنوعة في الفكر والادب والسياسة والفلسفة والاجتماع والاصلاح وفي الوجوه النقدية المتعددة.

وتجدر الاشارة هنا ان المؤسسة العربية للدراسات والنشر هي التي تولت طباعة هذا الكتاب باللغتين العربية والانجليزية وتنوي الناشر نشر الاعمال الكاملة للريحاني ومنها ما نشر الجزء الاول مثل « قصتي مع مي » و « شذرات الصبا » و « وصيتي » و « ورسائل سياسية » وهي غير الرسائل بينه وبين الملوك العرب هذا عوضا عن مخطوطاته الانجليزية التي ستجد طريقها للنشر ايضا مثل قصة « دكتور ديلا » ورواية « جيهان » و « جرس في الف ليلة وليلة » و « من البداية الى المكسيك » عن وعن زيارته المكسيكية عام ١٩١٧ بالاضافة الى رسائل بينه وبين ادباء وبينه وبين زوجته وبعض الرسائل السامية.

شوقي.. والدوران حول رأس الرجاء الشعري

والبوم حتام جولتنا مسبح دول العرب وعظمة الاسلام والتي امتدت ثلاث لقاءات .. نلتقي اليوم ايضا بهذه القصيدة التي بشرنا بهـا والمحنا اليها وسكنا بلسماتها لسحة الشعر لسكن « شوقي » فيها من جميل التناول واصيل الالتفات الى الاشارات والدلائل .

ومع انها على غير ما اعتاد شوقي في مطالعه وكيف انهـا استهلال والمهيد لهدف القصيد .. غير ما درج عليه الشعراء القدامى .. يبدأون بالنسيب ويتخلصون منه الى مدحهم بذكاء احيانا وافتعال احيانا ويتفاوتون في رتبهم الشعرية بقدر تفاوتهم في حسن المسير وكتابة التخلص .. ولكن شوقي لم يمهد ولم يمهد ولم يحاور بالمقدمات او يتاور بالدوران حول « رأس الرجاء الشعري » .. لم يفعل شوقي شيئا من هذا بل رشق بسهمه منذ البداية وحدد هدفه ليس في اول بيته .. بل وفي اول كلمة :

« محمـد » سـلالة النبـوة
ابن « الذبيـح » الطاهـر الأبوة

وفي هنالك استهلال أروع من اسم « محمد » .. وفي هذا البيت الذي لا يتجاوز سبع كلمات يطوف « شوقي » بمشمولي بالرؤية فحمد صلى الله عليه وسلم من « سلالة النبوة » « والبرة الرسالة المطلعي بالوحي والتنزيل .. والثانية ــ عليه الصلاة والسلام ــ ابن « الذبيح » الذي هو اسماعيل بن ابراهيم والذي افتداه السماء بذبح عظيم » ويقول النحاة والصرفيون ان ذبيح على وزن « فعيل » بمعنى مفعول « مذبوح » وانما لقب اسماعيل كذلك باعتبار انه كان في حكم « المذبوح » وكان ما بين رقبته والسكين يسمح بالكاد للشعرة ان تمر .. وانتهى قليلا



أحمد شوقي

مقتطفات من هذه القصيدة الفريدة

محمـد سـلالة النبـوة
ابن الذبيـح الطاهـر الأبوة
العـربي طينـة لبيـئة
القرشي البـلاغ القبيلة
قـد نزل اليتـم به جنينـا
لـم يتهيب سـيد البنينا
وشب علـموا سـمته ودلسه
ليس لـه من اليتـم ذلـة
متضـرفا عن السعى صبيا
وهكذا مـن يجتبى نبيـا
مبـرءا مـن شرق وطيـش
وخيـلاء فـي بنـي قـريش
قـد حاز من مـواهب السعادة
ما لا يحوز بشر في العادة
اكرم من صوب الحيا نصـابا
واجـود الناس بمـا اصـابا
وقائـد الخيـل فتى وكهـلا
وكان فـي المهـد لذاك اهـلا

ان حاد في الكرب الكماة لـم يحد
قـد علمت ذاك حنين واحـد
وزائـد الحقـوق والمحامي
عن جاره وواصـل الارحـام
الاصبح الافصـح في المجامع
الحلو فـي العيون والمسامـع
من جرية الوحي على لسـانه
امضا المجيدين مدى احسـانه
حديثـه حـلاه اسـماعيل
ويسله بريقـه جبريـل
حلية من صـاغ الكلام وعلم
وكيف لا وهـو جوامع الكلم
كان رسول الله فـي شبابـه
لا يـدع الرزق وطـرق بابه
اي رسـول او نبـي قبلـه
لـم يطلب الرزق ويبـغ سبله
موسى الكليم استؤجر استجارا
وكان عيسى في الصبا نجارا
لمـا اخال الرشـد والهـداية
وانقشع الضـلال والغـواية
دعـاه داع لـم يكن بالبـال
الى انتيـاب اروس الجبـال
يصعد مثل « النجم » فيهـا موفيا
وينزل « الكهف » بهـا مستخفيا
بات على « الاخلاص » و « الايمان »
وطالت « السـجدة » للرحمن
و « الكافرون » و « قريش » و « البلد »
« لـم يكن » الأمر لهم عـن خلد
حتى اتى « الفتح » وجاء « النصر »

واستقبل « النبأ » العظيم » العصر »
وهبط « النور » عليه وحيا
ونزل « الفرقان » فيه تعيا
منزلا بحسب الزمان
مفصل اللؤلؤ والجمان
كان ابتداء الوحي في حراء
فاتحة الرسالة اقرأ
الله خير خلقه أعطاها
وحمل الأمر العظيم طه
ناجاهمو ببينات ربه
فآمنت « بنت خويلد » به
فقيل فيها أسبق الاناث
وفي « علي » أسبق الاحداث
وفي الرجال « لأبي بكر » يد
بالسبق لم يبلغ مداها سيد
وكانت الدعوة بالكتاب
وحجة الله عسر المرتاب
فلم تزل حتى اثنثت بعمزة
وانقلبت بعمر فعزت
ودخل المستضعفون فيها
وكلهم خوف الأذى يخفيها
علب بعضهم ربيط الجاش
وبعض التجا الى النجاشي
حتى اقبل العرب الاسلام
وشمل الجزيرة السلام
وبلغ العصم بلاغ الداعي
واسمعتهم حجة الوداع
هناك ....
حان اجل الطبيب
وحكم المحب في الحبيب
سبحان من له البقاء دون حد
وليس فوق الموت دونه احد

● ●

وقد اجتزانا فلم نبسط كما بسط ، وانما اخترنا ليس ما يناسب المقام فكلها مناسبة وانما ما يتوافق ومقتضيات المساحة المتاحة .. ورغم هذا الاجتزاء والاختيار - وهذه جنة للقصيدة - فاعتقادي تسليمكم معي باهلية استحقاقها لسجدة الشعر لما فيها من جميل التناول واصيل الالتفات الى الاشارات والدلائل .

والحق أن اشاراتها ذكية واستدلالها أكثر ذكاء والطف لما ، شوقي حين ساق الحديث عن « محمد » اليتيم .. نظر الى « اليتم » على انه ظاهرة انسانية .. فالموت لا يفرق بين والد النبي وغيره من الآباء العاديين ، بل ان محمدا تيتم قبل ان يولد حين توفى أبوه « عبد الله » وهو ما يزال جنينا في بطن أمه « امنة » والتي رحلت هي الاخرى فعرف محمد اليتم المزدوج وهو لم يتجاوز السادسة من عمره .. ثم لم يمهله الموت حتى الابناء « محمد » .. وكيف له أن يهتدي وهو رمز من رموز الفناء وعبارة من عبارات القدر .. ثم البيت الذي ...

قف بنا حانوا صحبت وقد
ليس الله عن اليتيم ... له

تجد ان شوقي قد أحاط فيه بناحية أفاض فيها علماء فن التربية وأساتذة علم النفس .. فاليتيم عادة ما يكون أميلا منكسرا في سنواته الاولى ، خفيض النبرة اذا تكلم ، محزون العينين اذا لمح .. فهو يحلق بجناح واحد « الأم » أو « الاب » فما بالنا بمحمد وقد فقد الجناحين معا ؟ كان حريا اذن أن يكون أكثر ذلا وانكسارا ، لولا أن نهض بأمره من لا تأخذه سنة ولا نوم وصدق تعالى وهو يقول « ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى » ..

ثم ان شوقي يصف فروسية محمد بأنه قائد الجيش فتى وكهلا وكان في المهد لذاك أهلا .. وهنا نلاحظ بداية خروج هذا البيت من عباءة القرآن الكريم ومن سورة آل عمران وبالتحديد من قوله تعالى « ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين » ..

ويصح لنا شوقي العظيم ان نلاحظ انه لم يستغل الموسيقى الداخلية أكمل استغلال رغم توفر الامكانية « قائد الخيل - وكان في المهد » .. واكتفى « بالمزاوين » دون تلفيمه وترقيقه .. ولو انه - مثلا - استبدل الخيل « بالجرد » جمع أجرد - الحصان قصير الشعر سريع العدو واصبح البيت :

وقائد الجرد فتى وكهلا
وكان في المهد لذاك اهلا

لو فعل للعب حرف الدال المكسور في ثاني كلمة من الصدر وثالث كلمة من العجز دورا لا ينكر في تأكيد جرس الموسيقى الداخلية التي تضبها والتي يحرص عليها شوقي .

وعروجا ثانيا من عباءة القرآن موظفا بأناقة ومزخرفا برشاقة وذلك حين أورد أسماء ١٨ سورة من سور القرآن في سياق حديثه الشعري وفي مدار المسار الطبيعي بحيث لا يمكن استبدال اسم السورة بكلمة أخرى تشغل نفس المساحة الايقاعية وهكذا انطلقت الكلمة التاجية في لحظة واحدة ومن هذه السور « النجم والكهف والسجدة وقريش « والفتح

والنور والفرقان » .

والحق ان اختيار شوقي لهذه النفحات النبوية لـم يكن بالاختيار العشوائي او مجرد تحصيل ارتجالي بل اختار من المجموع ابرزه واقواه واشده دلالة على رسم الصورة الغائبة فهو حين يشير الى فروسية الرسول التي لـم تفارقه من المهد الى الظهونة كان لابد وأن يدعم تقريره هـذا بملمح واقعي وقد فعل في قوله :

ان حاد في الكرب الكماة لم يحد

قـد علمت ذاك حنيـن واحـد

« حنين » و « أحد » يومان مريران عاشهما المسلمون وتعرضوا فيهمـا لألوان من الهول وحق لشوقي ان يصفهما بانهما من أيام الكرب وكان في امكان شوقي بل والمبادر الى الذهن ان يقـول « ان حـاد في » الحرب « بدلا من » الكرب « .. لو فعل هذا لصدق مع المعنى والوزن ولكنه تجاوزها فكان أكثر صدقا حين اختار الكلمة الاكثر ايهام والاقرب للتعريف الجامع المانع فكل كرب حرب وليس كل حرب كرب .. وهذا من

من أسرار التمكن الشعري كان شوقي به قائما عليها وهـل كان تأمير الشعراء العرب له الا اعترافا بتمكنه من العربية ليس شعرا فحسب بل لغة وفقها ومنطقا وصرفا .. ثم ان الثبات يوم الكريهة أكثر بلاغة في التعبير عن الفروسية الحقة من الثبات يوم الانتصار والفتوح .. وفضيلة الثبات في الحالين واحـدة ولكنها في « الكرب » تتألق ويتحدد معدنها الاصيل رغم متغيرات دراسا الحرب ما بين ذروة الانتصار في « بـدر » ووهـدة الانكسار في « أحـد » .

وبعد حديث الحرب والكرب .. ينتقل شوقي بيسر وليونة الى حديث رسول الله

حديثه علاء اسماعيل

وبلى بريقه جبريل

والرؤيا [illegible] [illegible] الاسراء [illegible] [illegible] الصلاة [illegible]

وهكذا تمضي القصيدة بطالعها بصور متناقلة من حياة الصبي والشاب والرجل والكهل والمتأمل والمتبتل والغازي والفاتح والقاضي والمشرع .

وصلى الله وسلم على محمد نبي الامة، ورحم الله شوقي المتبتل في حضرته بأصفى نغمة ، رقيقة والفية ، عميقة صافية في هذه المجموعة وغيرها من « همزية ولد الهدى » و « ميمية ريم على القاع » قاصدا بها كل ما وعد به في البداية من تحبيب سيرة الرسول وتاريخ المسلمين الى الناشئة والنابتة ، مستلهما العبرة من توالي الاحداث وتغير الفصول .

وتمنى لمجموعة شوقي « دول العرب وعظماء الاسلام » أن تصافح وجدان قراء اليوم في طبعة جديدة تكون في المتناول مع ثقة من انها غير زاد في أيام نحن أحوج ما تكون فيها للدرس المستفاد .. ثم هـل نطمع أن تكون هـذه الطبعة بين يدي عشاق شوقي وعشاق لغة العربيـة الاول .. في اكتوبر القادم حيث تحل الذكرى التاسعة والاربعون لرحيل شوقي العظيم أمير شعراء العربية وصوتها الرنان منذ المتنبي الى اليوم !!

حدوتات

ضـحك العـرش وتقلب الأرض !!

جاء ابنه وقال يا ابتنا

انظر .. فهذا صحن ابنتا

في حينا يزهى بشدة

تقول للانظار هنا انتا !!

بناه شيخ التجار قـد اظهرت

اثاره والفضل قـد ثبتنا

فاخرج بنا فالناس قد خرجت

ليبصروه راكعا سمتا

قال جحـا : فلان ، اين ابنه

كل الـذي يا حر قد قلتا ؟

قد غال فيها واعلنا واحدا

وقال حتى القول والزينا

الـذي يأتيه مقابلة

الناس لكن قلبه اعتنى

قلب فرعون الـذي جحدت

عيناه حتى ابصر الموتا

مثل الـذي تعني فليس له

نسك ولو يخشع وما قنتنا

قد صح فيه قولهم في الـذي

قـد بان عن اجـرائه عنبنا

امال في السجدة ثم انثنى

يصف الصلاة تسود البيتا

احتجاج أهل الكهف

بعد أن عاد توفيق الحكيم من باريس كتب مسرحية « أهل الكهف » صور بها المسافة الهائلة بين الشرق والعرب ... وكان السؤال : هل يستطيع الشرق أن يلحق الزمان ؟ ... يلح على خاطره . ومع ذلك كان الزمان هو التحكم والتقلب في المسرحية ... وظهر بطلها الزاهد !

– إننا لسنا ... لا أهل لنا في الحياة !! في الكهف فلنعد إليه ... ليس لنا سميع ولا مجيب إلا البطن !

– وقال مرنوش :

– لا فائدة من نزال الزمن

وقال مشلينيا :

– آه ... لقد انتهت ... نعيد من الكلام والتفكير والحياة !

والتهم أهل [illegible] طغيان الزمن حسنين كتاب ليرسلنا

« نمشي ويتبعه خطوة بخطى ويتيقظ لنبة ليبه فلا الخطوة يمكن لا نهاية لها ولا للخطا أجيال ، وأنت بدني ولأن أرى حبة صلة أمامي أتحول بيننا كأن حائل جبار هو التاريخ » .

وعاد السلام ... ورأيتهم كلهم – إلى الكهف الذي خرجوا منه ليرقدوا ويموتوا ... حتى هذه المرة !



أدب [illegible]

[illegible] التاريخ ... فقد كتب وكتبوا اليوم ... ثم من أي شعري المنطقة عبر هنالك نعمت جوائز تبلاع وتسبح ... والتسابق وعطري .

أول أجزاء ... صدر عميد طه حسين أراد منه ... الأزهر أن الكتاب كتبه مريح وطالبوا بمصادرته وحجبه عن القراء ... وتوالت قوائم الاتهام ... والزعيم والسيد الدكتور طه حسين وهو في مدينة التيانا بالمنفى وكتب إلى والده في القاهرة خطابا حزينا وصفه الدكتور زكي مبارك بأن عبارة تحمل الصخر يبكي ... والده شيخ قلق على مستقبل ابنه الشاب وحريته . وأراد طه حسين أن يطمئن والده فكتب له هذه السطور القلائل :

أبي

أنت أوصيتني بأن لا أصدق كل ما أسمع وأنا أوصيك بأن لا تصدق كل ما تقرأ ... لك من ابنك ... أطيب التحيات ...

طه حسين

نصف أعمى ونصف مبصر

المتنبي بصير ... وما أكثر أهاجيه فقد كانت تلقى مدائحه أكثر تنوعا وحدها لأنها بطن ذاته لا بطن ذات الممدوح .

المتنبي مبصر ، ابن كروس ... كان مفتوحة وواو مفتوحة – وكان الهجو على واحدة ...

فيا ابن كروس يا ، نصف أعمى ،

وإن تفخر فيا ، نصف البصير ،

تعادينا لأننا غير عرب

ونبغضنا لأننا غير عور

ومن يذكرنا بالشاعر المثالي فجهه إلى بناة أعور أسمه عمرو ومعه قطعة قماش يبقى فصلها ... وبالغ الشاعر في مواساته وملاطفته فقال له الخياط ... سأصنعها لك بحيث يحار الناس عندما يرونك ... هل يكون جبة أو قميصا ... فقال الشاعر ... وأنا سأقول فيك بيتين من الشعر عن سيحبه يحار هل هما مدح أو هجاء ...

وتسلم الشاعر الجبة أو القميص ، وتسلم الخياط الأعور هذين البيتين :

خاط لي عمرو قباء

ليت عينيه سواء

قل لمن يسمع هذا

أمديح هذا أم هجاء ؟



المقامة الموسيقية

مقامات عبد الشكور المشهور بمعرفة الأنغام والدور



ذات عصر كنت أعبر الطريق باحتراس لازدحامه بالباص والناس ، وبينما أتأهب لنزول الرصيف ، لفتني صوت شاب - كفيف - يرجوني أن أعبر به ، ففعلت وأنا جد منتبه ، فالطريق مزدحمة ، والفوضى ملاحمة .

ورغم عاهته ، لاحظت رشاقة خطواته فأعلنت استعدادي لحيث يريد ، فشكرني بأدب شديه ، فالححت عليه بجدية ، فطلب أن يذهب معهد الموسيقى العربية ، .. ومع أننا كنا أقرب لميدان العتبة ، فقد لبيت مسرور طلبه ، فلا شيء ورائي ، فضلا عن أن المشي ينشط أعضائي ، وبهذا نصحني الطبيب من وقت قريب .

وهكذا مضينا معا ، متحدين خطوة وأربعا ، وعلمت منه أنه طالب مقيد ، بذلك المعهد ، وأن اسمه ، شوقي عبد المعبود ، وتخصصه عزف العود ، ولما سألته عن طبيعة الدراسة ، أجاب في سلاسة ، أنها تنحصر بالكمال والتمام ، في ثلاثة أقسام : الموسيقى من حيث هي عنصر مجرد ، والتدريب الجماعي والمنفرد ، ودراسة مشاهير أرباب المغاني ، من « معبد » و« سلامة » إلى « المظ » و« القباني » .

ولما اقتربنا ، علني إلى تشريف « موقعه » المعهد ، فلم أتردد ، ووصلنا ودخلنا ، وكان هو القائد هذه المرة ، وهو غائب في المسرة ، ومضى بي إلى الموقعة ، وكأنه راقص بالية ، ولما جلسنا نادى يا « عبد » ، فلم يجبه أحد ، فأعاد النداء بصوت جريء ، فأتانا جرسون الفيء ، وبصوت متآكل الشرائح ، قال سلاما تشربون ، بحضرتك ؟ ، بأسلس عضلي على إزعاجي ، في مقلق تحطيم ؟ فالحيث لا يأس ، وانصرف الجرسون وكأنه يمشي على حسن !

[illegible] .. فقال [illegible] .. وقال ، حضرتك ، وألحس « ٢ » ، فابتسمت لذلك الفتى [illegible] .. فأنا أسبق على الوجود باسم شوقي عبد المعبود ، واسمي عبد الشكور وصفتي المشهور بمعرفة الأنغام والدور !

فخطفت عيناه اختلاجة خفيفة ، وتابعت تعريفه ، واتصلت بيننا الكلمات ، ورحت أتأمل من حولي من المخلوقات ، فهذا شارد محدق في السقف ، وذاك فارد متثائب كالمقف ، وثالث يقرأ في المساء جريدة الصباح ، ورابع كف عن الكلام المباح ، وأخرج من جيبه ورقة سلوفان مطوية ، وابتلع منها شيئا أسود الهوية ، وصاح : يا عبد الجليل ، واحد شاي ثقيل

كانوا مختلفي السحن والألوان والأعمار ، وحولهم تتناثر العود والقانون والجيتار ، وعلمت من مضيفي أن ثلاثة أرباع هؤلاء ، يأتون في المساء ، بعضهم لإجراء بروفة ، وبعضهم لنسخ النوتة ، وفريق يكتب الأغاني والأشعار ، ويبحثون لها عن طبل ومزمار ، بعضهم أصيل ، ومعظمهم دخيل ، وماذا تفعل يا أستاذ ؟ ، وقد اختلط ، العراقي ، و « الحجاز » ... وعجبت لخوضه في الشئون العربية ، ثم فهمت أنها اصطلاحات موسيقية ، يميزون بها اللحن عن سواه ، ولا علاقة لها بمستواه ، وتعرف باسم ، المقامات ، جمع ، مقام ، واختصار الكلام ، فالمقام ركيزة النغم الأساسية ، ومنه يتفرع على امتداد الصورة اللحنية ، ويعود في النهاية ، إلى نقطة البداية ، وعذرا لهذه الاستطرادة ، التي تشبه قزة الجرادة ، ولكننا خلصنا اختلاط ، المقام ، بالمقامة .. فيحدث ما لا يحمد ختامه !

وقطفنا من الحديث ألوانه ، ووصف لي بيته وعنوانه ، رجاء أن أشرفه بالزيارة ، في بيته المطل على أول الحارة ، فشكرته وانصرفت سعيدا لأني لم أشرب ، فنجان السحلب ، فأنا أعلم أنه في هذه الأماكن ، عبارة عن دقيق داكن ، مذاب في السكر .... لا أكثر ... !

ومر ما لا أدري على هذا اللقاء ، وذات مساء دخلت أحد الأحياء ، فاكتشفت قربي من بيت الأستاذ إياه ، فعرجت على مأواه ، ولما سمع صوتي تكرش ، وبالترحيب أفرش ، وقال إن حظي من السماء ، فسيعاد الليلة مع بعض الأصدقاء ، من النوع الذي يطيب لي أن أراه ، باعتبارهم نماذج حياه ، مادام عبد الشكور ، يبحث عن الأسماك في البحور ، ولم أمتنع فذهبت معه ، وسمعت ما لم أسمعه ، ورأيت ما لم أره ، في هذه الأمسية المعطرة .

كانوا جماعة من أهل الموسيقى ، وكل واحد اختط طريقا ، وفي مجموعهم راحوا ينقدون ويتناقدون ، ويعدلون ويبدلون ، لا يعجبهم العجب ، حتى ولا « عبد الوهاب » .

وقدم أحدهم نموذجا لمقالة مؤلفي الأغاني ، وكيف أنهم يحشرون في كلماتهم الثاني والمثاني ، من فارغ القول ، وما ليس له قوة ولا حول ، بل وما يتناقض في مجموعه ، مع أنباء ودموعه ، وإلا فما

معنى (وقل له ، يشاور عقله ، وينسى يوم ويجيبني) فكيف ينسى بعد أن يشاور عقله ويعمل فكره ؟ اللهم إلا أن تكون ذاكرة خاسرة ، وخاطرة غير مبصرة .

فانبرى له أحد الجالسين ، مستنكرا الحقد على التافهين ، والطعن في المبدعين فمشاورة العقل ليست في التفكير والتدبير بل كناية عن الانتصار التفكير الكثير ، واجعل وجدانك ؟ يمحى هجرانك ! .... ولكن المعترض لم يهدأ ، وواصل الثلث على المبدأ ، ... نعم واجيبوني ، فامعنى ، وكل من شاهدني أبكي ! يفتكره خلقه عيوني ، .. أليس هو قول القائل :

أتراها لكثرة العشـــاق
تحسب الدمع خلقة في المآقي

وانقسموا بين مؤيد ومعارض ومحايد ومناقض ، واستمر الحال ، على هذا المنوال ، لم يتركوا مطربا إلا علوه ، ولا ملحنا إلا خطاوه ، حتى أمسك أحدهم بالعود ، فكفوا عن الأسئلة والردود ، وانطلق صاحبنا الألاتي ، يعبر عن «السيكاه» إلى « البياتي » وهو يغني الشاعر إياه ، الذي في القاهرة عرفناه ،

وحين انتهى صاحبنا من العزف ، أجال في الحاضرين الطرف ، وكان بعضهم قد نام ، وبعضهم تكلف الانسجام ، وفريق بين بين ، آثر بالحيدة إحدى الحسنيين ، ولم يقنع العازف المغوار بهذا المشوار ، فركن عوده ، وواصل مجهوده ، وراح يتحدث عن مزايا لحنه ، وكأنه الوحيد في زمنه ، ويبدو أن هذه هي علته ، فلا تغامز عليه صحبته ، وراحوا يستفزونه ، ويموهون عليه ويعابثونه ، حتى اضطروه إلى نوع من التصريحات ، لا يوجد إلا في نوع خاص من المستشفيات ، يعرف في مصر باسم « العباسية » ، وفي الشام « بالعصفورية » ، ويدخلها كل من اعتقد أنه بتهوفن أو هارون الرشيد ، أو متكر أو « ابن العميد » ممن انحلت عراهم ، وعراهم من خفة العقل ما عراهم ، وقد قالوا « المجانين في نعيم » فسألته سبحانه حسن الخواتيم .

ولما سكت صاحبنا بعد طول جدال ، يخل في المجال ، مطرب شاب ، لا يزال غصين الإهاب ، راح يغني لسيد درويش ويتغزل ويجيش ، وينتقل من أغنية السقايين إلى الحمالين ، إلى آخر ماعرف به « السيد » من أغان معظمها جيد ، ومال على صاحبي يهمس ، هذه الأغنية من مقام « الفلس » ... وكانت :

إنني الهموم أنسـاك يـدوم
اللي يلوم يفضل يحـاني

والقول الحق والسلام ، لقد أعجبني الغلام ، أقصد غناؤه ، وأعني الأداء ، وتمنيت أن أسمع ما شجاني ، فيما مضى من زمني ، وأعلنت « شوقي » برغبتي على الفور ، فسألني عن اسم الدور ، فقلت على عجل ، جفنه علم الغزل ... فكست وجهه الحيرة وقال أليس هناك غيره ؟ فسألته : ألا يحسن غناءه الفتى ... ، فأجاب : بلى ، ولكن بحضرته ، فالستوطنة من الحيرة وسبب الأنين ما دام الفتى به من الحاضرين ، فما هو دور مشهور « وغير مكرر » ، وكان الفتى وقتها يشدو بصوت ... فاقع الصمت ... لا نتهيب ولا نفهم : أين التصفيق المتلائم ... ، الألوان الوصفية والحمسية ، ويعتبر ما غنما ثقافة وحضية ، وواصل حديثه مبتسما : وعبد الوهاب ... بالذات ... يكرهه يكره العمى !؟ وتماسكت فلم أضحك للمفارقة ، وسألته بمنتهى الثقة : تقصد من يكره الثلثن ... فقد التبس الأمر على وجداني .. فمال على أذني أكثر وقال ! ، وهل هذا سؤال ! صاحبنا هو ... الكاره ، لعبد الوهاب ، فقلت ! غريبة ... وما الأسباب ؟!

فقال وهو يكتم ضحكته ، ويخفي شرته ، لأن عبد الوهاب ، في نظر هذا الشاب ، مطرب أمبريالي ، وسيد درويش مطرب عمالي ! فسألت : وهل حب الوطن قرين عليه من الأمبريالية ؟ .. ، شلفتني بنظرتي أنا في عرضك ، من الوطنية !! ، فلم يجبني صاحبي واعتدل في جلسته ، وأعاد ترتيب هيأته ، ورحت أتأمل الفتى المغني ، وكلام شوقي يرن في أذني ، ولاحظت أن المغني الشاب لايهتم بما يرتدي من ثياب ، وصحيح أنه إن لم يكن أنيقا فهو نظيف ، ولكن .. ملأ في صدره من تجاويف !؟ ، أيمكن أن يصل الحقد لهذه الدرجة.. ثم بأي منطق وحجة ، يحكم العوام على الأئمة ، ويناطح السحاب القمة !؟ أزفت الآزفة ، ليس لها من دون الله كاشفة ..

وسألني شوقي ونحن في الطريق - إن كنت شعرت بضيق ، فقلت لم يضايقني إلا اجتماع حسن الصوت ، وجهل كالموت ، وطلبت أن يزيدني تعريفا بالفتى المطرب ، فقال أمره غريب مغرب ، يزعم أنه تعلم الغناء بنفسه ، ولم يشرب إلا من كأسه ، ولا فضل لأحد عليه فالتراث استاذه ، وملجأه وملاذه ، فقلت : إلى هنا لا غبار ، ولكن ما نسبته إليه من أفكار ، فقال تقصد الأمبريالية وهذي الأمور ؟ .. هذا كلام لم يفصح عنه إلا من شهور قلت : ألم ترشدوه ، وتأخذوا بيد هذا الجميل المفتون ؟ فقال .. الحق أن معظم الجماعة سعدوا بهجومه على كل من يغني في الإذاعة ، وكل يغني على ليلاه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .. فسألته ومن ، ليلى ، فتانا ؟ فأجابني لا أدري .. فهكذا ألفنا ، وقدم نفسه على أنه محب يتضافنا وشقانا ، فطلبت منه أن أرى الفتى على انفراد ، فقال أرتب لك معه الميعاد ، فربما استطعت أن تهديه ، وتنقذه مما هو فيه ، واتفقت مع شوقي أن أراه بعد غد ، في بوفيه المعهد ، ليخبرني بالموعد الذي حدده ، هو والفتى إياه .

وجاءني شوقي في البوفيه مذعورا ، وقال إن أمورا قد جرت وأمورا : فقد قبضوا على صاحبنا عدو الأمبريالية ، بتهمة سياسية ، فسألته مندهشا متى حدث ذلك ؟ فقال بعد نزوله من شقته ، قبضوا عليه في شارع العروبة ، هو وابن عمه عطية .. فقلت وأين ذهبوا به حتى .... فقاطعني : من قال لا أدري فقد أفتى ... وسكت هو وسكت ... وبعد برهة سألني ملأ يطري دهشة ، فقلت له وهل كنت تبغيه !؟ قال أقصد كيف رمى بنفسه في النار ذات الأخدود ؟ ، فقلت دعني في حالي يا عبد المعبود !

قصصت صاحبتي ، ولكنه قال يجانبني ، حتى كتابة هذه السطور .

انتهت أقوال عبد الشكور .

قصة بقلم: ف. إس. نايبول
اقتباس: جمال الكناني

قصة بقلم ف. إس. نايبول، أعظم كتاب الإنجليزية المعاصرين الأحياء..
ينحدر نايبول من أصل هندي وولد في ترينيداد من جزر الهند الغربية عام ١٩٣٢
ورحل إلى لندن عام ١٩٥٠ حيث التحق بالجامعة ... [illegible]
... [illegible] عام ١٩٦١ وفاز بمعظم الجوائز الأدبية التي [illegible]
... ومن ذلك جائزة جون لويلين ريس التذكارية عام ١٩٥٨ وجائزة
سومرست موم عام ١٩٥٩، وجائزة هوثورندن عام ١٩٦٤ وجائزة [illegible]
... عام ١٩٦٧ وغيرها ... [illegible]
يقال عنها سيرة أبيه. أما القصة ... [illegible]
القصص القصيرة نشرت في كتاب ... [illegible]

طالما أحببت هذه المرأة .. أمي .. سوى الدود .. كانت شيء الظن بكل ما أعمل .. وتطورت الأمور حتى أصبحت أؤمن أنها لا تقر بوجودي أو ترضى عنه .. كنت ابنها الوحيد .. ولكنها كانت تعتبرني ثقلا زائدا .. فائضا عن الحاجة .. أكثر من اللازم.

كانت تكره أبي .. وظلت تكرهه حتى بعد موته.

كانت تنظر إلي وأنا ألعب، أو أقوم بأي عمل، تكرر عبارتها المألوفة .. (وأصل ذلك مجددا .. أنت ابن أبيك .. لست ابني .. النسم .. لست ابني).

قررت أمي ذات يوم أن تنفصل عن أبي وأن تصحبني معها.
ووافقت الذهاب معها.

كان أبي مريضا طريح الفراش .. وكان قد وعدني بصندوق من الأقلام الملونة إذا بقيت معه واخترت الأقلام .. وأبي.

كنا في ذلك الوقت نعيش في (كونوبيا) وكان أبي يعمل (سائقا) في إحدى مزارع قصب السكر .. ولكنه لم يكن سائقا للعبيد، لأن عمال المزرعة كانوا أحرارا .. لكنه كان يعرف أنهم وكأنهم من العبيد .. كان يركب حصانا بني اللون هزيلا قبيحا مجردا من كل رشاقة .. (ويفرقع) كرباجه في الهواء فوق رؤوس العمال وسمعت من كان يتهمه بركل العمال أحيانا وإن كنت لا أصدق هذه التهمة
... لا أصدق التهمة لأن أبي عاش عمره في



(كوبويا) وهو لايعرف تماما أن أهلها لايقبلون الضيم ويشجبون الإهانة حتى ولو بعد عمر طويل.

كنا - أول الأمر - نعيش في مخيم المزرعة - وهو سكون يسهر عليه الحراس - لكن أبي قرر أن ينتقل إلى بيت خشبي غير بعيد عارضت أمي ولكنه لم يأبه.. فرضخت على مضض. انتقلنا إلى البيت الخشبي وعشنا فيه فترة - ورأينا رجال أدخل الرعب في قلب أمي - كان أبي ساعتها في العمل - وبعدها - كان أبي يحمل بندقيته أينما سار.

كنا في الليل نسمع - أو يخال لنا أننا نسمع أصواتا مريبة. وكان أبي يقول (إنهم هناك.. يريدون أن الفرج لانحرق) في الفجر كنا نسمع وقع أقدام - تبتعد عن الدار.

كلما غابت الشمس واقترب الليل أحكمنا قفل الأبواب والشبابيك.. وتركنا كلبنا الضعيف - واسمه طرزان - خارج البيت يعوي و(يخربش) الباب بأظافره - يضرع ويستجدي رحمة من يدخله.. وصدق إنسانيته ولم يعمر طويلا.. إذ صباح وجدنا (طرزان) قطعا وأشلاء مبعثرة على درجات السلم الخارجي وأخذ أبي يحلق على الجدران لافتات تحتوي عبارات تمتدح الشجاعة.. وزاد ضيق صدره يأتي.. ورد المرأة.. ورحم بأمي ويعد عليها.. فرحلت إلى بيت أمها.. وبقيت وحدي مع أبي.

كان أبي يقضي جل وقته في سريره.. وأنا راقد بجواره.. وشوهدت صلتي به. وقتح لقبه لي.. وشدتني إليه بنوتي وشدته إلى أبوته.. وعلمني ثلاثة أشياء..

قال (ولد! من أبوك ؟)

قلت (أبي.. أنت)

قال (خطأ)

- (ماذا تعني.. خطأ ؟)

قال - (تريد أن تعرف من أبوك الحقيقي ؟ إنه هو أبوك)

- (وماذا أكون ؟)

- (أنا ؟ من أنا ؟ دعني أفكر.. أنا أبوك الثاني.. لست أباك الحقيقي)

وكان في هذا الذي علمني متاعب لي وخاصة مع أمي.

الشيء الثاني الذي علمنيه: كان (قانون الجاذبية)

كنا - هو وأنا - على السرير... أمسك بعلبة كبريت ثم تركها تسقط من يده وقال (ولد! قل لم سقطت العلبة ؟)

قلت (كان لابد أن تسقط.. ماذا تريد ؟ أتريد من العلبة أن تمرح في الهواء بدلا من أن تسقط على الأرض ؟)

[illegible]

[illegible]

[illegible]

أقل من البناء يحي.

[illegible] الثالث الذي علمنيه من أبي [illegible] الألوان... قبل ذلك قبل موته بقليل.

قال... أين الأقلام الملونة ؟

وقدمتها إليه

- تريد أن ترى سحرا ؟

- أتعرف السحر حقا يا أبتاه ؟

أخذ اللون الأصفر ولون به أحد المربعات

- ولد! أي لون هذا ؟

- أصفر

- هات القلم الأزرق.. أغمض عينيك تماما.. تماما

ولما فتحت عيني قال (ولد! وأي لون هذا ؟)

قلت: أخضر لا بعض!

واستغرق في الضحك.. وشرح أن اللون الأصفر إذا خلط باللون الأزرق - تولد اللون الأخضر

إنه هو الذي يخلط الألوان في الطبيعة

إنه.. أبوك

وصرفت وقتا أحاول ابتكار حيلة أو لعبة أرد بها على سحره.. كل ما نجحت فيه هو أن وضعت رأسي عودين من الكبريت معا ثم أشعلتهما فالتصقا.. ولكنه كان يعرف هذه اللعبة.. ووقفت قلبه الأمر واكتشفت لعبة لا يعرفها أبي.. ولكني لم أتمكن من شرحها له.. لأنه مات في تلك الليلة.

كان اليوم شديد الحرارة.. وأخذت السماء تتخفض وتثقل وتسود وكان أبي في كرسيه (الهزاز) لما بدأ المطر يهطل في عنف.. أحسست أن ألف قبضة حديدية تطرق سقف البيت.. وخيم الظلام فأوقدت السراج.. وتوقف الكرسي (الهزاز) عن الحركة.. وثبت في مكانه.. وهمس أبي (ولد! إنهم هنا الليلة)

وهبت الريح الشمال.. وهدر الرعد - فانطفأت الشبابيك

- ولد! لا تخف.. كن وردد ما علمتك إياه

وأخذت أتمتم.. رانا.. رانا.. سيتا.. رانا - وصرخ أبي.. إنهم هنا.. أسمع أصواتهم تحت البيت

- لا تخف يا أبي.. حتى قطعة جلدة من الزجاج.. ومعك بندقيتك

- لكن الظلام حالك دامس.. يا رجل لنا رجل! - وزحف نحو الطاولة لنقل السراج قريبا منه لنطمئن نفسه وصرع.. الظلام الظلام.. يا إلهي..

بحث في دنيا السواد.. وأخذت أصرخ حتى خاف الرعد وسكت وانسحال المطر رذاذا.. ونسيت اللعبة التي كانت قد أعددت لأبي.. الصابون الذي حككت في راحة يدي حتى جف واختفى.

اتفقت الآراء على أن أرحل مع أمي حتى لا يعيرني الناس أن أبي مات خوفا وفرقا.. الناس لابد يضحكون من ذلك... ورحلنا إلى (بورت أوف سبين) وهناك رأيت بعيني كيف تكون العلاقة الطبيعية بين الأب والابن... علاقة لا تزيد عن العلاقة بين الضارب والمضروب وحمدت الله لما رأيت ذلك

أهتمت أمي ببسط سلطتها وسلطانها علي، وبمحو كل ما علمني أبي.. ولكنها لم تقدر على ذلك... وسرعان ما تركتني وشأني أمرح وألعب في الشوارع.. فكانت لا تضربني الا بين حين وحين، إنما تعود إلى نفسها نزعة تربيتي بحزم.

ذات يوم - حجزتني أمي في البيت - (لا تذهب اليوم إلى المدرسة.. اصرف اليوم في تعلم كيف تربط رباط حذائك حتى تجيد ذلك... لقد سئمت ربطه أنا كل يوم)

ولم يكن ذلك من العدل في شيء.. فأنا أشكو معظم وقتي عاري القدمين... حاولت ربط الحذاء.. مرة بعد مرة.. وفشلت مرة بعد مرة.. وضيعتني مرة بعد مرة.. وانقضى اليوم وأنا على جهلي.. ولم أتعلم كيف أربط ذلك الرباط الملعون.. ولكني اهتديت إلى حل.. أرغمت أمي على أن تشتري لي حذاء جديدا يزيد مقاسين عن حجم قدمي.. ووجدته الشيء وهو على قدمي في المكان واحتفظت بأربطة.. كنت أدخل قدمي وأخرجها من الحذاء دون فك الرباط...

لم تكن قسوة أمي على صرعة خالصة... كانت أمي أحيانا بعض ومضات الحنان...



ذات يوم .. كانت اغسل الكاسات الزجاجية .. وسقط احدها من يدي وكسر .... ورأت امي ما حدث

ــ كيف كسرت الكأس ؟

ــ افلت من يدي لانه املس .. جدا

ــ اشرب من كاسات زجاجية عادة سخيفة .. فالزجاج سهل الكسر .

ولم تعلق امي باكثر من ذلك ... وقلقت على صحتها !!

ولم تقلق قط على صحتي .

كانت تؤمن بان جرعة من (الملح الانجليزي) تشفي كل علة وتطيب كل داء . وكان علي ان اتناول منه جرعة كل شهر . فلا استعصى على امي فهم اية علة لا تشفيها (شربة الملح الانجليزي) بحثت بي الى (حكيم الصحة) ....

وقبل أن تتم جملة (يادكتور انا اعمى ..) يكون حكيم الصحة قد وصف لنا الدواء ودواء كل الامراض عنده واحد لا يتغير ماء فيه راسب وردي اللون تراه في قاع الزجاجة ....

امي تعتبر مركز الصحة مكانا صالحا لامثالي .. فاشتراكه السنوي ٢٤ سنتا فقط ثم إن من يزوره لابد وأن يقضي فيه ساعات يومه على الاقل .. فهو يريح امي مني يوما باكمله

انا لم اكن ملاكا .. كانت تتملكني نوبات عناد تجعلني ارفض جميع ما يصدر لي من اوامر .. والغريب انها كانت تستقبلني بشفقة خاصة .. في الاوقات التي كانت امي تحاول ملاطفتي فيها ..

بعد اليوم الذي القتني فيه (هات) من الغرق كانت موضوعا انشائيا في المدرسة بعنوان (يوم على الشاطيء) لا اظن أن معلمي قرا اجمل منه في حياته .. تحدثت عن حادث الغرق .. حين واجهت الموت بشجاعة وانا اقول لنفسي (إذن .. هذه هي النهاية) .. سر معلمي بما كتبت واعطاني ٩ درجات من عشر وقال (اعتقد انك عبقري موهوب)

وعدت الى البيت وحكيت لامي ما جرى في المدرسة

(موضوع الانشاء الذي كتبته اليوم)

اعطاني ٩ من ١٠)

(كيف تكذب بكل هذا الهدوء والبرود ؟ اتريد ان اصفع وجهك ؟)

اقنعتها بصدقي في نهاية الأمر .

وقفت وهي جالسة على سريرها .. تعال واجلس الى جانبي

وركبتني نوبة من نوبات عنادي

لا .. لن أجلس بجوارك

فضحكت وحاولت اقناعي

وزاد غضبي

وذاب ما بيننا من صداقة وود ... وتلاشى واستحال الود صراعا بين إرادتين ...

وكانت على استعداد للتضحية باي شيء

قلت لك تعال واجلس الى جانبي

ــ لن اجلس

اخلع حزامك

وخلعت الحزام وقدمته لها .. وانهالت علي ضربا .. وسال الدم من انفي ولكني ... لم اجلس بجانبها

ــ اوكان امر جزاما يعجلني [illegible] بهذا الشكل

[illegible]

[illegible]

بدأت التراميس الداخلية تختفي من البيوت .. ويبقى القليل من احيائي جميلة .

(هات) قرر بناء مرحاض حديث في بيته .. وبادر شباب الحي الى مساعدته .. ولم اكن قد بلغت العمر الذي يسمح لي بتقديم المساعدة .. فرحت اشاهد ما يجري هناك .. اخذوا يهدمون الجدران واحدا بعد واحد .. وبقي جدار اخير

قال (هات) ــ (ما رايكم ان نسقط هذا الجدار كتلة واحدة ؟

وكان ....

ترنح الجدار ومال نحو الارض

وفقدت عقلي للحظات ... في لمح البصر

حاولت ان اكون (شمشون) الجبار .. واحول دون سقوط الجدار ... كل ما اذكر هو صوت يقول (ياإلهي .. حاذر) ...

كنت في احد البلسمات التي تنقل الناس بين (بورت الد ستين) و (بش فالي) والباص مشحون بالنساء في ملابس زاهية الالوان .. يحملن سلالا مليئة بالبطاطس والموز وغير ذلك .. في الباص ضجيج ترتفع اصواته لتنافس اصوات النساء .. شعرت براسي يكاد ينفجر .. حاولت ان اصيح لتسكت النساء .. ولم استطع فتح فمي .. حاولت ثانية .. لكن كل ما سمعت كان رغي النساء ...

الماء يصب فوق راسي

كنت تحت حنفية ... وفوقي وجوه تحملق في وجهي

ــ بدا يفيق .. لعله بخير

قال (هات) ــ كيف حالك ؟

قلت وانا اتكلف الضحك ــ بخير

قال صوت ــ اتشعر باي الم

هززت راسي

فجاة بدات الالام تمزق جسدي .. حاولت تحريك يدي .. فقشتني كثيرا

ــ اظن ان يدي قد كسرت

ووقفت .. وارغموني على المشي حتى بلغت داري

قال واحد منهم ــ (ياولد ... لقد سببت لامك هما وقلقا شديدا)

ونظرت الى دموع امي .. وكنت اشاركها البكاء .. اكتشفت انها يمكن أن تقلق على ويهتم بامري ...

تمنيت الى الهة الهندوس وان لي مائة ذراع .... كسرت جميعها ... لانعم بتلك الشفقة ...

وارى دموع امي

اقتبس القصة
جمال الكناني

● العالم لم يعد بحاجة الى اوربيين ، لقد اصبحنا على وشك الكارثة .. نحن في حاجة الى مصلحين ذوي افكار متواضعة لعلهم ينقذون شيئا من حطام الانهيار .

« المفكر الفرنسي روجيه جارودي »

● انجلترا جزيرة وسط بحر من الفضائح .. وونستون تشرشل ليس هو نهاية المطاف .. هناك فضائح اخرى لسياسيين كبار لم يحن الوقت للكشف عنها .

« ثريا خاشقجي »

رءوف توفيق

حوار مع فنان يواجه الحقيقة

- الفروق الأيديولوجية بين الدول العربية تتسع وتضيق في مساحات متفاوتة
- لابد من الاتفاق أساسا على الحد الأدنى من حرية التفكير الفني

هناك تقدير خاص في محيط السينما العربية للمخرج يوسف شاهين .. فما من فيلم يقدمه للشاشة العربية .. إلا ويثير جدلا واهتماما كبيرا .. لأنه واحد من المخرجين القلائل الذين يبرعون في تقديم وجهة النظر داخل إطار فني متميز .. وسواء اقتنعت أو لم تقتنع بوجهة النظر هذه ، إلا أنه لا يمكن تجاهل الجهد والإخلاص لثقافة السينما المتطورة .. ومحاولة الإضافة والتجويد من فيلم لفيلم !

وهذا الخط البياني المتصاعد لهذه النوعية الفنية .. يدعم موقفه دائما بين السينمائيين الشبان في الوطن العربي .. فما من مهرجان أو لقاء فني يجمع بين السينمائيين الشبان ويوسف شاهين .. إلا ويجد هذا الاهتمام والنقاش الحار والجلسات الممتدة في حب وتقدير .. وقد يحدث الاختلاف كثيرا ولكن هذا لا ينفي أبدا حالة الإعجاب !

وهذه الظاهرة نادرا ما تتكرر في العلاقة بين السينمائيين الشبان وجيل المخرجين الكبار في السن .. على الأقل .. ولا أقول الكبار في التجربة والعمل الفني .. لأن هناك إحساسا ربما يكون معلنا أو غير معلن بين غالبية السينمائيين الشبان ، بأن هؤلاء الكبار هم الذين أفسدوا السينما العربية ، وهم الذين عودوا المتفرج على نوعية معينة من الأفلام .. لمسخ من الصعب الخلاص منها وتقديم النوعية الجديدة التي يحلمون بتقديمها !

ولكنهم مع المخرج يوسف شاهين .. يختلف الوضع !

وعندما كان الحديث أخيرا مع يوسف شاهين .. وسألته عن النبض الجديد في السينما العربية متمثلا في هؤلاء السينمائيين الشبان الذين يحاولون تقديم

المخرج يوسف شاهين

أنفسهم من خلال أعمال فنية تتخطى الدائرة التقليدية في الأفلام العربية .. وجدت يوسف شاهين متحمسا وبسعادة أخذ يعدد لي بعض أسماء هؤلاء المخرجين الشبان من الجزائر إلى سوريا إلى العراق إلى تونس والمغرب .. إلى الكويت .. ثم توقف في قلق ليقول لي :

(إن الأسماء كثيرة .. والشبان أكثر .. وأخشى أن أنسى أحدا .. فأرجو ألا تذكر أسماء .. ولنتحدث عن هذا الميلاد ككل .. إنه شيء رائع حقا ..) !

وعندما انتقل بنا الحديث إلى الظروف الصعبة التي قد تحيط بمحاولات بعض السينمائيين الشبان في بعض الدول العربية ، وتمنعهم من العمل .. أو تدفعهم للتنازلات .. وتقديم أعمال مبتورة

ثار يوسف شاهين ، وأخذ يطرح كلمات عنيفة ضد هذه المؤسسات الثقافية والفنية ولوائحها ورقابتها .. وتوقف قليلا عن تسجيل كلماته .. فنظر إلي بدهشة وهو يقول بنفس الحدة (لماذا لا تكتب رأيي .. أنا لا أخاف من عقاب هذه المؤسسات .. وإذا لم أقل أنا هذا الرأي فلن أكون يوسف شاهين) !!

وازدادت انفعالاته .. خصوصا في الفترة الأخيرة وهو يعاني من ضائقة مالية حادة وأزمة نفسية ، نتيجة بعض الآراء التي قيلت عن فيلمه الأخير (إسكندرية .. ليه) ، والتي تسببت في منع توزيع وعرض هذا الفيلم في بعض الدول العربية !

وإذا كنا لا نناقش هذه الآراء .. ولا



فيلم الاختيار



يوسف شاهين ممثلا في فيلم « باب الحديد »

الصدق. إنطلقنا من فيلم (إسكندرية .. ليه ؟) ولكنني أتوقف بالتأمل عند ظاهرة هذا الفنان المتلاحم بالضرورة ، العاشق لعمله والذي تقويه الأزمات والضربات فيتحدى نفسه ويعكف على فكرة يعمل بها كل يوم حتى تنضج وتصبح قدرة مقنعة للآخرين ! أنه يقول عن نفسه : « أنا حر تماما في إختيار موضوع فيلمي .. وحر تماما في طريقة تنفيذه .. والتأليف حر أيضا في طريقة تنفيذه لما أريد أن أقوله .. حر في الرقص .. حر في القول .. كل ما أطلبه أن يعاملني الناس بقلب مفتوح .. وإلا يحاسبني الجهاز لم افعلها .. ولماذا لم أقلها !

● الحساب مع النفس

يوسف شاهين يقترب عمره الآن من عامه الرابع والخمسين (من مواليد عام ١٩٢٦) تخرج من كلية فيكتوريا بالإسكندرية عام ٤٦ .. وحقق حلمه بالسفر إلى أمريكا لدراسة الفن في معهد (باسادينا بولاية كاليفورنيا .. وتخرج من هناك عام ٤٨ (وحلم السفر إلى أمريكا ، يعبر عنه قصيدته .. الحلم الهوليودية .. الذي ولد بداخله نتيجة تردده على دور السينما التي تعرض غالبا .. بل دائما .. الأفلام الأمريكية ، وانبهر بها ، وبهذا الحلم الوردي الملون باستعراضات .. استر وليامز .. (وهو ما حكى عنه في فيلمه الأخير إسكندرية .. ليه) إنه الآن يسخر من هذا الحلم

الهوليودي .. ومن الانبهار به والتعبد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الحقيقة كما يجب وبلا خجل .. بدأت أرى أهلي كما هم .. ابنهم كما هو .. بدأت أشعر أنني لابد أن أفكر شيئا مختلفا وأن أعيد اكتشاف نفسي بعيدا عن الحلم الهوليودي .. بعيدا عن فترة القلق والتساؤل .. ومن هنا جاء فيلم (إسكندرية .. ليه) وقد شعرت بالسعادة الغامرة أثناء عملي في هذا الفيلم .. حتى أكاد أجزم بأنني لم أشعر بالسعادة في حياتي إلا أثناء تنفيذ هذا الفيلم .. فأنني أحكي عن مدينة أحببتها من خلال أهلي وأصدقائي وسنوات مراهقتي .. والحلم بإثبات الذات والطموح إلى العلم واستكمال الدراسة في ظل ظروف صعبة .. في هذا الفيلم أردت أن أؤكد على أن الدوخة وحدها لا تكفي .. وأن العلم هو الحقيقة .. وفي فيلمي القادم سأقابل نفسي لكل .. إنها مرحلة الحساب مع النفس)

● مهرجانات وأسابيع

ويصل يوسف شاهين إلى هذه المرحلة

الفنية بعد رحلة عمقها ٢١ فيلما طويلا . ثلاثة أفلام قصيرة .. بدأت الرحلة بشكلها العملي داخل الاستوديوهات عام ٤٩ ، أي أنه بدأ في الاخراج وعمره ثلاثة وعشرين عاما فقط .. وكان أول أفلامه (بابا أمين) .. ثم توالت الأفلام حتى كانت مفاجأته المذهلة التي لفتت الانظار إليه بقوة .. فيلم (باب الحديد) الذي شارك في بطولته وكان هذا في عام ١٩٥٨ .. وفي العام التالي قدم (جميلة الجزائرية) .. ثم كانت القفزة الأخرى عام ١٩٦٣ في فيلم (الناصر صلاح الدين) ويبدأ بعدها مرحلة البحث والقلق الاجتماعي التي ظهرت بوادرها مع فيلم (فجر يوم جديد) عام ٦٥ .. ثم تضطره ظروفه المادية لنقل نشاطه إلى لبنان ليستقر فيها لمدة أربعة أفلام يخرج خلالها فيلمين (بياع الخواتم) و (رمال من ذهب) .. ويعود إلى مصر عام ٦٩ ليخرج (الأرض) وتتلاحق كل التساؤلات الاجتماعية والسياسية في ثلاثية (الاختيار) (العصفور) (عودة الابن الضال) حتى كان فيلمه الأخير (إسكندرية .. ليه) والذي فاز بجائزة لجنة التحكيم الخاصة في مهرجان برلين السينمائي لعام ٧٩ .. وعرض الفيلم في أكثر من مهرجان بعد ذلك .. وأقيم أكثر من أسبوع لأفلام يوسف شاهين .. حتى بلغ عدد المهرجانات والأسابيع التي عرض بها إلى ٣٧ تقريبا آخرها أسبوع أفلام يوسف شاهين في الهند ، وأسبوع لأفلامه في السويد .

وفي شهر مارس الحالي تقيم بولندا



فيلم المصير

مهرجانه سينمائيا تحت عنوان (مواجهة ٧٩) تقدم فيه أهم الأفلام التي أنتجت في العام خلال سنة .. وقد اختارت إدارة المهرجان فيلم (إسكندرية .. ليه) ليشترك في هذا المهرجان.

وفي الأسابيع السينمائية التي تقام لعرض أهم أفلام يوسف شاهين .. دائما ما يوضع فيلم (باب الحديد) في المقدمة كأحد العلامات البارزة في فن هذا المخرج بل إن النقاد في الغرب اعتبروه أهم أفلامه!

● السينما العربية .. والسلطة!

ويوسف شاهين عندما يتحدث عن وضع السينما العربية وما تواجهها من مشاكل وصعوبات .. فهو لا يلتفت إلى الصراحة أو الوضوح .. إنه يرى الأزمة سببها الذين يشرفون على صناعة السينما .. ومخاوفهم الشديدة من الأفلام التي تحمل وجهة نظر!!

ويضيف: (لا يوجد السينمائي العربي ولا الناقد العربي .. ولا المتفرج العربي إنما يوجد السلطة العربية التي تحترم مواهب الفن وتستخدم الفنان كسلاح وتحقق أغراضها في عقلية كحاكمة .. فبعض مؤسسات السينما العربية تتشكل من أفراد لا علاقة لهم بالفن ولكن لمجرد أنهم موظفين ثقة!

ويلخص الحل بقوله: (أعطوا المسؤولية لأصحاب المهنة .. فهم أدرى بها .. ولكن حرية باقية .. لأنها في مستقبلهم وكيانهم

● اتحاد سينمائي عربي

وعندما أسأل يوسف شاهين عن حلمه الخاص الذي يقاتل بإخلاص من أجل رؤيته وحلمه .. بأن تجتمع السينمائيين العرب في اتحاد .. لا يهم أين يأتي مقره .. المهم أن يجتمعوا كتلة واحدة بكل إمكانياتهم الفنية المختلفة .. وهم بإمكانياتهم الشخصية والفنية هم رأس المال الفعلي .. ومن خلال هذا الاتحاد يستطيعون إنتاج سينمائي عربي عن طريق التمويل الاستهلاكي والتي تطرح في الأسواق العربية .. ويقومون أيضا بتوزيع الأفلام عربيا وعالميا .. بمعنى ترويج الفن العربي .. وظهور الفيلم العربي .. في المهرجانات والأسواق العالمية



فيلم اسكندرية .. ليه



فيلم عودة الابن الضال

والوطن العربي لا تنقصه الكفاءات أو المواهب الفنية !

ولا تنقصه الموارد المالية

ولا تنقصه قوة الإرادة .. إذا توافرت !

فما الذي يمنع من تحقيق هذا الحلم ؟

يوسف شاهين يبتسم .. ويضحك : (إنه سيكون عملا عظيما .. وأنا مستعد مثلا في هذه اللحظة أن أساهم فيه)

ثم يتردد قليلا .. وفي لهجة .. الحسابات العربية .. أو بمعنى أدق كل الحسابات .

يقول : (ولكن هناك بعض المخاوف أولا .. الفروق الأيديولوجية بين الدول العربية تتسع وتضيق في مساحات متفاوتة ولا بد من الاتفاق أساسا على الحد الأدنى من حرية التفكير الفني ..

(فليس .. الذي سيساهم في تمويل هذا الاتحاد .. إلى أي حد سيفرض سيف التمويل على حرية الإبداع الفني ؟)

ويتحفظ يوسف شاهين في فكرة هذا الاتحاد .. ثم يعود ليتساءل : (هناك اتفاق كامل على الاحتياج لمثل هذا الاتحاد .. ومن الممكن التوصل بعد اجتماعات أو ثلاثة إلى الحد الأدنى من الاتفاق على مضمون التفكير والتعبير الفني .. إن أي سينمائي جاد يرحب بأي اتحاد يحميه ويعطيه فرصة الانطلاق .. ولكن كل الخوف من القيود والمحرمات أثناء العمل) ..

ويؤكد يوسف شاهين بأنه لا يمكن فصل السياسة عن الفن .. (أنا لست مهرجا .. ولا بطولات .. ولا راقصات .. وكما أننا نحتاج للعساكر في المعركة .. فنحن نحتاج للقلم والكاميرا .. بنفس الأهمية) !

ويحدد يوسف شاهين موقفه .. وتأييده لقيام مثل هذا الاتحاد السينمائي العربي .. والشروط التي ذكرها .

والفكرة مطروحة للنقاش على صفحات (الدوحة)

● السينما البديلة

وننتقل بالحديث إلى السينما المصرية وهذه النغمة التي تتردد بين الحين والآخر تطالب بقيام (سينما بديلة) تتخلص من كل عيوب السينما المصرية .. وتواجه متغيرات العصر .. يرد يوسف شاهين بهدوء شديد : (أنا لا أسميها سينما بديلة .. ولكن سينما متكاملة .. بل إنني أطالب بأن تكون السينما العربية في بديلة لكل من السينما الأمريكية والسينما الصهيونية .. وأنني أتساءل بمرارة كيف تخاف إحدى الدول العربية من عرض فيلم عربي أنتجته دولة شقيقة .. ولا تخاف هذه الدولة أو أي دولة أخرى من استيراد الأفلام الأمريكية السامة المضرة .. إن جميع دور العرض في الوطن العربي تعرض أسبوعيا منتجات السينما الأمريكية والإيطالية .. أفلام مليئة بالسموم المستوردة .. وهذا من أغرب الأمور في الوطن العربي .. ولا بد من محاسبة ومحاكمة هذه الجهات أو الهيئات التي تقوم باستيراد مثل هذه الأفلام .

إنني عندما أسمع ما يقال عن السينما البديلة .. فإنما لا أتمنى قيام سينما بديلة عن السينما المصرية .. أو بديلة عن السينما الجزائرية .. بل أتمنى أن تعطى هذه السينمات المزيد من الفرص والتشجيع .. وأنني أرى أنه ليس هناك بديل عن الفيلم الجيد .. وأن الفيلم الجيد ليس له تسمية

● ●

إلى هذه النقطة ينتهي هذا اللقاء مع يوسف شاهين .. وأعتقد أن هناك أكثر من فرصة لفتح النقاش في بعض ما قيل وليتنا نتحاور حتى نصل إلى اتفاق يجمع شمل السينمائيين العرب .

هل هذا مستحيل ؟!

رءوف توفيق

المخرج المسرحي
جندي مجهول أم ديكتاتور غاشم ؟

[illegible]

المخرج المسرحي أحد ثلاثة أنواع :

أما النوع الاول فهو المخرج المثقف ، أو مخرج النص ، وهو الذي يختار المسرحية والممثلين ، ويدير عروض الاعداد (البروفات) ، وكل همه توصيل ما يريد أن يقوله المؤلف .

هذا النوع من المخرجين ، يضع نصب عينيه دائما النص المسرحي ، ويحترم أكثر مما يحترم مؤلف المسرحية ، يرجع اليه — ان كان من الاحياء القريبين — يسأله فيما غمض عليه ، ويطلب منه ايضاح فكرة ، ويرجوه الحضور لمتابعة عمله ، وابداء رأيه فيه .

فإن كان الاتصال بالمؤلف أمرا شاقا أو مستحيلا ، استعان المخرج بما كتبه النقاد والمفسرون عن المسرحية ، وبذل معظم جهده في تحليل النص وكشف أغواره .

ومخرج النص هذا يوزع الادوار — عادة — على ممثلين متمرسين ، متحمسين هم أيضا للنص المسرحي ، مدركين ماذا يريد أن يقوله المؤلف على ألسنة شخصيات المسرحية ، راضين بأن يكونوا جنودا مجهولين في عرض لا يراد منه الا توصيل فكرة المؤلف الى الجمهور كأحسن ما يكون التوصيل . وفي هذه الحالة يكون المخرج المسرحي أكثر زهدا من الممثلين في الشهرة والظهور ، ذلك لأن ثقافته ، ودراساته الادبية والفنية ، حصرت أهدافه في خدمة النتاج المسرحي ، وانعاش المسرح الجاد .

ويزدهر مثل هؤلاء المخرجين وتكثر عروضهم في الفترات التي ينتعش فيها المسرح الجاد ، ذلك بسبب توافر المسرحيات الجيدة الناضجة ، واقبال الجماهير على العروض الهادفة ، ورغبة المؤلفين في تصوير المشكلات العامة ، والصراعات الجوهرية .

مخرج الممثل

أما النوع الثاني من المخرجين ، فهو المخرج التجاري ، أو مخرج الممثل ، وهو الذي يجعل [illegible] رواد المسرح يقبلون عليه من أجل رؤية [illegible] المشهورين [illegible] [illegible] مواهب الممثل والممثلة كمية (العضوية) [illegible] كل ممثل ، ولا بأس في هذه الحالة من عرض نصوص ضعيفة ، ولا بأس من خروج الممثلين عن النص المقدم ، ما دام الهدف ينحصر فقط في ابهار المتفرجين بقدرات الممثلين .

هذا النوع من المخرجين يوزع الادوار — عادة على ممثلين محبوبين ، ذوي حضور شخصي ، وحبذا لو كانوا من نجوم السينما ، وفي هذه الحالة يكون من أهم أعمال المخرج اذلال المؤلف وتصغير شأنه ، وحبذا لو تمكن متعا باتا من حضور التجارب (البروفات) تجنبا للمشكلات ، بل ومن أهم أعمال هذا النوع من المخرجين أن يكونوا جماع أنفسهم ، فلا أبطال في هذه العروض الا الممثلين ، فإن ابتغوا الشهرة قاموا بأدوار رئيسية في المسرحيات التي يخرجونها .

ويزدهر مثل هؤلاء المخرجين وتكثر عروضهم في الفترات التي ينتعش فيها المسرح التجاري ، بسبب تهافت الجماهير على متابعة أعمال نجومهم المحبوبة .

والمخرجون من النوعين ، الاول والثاني ، جنود مجهولون ، لا يبغون من عملهم الا انجاح عروضهم المسرحية ، وان لم تلمع أسماؤهم مع هذا النجاح .

والاختلاف بين النوع الاول والثاني ينحصر في تعريف كلمة (النجاح) ، فالاول يبغي النجاح الادبي ، والثاني النجاح التجاري ، ويلمع في الحالة الاولى اسم المؤلف ، وفي الثانية أسماء الممثلين .

مخرج الإرادة

أما النوع الثالث من المخرجين فهو الدكتاتور الغاشم ، أو مخرج المخرج الذي لا يهتم الا بنفسه وبمكانته الشخصية ، ولا يحترم الا ذاته وفنونه في الاخراج من أجل أن يلمع وحده ، دون غيره من المؤلفين أو الممثلين .

ويظهر هذا النوع من المخرجين — عادة — في فترات انكماش المسرح — الجاد والتجاري على السواء — ويزدهرون مع ركود النتاج المسرحي ، ويعملون على استفحال الازمة وعلى استمرار الانهيار .

والمؤلف بالنسبة لهذا النوع الدكتاتوري صفر الشأن ، والممثل

- المخرج الذي يصنع النص المسرحي يصبح شريكا أحيانا للمؤلف
- لماذا استكانت عروضه فرقتنا التجارية للمسرح
- حين يستولي المخرجون على ادارة الفرق تزداد الأزمة تفاقما

اداة يستخدمها في خدمة خطته المسرحية ، وفي ابهار المتفرجين باستعراضاته في فنون الاخراج ، من حركة ومناظر وملابس ومؤثرات موسيقية وصوتية وغير ذلك ، يكتب اسمه في الاعلانات والنشرات المطبوعة بحجم يساوي أضعاف الحجم الذي يكتب به اسم المؤلف وأسماء الابطال من الممثلين .

ويحقق مخرج المخرج هذا ، في وظيفته الاساسية هي الادارة ، ليست فقط ادارة العرض المسرحي ، ولكن ادارة الفرقة المسرحية بأكملها ، فلا يتخرج الا اذا عين رسميا في هذا المنصب ، وهو أمر نراه مألوفا في أوقات الازمة والكساد ، حيث يتولى المخرجون من النوع الثالث ادارة الفرق المسرحية ، ومن هنا تزداد الازمة تفاقما ، ويستكمل الكساد حلقاته .

فعندما يتولى مخرج المخرج منصب مدير الفرقة ، فان أول شيء يقع فيه هو طريقة اختياره النصوص ، واختيار النص هو أول أعمال المدير ، وعلى أساسه يتحدد أكثر من تسعين في المائة من نجاح العمل أو فشله ، لأن تحقيق أهداف الفرقة المسرحية يتحدد منذ البداية بالطريقة التي يتم بها اختيار النص ، فان كان المدير يدير فرقة جادة ، اختار المسرحية الجيدة الهادفة ، وإن كان المدير صاحب فرقة تجارية اختار المسرحية التي تظهر مواهب ممثليه ، أما اذا كان المدير من النوع الثالث من المخرجين فلن يختار من النصوص الا ما يناسب مواهبه وتخصصه ، وهو في هذا شبيه بالمهندس شديد التخصص عندما يتولى ادارة شركة انتاجية ، فيحصر همته في الاعمال الهندسية دون [illegible] ادارة مؤسسة [illegible] الا والربح .

والمخرج من هذا النوع يحاول على أن يفرض نفسه بطلا للعرض المسرحي ، فأبطال العروض المسرحية يكونون اما مؤلفين أو ممثلين ، ويتعذر أن يقبل مشاهد المسرحية على العرض من أجل المخرج . صحيح أن مخرج الفيلم السينمائي يعد احد أبطال العرض – بسبب أهمية الحيل والمناظر وفنون الاخراج في الفن السينمائي – وصحيح أن مخرج المسرحية هو البطل الاول اثناء اجراء تجارب الاعداد ، وأن عمله يساهم في نجاح العرض أو فشله ، ولكن هذا لا يغير من حقيقة واضحة في مجال المسرح ، وهي أن المخرج المسرحي الناجح يجب أن يكون جنديا مجهولا ، يضع نفسه في خدمة المؤلف أو في خدمة الممثلين .

حالة واحدة فقط يكون فيها المخرجون من النوع الثالث أبطالا للمسرح ، ذلك عندما تنكمش الحياة المسرحية ويأتي زمن الكساد ، في هذه الحالة نرى معظم مديري الفرق المسرحية يعينون من المخرجين الدكتاتوريين ، الذين يطردون كبار المؤلفين والممثلين خارج الحياة المسرحية – وربما خارج البلاد كلها – ولا يتعاملون الا مع مؤلفين وممثلين من الدرجة الثالثة ، الذين يرضون بالنظم التحكمية التي يضعها هؤلاء المخرجون لتوزيع الدخول والاعمال ، دون رقابة أو منطق ، اللهم الا منطق (يا بخت من نفع واستنفع) .

وشيئا فشيئا يتحول هؤلاء المخرجون المديرون الى (خالقي أنفار) يتحكمون في أرزاق كل من يعمل في مجال المسرح ، ومن يتحكم في أرزاق رجال المسرح يتحكم في الحركة المسرحية كلها ، أو كما يقول الانجليز (من يدفع للعازف ، يطلب ما يروقه من ألحان) .

حافظ أحمد المرج

كان الطبيب يقوم بإجراء الكشف الطبي على أحد المتقدمين لأداء الخدمة العسكرية إبان الحرب الأخيرة ، وبعد أن أجرى له الاختبار الطبي بقوة الابصار تبين له أن المجند يكاد لا يبصر شيئا على الاطلاق ولكنه كان يشعر في قرارة نفسه بأن المجند قد قام بخداعه .
وصدق حدسه في اليوم التالي إذ التقى نفس المجند في دار للسينما في الليل فالتفت الطبيب باحثا عن الشرطة العسكرية وهنا لمح الرجل الطبيب فقام بهدوء ووضع يده على كتفه متسائلا : معذرة ، هل هذه هي الحافلة المتجهة الى ليفربول ؟

كان مغني الأوبرا الانجليزي يغني أمام جمهور إيطالي مرة وظل الجمهور يطالبه بترديد المقطع الأول فلما انتهى منه مرة أخرى ، رفع يديه طالبا السكوت :
– سيداتي سادتي أشكركم على هذا الاطراء المذهل ولكنني يجب أن أكمل بقية الأوبرا .
هنا اعترضه أحد المستمعين الطليان :
– انت لا تفهم جيدا فنحن لا نريد أن تتوقف عن اداء الاوبرا ... إنما نطلب منك التكرار حتى تستطيع أن تؤدي المقطع بصورة صحيحة .

المحـــولجـي

خوان خوسيه أريولا

ترجمة: محمد عبدالله الشفقي

وصـل الغريب الى المحطـة المهجـورة وقد تقطعت انفاسه ، لم يصادف من يعرض عليه مساعدته في حمل حقيبته . وكان متعبا للغاية . مسح وجهه بمنديله ، متطلعا الى القضبان التي تلاشت في الافق . نظر في ساعته يائسا مهموما . ان القطار يجب أن يغادر المحطة في هذه اللحظة على وجه التحديد .

وثمة من يربت على كتفه . ويستدير الغريب ليجد قبالته عاملا من عمال السكك الحديدية : رجل عجوز ضئيل ، يحمل مصباحا أحمر اللون . نظر الى الغريب مبتسما ، وسأله الغريب :

« هل رحل رجل القطار ؟ » .

« من الواضح انك لم تفد الى هذا البلد الا منذ فترة وجيزة » .

« يجب ان ارحل في التـو واللحظة . لابد ان اصل الى (ت) غدا على الاكثر » .

« انك تجهل تماما ما يجري عليك أولا أن تبحث عن مكان تأوي اليه في فندق المسافرين » واشـار الى مبنى رمادي غريب يبدو وكأنه سجن .

« لا ارغب في الاقامة . وانما اريد أن استقل القطار » .

« انما انت بحاجة الى استئجار غرفة فورا ، هذا اذا توافرت غرفة . اذا استأجرتها لشهر فسيكون ذلك أرخص ، وستكون الخدمة أفضل » .

« هل جننت ؟ لابد ان اصل الى (ت) غدا على الاكثر » .

« الواقع انه حري بي ان اتركك لحظك . ومع ذلك سأزودك ببعض المعلومات [illegible]

[illegible]

[illegible] هذا البلد [illegible] سكك [illegible] الى الآن لم [illegible] ترتيبها على نحو سليم . لكن تم تحقيق انجازات كبيرة في مجال نشر جداول المواعيد وبيع التذاكر . ان دليل الطرق الحديدية يضم كل مدن الامة ، ويربط بينها جميعا ، ويتم بيع تذاكر حتى الى أصغر القرى وابعدها . غير ان القطارات تفشل في ترجمة المعلومات الواردة في الدليل الى واقع ، ولا تمر في الواقع بتلك المحطات . ومواطنو الامة يتوقعون هذه المخالفات ، وان وطنيتهم لتمنعهم من التعبير عن أي ضرب من ضروب السخط » .

« لكن ، الا يمر قطـار بهـذه المدينة ؟ » .

« ان التأكيد بعدم مرور قطار أمر تعوزه الدقـة . ها انت ترى ان القضبان موجودة . وان كانت تعاني من عدم الاصلاح . وفي بعض المدن لا يدل على وجود قضبان الا خطان رماديان على الارض . وعلى ضوء الظروف الراهنة ليس هناك ما يلزم قطارا بالمرور في هذه الناحية . لكن بعضها قد يمر . وخلال سني عمري شهدت قطارات عديدة تمر من هنا ، واعرف مسافرين نجحوا في ركوب تلك القطارات . فاذا انت انتظرت ، والمفروض أن تنتظر ، فقد يكون لي شرف مساعدتك على الصعود الى عربة جميلة ومريحة من عربات القطار » .

« فهل سيوصلني هذا القطار الى (ت) ؟ » .

« ولماذا تصر على أن تكـون المحطة (ت) ولا شيء غيرهـا ؟ حري بك أن تسعد حين تنجح في ركوب قطار . ما ان تجد نفسـك داخل قطار حتى تتخذ حياتك وجهة أو اخرى . ماذا يهم ، اذا لم تكن الوجهة (ت) ؟ » .

« الواقع انني احمل تذكرة وجهتها (ت) ومن المنطقي ان اؤخذ الى تلك المكان ، الا توافقني على ذلك ؟ » .

« ليس هناك من ينكر أنك على صواب . سيتاح لك ، في فنـدق المسافرين ، أن تتحدث الى اشخاص احتاطوا للامر فاشتروا عددا هائلا من التذاكر . وبصفـة عامة فان أصحاب النظر البعيد يشترون تذاكر لكل مكان في البلاد . ولقد انفق البعض ثروات هائلة على شراء مثل هذه التذاكر » .

« ظننت اني بحاجـة الى تذكرة واحدة فقط كي أصل الى (ت) » .

« الامتداد القادم للسكك الحديدية الوطنية سيتحقق من اموال شخص واحد انفق ثروة رأس مال ضخم على تذاكر ذهاب واياب تغطي رقعة تمتـد الى عـديد من الانفاق والجسور ، رقعة لم يصدق مهندسو الشركة بعد على رسومها » .

« لكن ، الم يتم بعد تسيير القطار الذي يمر بـ (ت) ؟ » .

« لا يقتصر الامر على هذا القطار وحده . الواقع أن الامة تضم عددا هائـلا من القطارات ، ويتمكـون

المسافرين أن يستخدموا هذه القطارات كثيرا نسبيا ، على أن يؤخذ في الاعتبار أن الخدمة ليست منتظمة وقاطعة . وبعبارة أخرى لا أحد يتوقع ، وهو يستقل قطارا ، أن ينقل الى المكان الذي يرغب » .

« كيف يحدث هذا ؟ » .

« ان الشركة ، التواقة الى خدمة الجمهور ، تجد نفسها مضطرة الى اتخاذ اجراءات يائسة . لديها قطارات للسير في اراض لا يمكن اجتيازها . بعض هذه القطارات يسير أحيانا لسنوات ، وهنا يتعرض وجود المسافرين لتحولات هامة . بات من المعتاد حدوث وفيات ، ومن اجل هذا تلحق الشركة بتلك القطارات عربة تضم كنيسة صغيرة لمراسم الجناز ، وعربة أخرى تضم المدافن . سيحين اليوم الذي سيودع فيه الجثة على رصيف المحطة الواردة في تذكرة الميت ومن حين لآخر تسير القطارات في مناطق اختفى منها أحد القضبان وهكذا يهتز جانب كامل من العربة اهتزازا مؤلما ، فالعجلات ترتطم بالعوارض الخشبية للطريق الحديدي غير أن ركاب الدرجة الأولى - انصياعا منهم لأوامر الشركة - يجلسون عند الجانب الذي يوجد ناحية القضيب الوحيد . أما ركاب الدرجة الثانية فيحتملون الضربات بتسليم . لكن هناك مناطق يختفي منها القضيبان ، هنا يتساوى كل الركاب في المعاناة ، الى أن تجيء اللحظة التي يتحطم فيها القطار تماما » .

« سبحان الله ! » .

« ظهرت قرية (ف) نتيجة لحادث من هذا القبيل . وصل القطار الى ارض يستحيل اجتيازها . أخذت الرمال تسحق العجلات الى أن تآكلت حتى محاورها . لبث الركاب مجتمعين زمنا طويلا ، الى أن أثمرت أحاديثهم التافهة صداقات حميمة . واسفرت بعض هذه الصداقات عن زيجات . وانتهى الأمر الى ظهور قرية كاملة . هي القرية (ف) .

العامرة بالأطفال الذين ينبضون بالحيوية ، ويلعبون بما تبقى من قطع القطار الصدئة » .

« إلهي . لا قبل لي بمثل هذه المغامرات » .

« عليك أن تشرع في استجماع أطراف شجاعتك . من يدري ، ربما [illegible] بفضل [illegible]

المهندس [illegible] لمساعدة الركاب [illegible] على [illegible] بالثبات . [illegible] ماثلا . لقد حدث خلال إحدى الرحلات أن لاحظ المهندس ، في الوقت المناسب ، أن ثمة جسرا مفقودا في الطريق . جميل . . بدلا من أن يعود أدراجه تحدث الى الركاب ، وحقق على أيديهم الجهد اللازم للتحرك قدما . ففي ظل إشراقه الذي لا يفتر تم فك القطار قطعة قطعة ، وعلى أكتافهم حمل الركاب هذه القطع واجتازوا بها الوهد الذي يتدفق في قاعه نهر ثائر . كانت نتيجة هذا الانجاز جد مرضية لدرجة أن الشركة صرفت النظر نهائيا عن اقامة جسر ، بعد أن وافقت على اجراء تخفيض مغر على تذاكر الركاب المستعدين لمواجهة هذه المتاعب الاضافية » .

« لكن ، يجب أن أصل الى (ت) غدا على الأكثر ! » .

« من الواضح أنك لا تريد التخلي عن مشروعك . أنت رجل يؤمن بشيء . فالى أن يتحقق مطلبك فان أفضل ما يمكن أن تفعله هو أن تقيم بالفندق وتستقل أول قطار يمر من هنا . لا أقل من أن تحاول هذا رغم أن ألف شخص سيحاولون الحيلولة دون ذلك . عندما يصل قطار فان المسافرين الذين طفح بهم الكيل لطول الانتظار ، يتدافعون خارج الفندق ويغزون محطة القطار . كثيرا ما يتسببون في حوادث مرجعها افتقارهم الى الذوق والحكمة . وبدلا من أن يستقلوا القطار بطريقة منظمة يسحق الواحد منهم الآخر تحت الأقدام ، وأهون ما يحدث هو أن كل واحد يحرم الآخر من الصعود الى العربة ، وهكذا يتحرك القطار مغادرا المحطة تاركا الركاب يتقاتلون فوق الرصيف » .

« ألا يتدخل البوليس ؟ » .

« حاولت الشركة تنظيم قوة بوليسية في كل محطة ، غير أن هذه الخدمة باتت عديمة الجدوى ، وجد مكلفة ، بسبب استحالة التنبؤ بموعد وصول القطارات يضاف الى هذا أن البوليس بين منذ البداية انه مرتش . فلقد خصص كل وقته لمساعدة الركاب الأثرياء فقط .

وازاء هذا تقرر انشاء مدرسة خاصة يتعلم فيها الركاب السلوك الحميد ، وكيف يقضون ما تبقى من عمرهم في القطارات . يضاف الى هذا انهم يتعلمون الطريقة الصحيحة

للصعود الى قطار متحرك ، كما يزودون بدروع تحميهم من غيرهم من المسافرين » .

« لكن ، هل تنشب متاعب جديدة بعد الصعود الى قطار ؟ »

« نعم ، يحصل التاعب ، عليك ان تكون متيقظا حتى تتعرف على المحطة التي تريدها ، قد يتراءى لك انك وصلت الى المحطة (ت) ، ثم يتضح أن ذلك محض أوهام ، هناك محطات ظاهرية فقط ، انها مقامة في قلب الاحراش ، وانها لتحمل اسم مدينة هامة ، غير أن أدنى قدر من الانتباه سيكشف عن الخدعة ، انها شبيهة بديكور المسرح ، والناس هناك عرائس حقيقية محشوة بنشارة الخشب ، ومظهرها يكشف عن الدمار الذي يحدثه التعرض للظروف الخارجية ، وهي أحيانا صورة متقنة للواقع ، ان وجوهها تحمل آثار الارهاق الذي لا نهاية له » .

« من حسن الحظ ان المحطة (ت) لا تبعد عن هنا كثيرا » .

« لكن ، ليس بيننا وبينها خط مباشر في الوقت الحالي .

وقد تصل الى (ت) غدا على الاكثر ، وتلك هي رغبتك ، رغم أن تنظيم السكك الحديدية غير كفء ، الا أنه لا يستبعد رحلة بدون توقف . هناك أشخاص لم يدركوا ما يجري حولهم ، انهم يشترون تذكرة للذهاب الى (ت) ، ويصل قطار ، ويستقلونه ، وفي اليوم التالي يعلن السائق ، نحن الآن في المحطة (ت) ، وبدون أية احتياطات يغادر الركاب القطار فاذا بهم يجدون أنفسهم حقا في (ت) » .

« ما الذي أستطيع صنعه كي أصل الى نفس النتيجة ؟ » .

« هناك بالطبع ما يمكن صنعه ، لكن ، هل سيفيدك هذا ؟ ذلك ما لا تستطيع الجزم به ، ومع ذلك حاول ، اركب القطار وقد سيطرت عليك فكرة الوصول الى (ت) » .

لا تتكلم مع أي مسافر ، فقد



يتذكرونك بسكناتهم ، بل قد يتجسسون عليك » .

« ماذا تقول ؟ » .

« القطارات مليئة بالجواسيس ، هؤلاء الجواسيس ، ومعظمهم من المتطوعين ، يبثون الروح البناءة للشركة ، يحدث أحيانا ان تتكلم لمجرد الكلام ، لكنهم سرعان ما يأخذون في اعتبارهم شتى



المعاني التي قد تحملها عبارة ما ، انهم يعرفون كيف يستخلصون رأيا مدانا من ملاحظة بريئة ، اذا ارتكبت أقل تهور فسيقبض عليك دون امهال ، وستنفق ما تبقى من حياتك في عربة السجن ، أو قد يحطونك تغادر القطار عند محطة وهمية ضائعة في الاحراش ، الافضل لك أن تسافر مفعما بالايمان ، متناولا أدنى كمية من الطعام ، ولا تغادر القطار الا حين تلمح في (ت) وجها تعرفه » .

« لكني لا أعرف مخلوقا في (ت) » .

« في هذه الحالة يجب مضاعفة الحذر ، اؤكد لك انك ستصادف في الطريق مغريات كثيرة ، اذا أطللت من النافذة فقد تقع في شرك سراب ، ان النوافذ مزودة بأجهزة ذكية توهمك بشتى التصورات ، ثمة أجهزة تدار من القاطرة فتبعث التصور ـ من خلال الضجة والحركة ـ ان القطار يسير حقا ، ورغم ان القطار يربض في مكانه بالمحطة لاسابيع يعتقد المسافرون انهم يشهدون مناظر طبيعية خلابة تمرق أمامهم من وراء نوافذهم » .

« ما هي الفكرة من وراء هذا ؟ » .

« ثمة هدف سليم من وراء هذا ، ان الشركة تريد التخفيف من قلق المسافرين ، والقضاء بقدر الامكان على الاحساس بالحركة ، ان الامل معقود على أن يستسلم المسافرون يوما للصدفة تماما ـ فلا يعودون يهتمون الى اين هم ذاهبون أو من أين هم قادمون » .

« وانت هل سافرت كثيرا بهذه القطارات ؟ » .

« انا يا سيدي ، مجرد محولجي متقاعد ، يظهر من حين لآخر ليستعيد الايام الخوالي ، لم أسافر أبدا ، وليست لدي رغبة في السفر ، غير أن المسافرين يسرون الي بتجاربهم ، واعلم ان القطارات أنشأت من حين عديدة غير القرية (ف) ، التي

حدثتك بأمر نشأتها . يحدث احيانا ان يتلقى قائدو القطارات أوامر فاحشة . عندئذ يدعون المسافرين الى مغادرة العربات كي يستمتعوا بمنظر طبيعي ما ـ انهم يحدثونهم عن وجود كهف ، مساقط مياه ، آثار بارسية شهيرة ، ويقول السائق في عذوبة ، وامامكم خمس عشرة دقيقة للاستمتاع برؤية هذا الكهف وذاك ، وما ان يبعد المسافرون عن القطار حتى يهرب القطار بأقصى سرعة » .

« فما هو مصير الركاب ؟ » .

« في البداية يهيمون على وجوههم من مكان الى آخر ، وقد استبد بهم اليأس ، لكن الامر ينتهي بهم الى التجمع ، وانشاء مستعمرة . هذه الوقفات غير المتوقعة تتم في مناطق مناسبة ، انها بعيدة عن المدينة ، غير ان بها موارد طبيعية كافية ، ان القطار يخلف وراءه مجموعات منتقاة من الشباب ، مع كثير من النساء . الا تحب أن تقضي ما تبقى من عمرك في ركن مجهول خلاب ، بصحبة فتاة شابة ؟ » .

غمز العجوز الضئيل بعينيه ، وللحظة حملق بطريقة شريرة في المسافر ، وفي نفس الوقت يبتسم مفعما بالعطف . في هذه اللحظة تناهى من بعيد صوت صفارة . وبضيق شديد قفز العجوز الضئيل ويده يعطي بمصباحه اشارات هوجاء ، مضحكة .

تساءل الغريب ، أهو القطار ؟ » .

شرع العجوز الضئيل يهرول فوق الخط الحديدي ، وعندما صار على مسافة من الغريب استدار وصاح :

« أنت محظوظ . . غدا ستصل الى محطتك الشهيرة . ماذا كان اسمها ؟ » .

اجاب المسافر « (اكس !) » .

واختفى العجوز الضئيل وسط الصباح الرائق . لكن النقطة الحمراء المتعلقة من مصباحه ظلت تهرول وتقفز ـ بشكل خطر ـ بين القضبان ، في طريقه الى استقبال القطار .

وكان القطار يقترب محدثا جلبة .

انت اولا

شعر : محمد الظاهر

استهلال :
« والتين والزيتون
والشمس والقمر
ما على موطني عبادة للآخرين
ولا دمي حجر » .

●●

كانت الارض تبكي وتوقف دورتها
والمواسم تحرق غلتها
والقوافل ترمي بضاعتها
ورجال القبائل فوق الخيول العتاق
يعودون من ساحة السلم للسلم
والنفس تبلغ حد التراقي

●●

فلسطين
عودت قلبي ان ناح يرتاح ، لكنه لن ينوح
وعودت جسمي رقص الجراح ولكنني اعشق الآن
كل الجروح
الماء والسم سيان ،
اني اجرع دم الآخرين ولكنه لا يفيق
والبنادق تنمو في كل عام ، ولكن بحر الاماني يضيق
فاكتبي من دمي اسمك الغجري
بحبري احرف الفاء ، والـلام ، والسين ، والطاء
والطاء ، والنون
حتما تحاصرني في المساء
وتحرسني في الصباح البهي

●●

دعيني لوحد اجزاء جسمي بهذا الدم العابر الآن
الطلي

دعيني اجدد عشقي
فمن غيرك الآن يعطي لحنجرتي صوتها
واوردتي دمها
وخارطتي حجمها
ويعيد التوازن للارض كي تستفيق لتكمل دورتها

●●

فلسطين
إن الفصول عجاف
فلتكن للفصول إذن دورة في دمي
ولتكوني إذن سنبلة
ودمي وردة في الضفاف

- ●● -

هامش :
فلسطين عادة
فلسطين زنبقة واطفال
فلسطين معجزة تتحدى القبائل
سور التبيين : تبعتهم من قبور الاطفال
إلى توقف نافض مشاهدة

كلمات لها معنى

ـ للجمال مصدران .. المرأة والطبيعة .

(سقراط)

ـ البيوت بدون النساء العدد لحات قبور .

(بلزاك)

ـ الذي يولد ليزحف .. لا يستطيع ان يطير .

(تشيكوف)

ـ لم يخلق الانسان في الحياة ليفهمها وانما خلق ليحياها .

(سانتايانا)

ـ ان الزمن هو اقوى النقاد جميعا ، فهو الذي يدحض الباطل ، ويعلي الحق .

(طاغور)

ـ انس نفسك اذا اردت ان تقدم عملا يذكره لك الناس بعد رحيلك .

(فولتير)

ـ اذا اردت ان تعرف اخلاق رجل من الرجال ، فضع في يده سلطة .. ثم انظر كيف يتصرف .

(مونتسكيو)

ـ ان العالم بلا زهور كوجبه بغير إدام او كوليمة لا يرحب فيها اصحابها بالمدعوين .

(شاتوبريان)

ـ ذوو النفوس الدنيئة يجدون اللذة في التفتيش عن اخطاء العظماء .

(شوبنهور)

ـ اذا اطعمت كلبا جائعا ، فثق انه لن يعضك ابدا .. وهذا هو الفارق بين الكلب والانسان .

(مارك توين)

احمد عبد الله عبد القوي
كلية التجارة ـ جامعة الاسكندرية

جراحة بدون ألم

● ان الطبيعة جهزت بعض السحالي باسلوب من اغرب الاساليب واعجبها للدفاع عن النفس . فحين يمسك العدو سحلية منها ، تحرك السحلية بعض عضلات وعصائب خاصة ، فتجري عملية جراحية [illegible] ذلك ان تحريك هذه العضلات والعصائب ، يفصل ذيل السحلية عن بقية جسمها ، ويظل الذيل ملتويا متحركا على الارض كحية صغيرة ، [illegible] بحركته ويولي الرامي نظره عن السحلية وتنجو من الخطر . وبعد قليل ينمو لها ذيل طويل جديد ..

علي نجف ابراهيم
البصرة ـ العراق



لم يتمكن مدير الشركة من تلبية الدعوة المقدمة إليه لحضور الحفل الموسيقي الذي كانت تحييه كبرى فرق العزف بالمدينة والذي كان مخصصا لتقديم السيمفونية الناقصة لشوبير فأعطى التذكرة للمستشار المالي للشركة.

وفي صبيحة اليوم التالي سأل المدير المستشار عما إذا كان الحفل ممتعا وبدلا من أن يجيبه الأخير شفهيا، قدم إليه المذكرة الكتابية التالية:

ا ـ لفترات طويلة من الحفل كان عازفو آلات النفخ الأربعة يجلسون ضمن أعضاء الفرقة دون أن يؤدوا عملا يذكر لذا أقترح إنقاص عددهم أو توزيع أعمالهم على بقية الأعضاء.

ب ـ كانت الكمنجات وعددها اثنتا عشرة تؤدي نفس النغمات وفي هذا إسراف لا مبرر له فإذا كان الغرض من وجود هذا العدد هو إحداث صوت مرتفع فيمكن الاستعاضة عن أكثر من نصف الكمنجات بأستعمال مكبر صوت كهربائي.

ج ـ حسب علمي فإن بعض النغمات كانت ما يعرف بالنصف أو أرباع التون، ولا أرى داعيا للاستعانة بعازفين محترفين لأداء مثل هذه النغمات.

د ـ فاقت الآلات النفخ ترديد نفس الأنغام الصادرة من الآلات الوترية فلو تم الاستغناء عن مثل هذا الحشو لاختصر زمن الحفل من أربع ساعات إلى ساعة ونصف فقط.

هـ ـ لم يكن هناك داعيا لإكمال سيمفونية ناقصة [illegible] عدد كبير من السيمفونيات الكاملة.

[illegible]

منصور حسين طه
السودان



الكلمات المتقاطعة

أسماء الفائزين في مسابقة العدد ٤٩

١ ـ [illegible] عبد الرحيم ـ الأردن
٢ ـ سعيد عبد الصمد ـ ظفار
٣ ـ حمودة الأحمدي ـ ليبيا

حل مسابقة شهر [illegible] ١٩٨٠

٦	٥	٤	٣	٢	١	
م	■	ن	ا	ع	د	١
س	ا	■	ر	و	ي	٢
ج	ل	■	ض	م	و	٣
د	هـ	س	■	ي	ز	٤
■	ل	■	ا	ن	ا	٥
ن	ا	■	س	ي	ك	٦
هـ	ل	ل	ا	■	ش	٧
ر	ى	■	س	ب	■	٨

البخلاء في نعيم

هاجر أحد أفراد عائلة اشتهرت بالبخل، ومكث في المهجر عشر سنوات، وعندما أراد الرجوع عند أسرته ثلاثة، ونية أحد يبحث عنهم، وأخيرا .. اقترب منه ثلاثة أشخاص متشحين وبادره أحدهم قائلا: ما بك يا أخي، ألم تعرفنا؟ تفرس الرجل فيهم وقال: ولكن لماذا الخلتم لعائلي هكذا؟

فأجابه أحدهم بغضب: وماذا فعل وقد اقتحد معك الا الحلاقة؟

عز الدين الشيخ
ولاية سكيكدة ـ الجزائر



من الذي حطمها ؟ !

جاءت التلميذة الصغيرة باكية وارتمت في حضن جدتها التي استوضحتها سبب البكاء .. فقالت التلميذة من خلال دموعها معلمة التاريخ وبختني .. قالت الجدة: ولماذا؟

أجابت الصغيرة .. سألتني من هو الذي حطم الناد السويس .. فلم استطع الإجابة ..

نظرت الجدة إلى حفيدتها في شك وريبة: إياك أن تكوني أنت التي حطرتها أيتها الشيطانة!

مريم محمد أحمد
السودان ـ كسلا

جو مسابقة من . أين . ما شهر يناير ١٩٨٠

من :
عيسى بن مريم
أين :
الاقصى
ما :
خمر
١ ـ الهيدروجين ـ الكبريت ـ الفارسين ـ التصدير ـ الزئبق ـ الثوريوم
٢ ـ ٧١١م
٣ ـ الشنفري
٤ ـ الام
٥ ـ العبارة ليست صحيحة علميا
٦ ـ داود
٧ ـ نازعتني اليه في الخلد نفسي ـ احمد شوقي
٨ ـ من بغداد الى صنعاء
٩ ـ الفطريات
١٠ ـ البقرة

من . أين . ما

من :
● شخصية اسطورية او حقيقية في الادب العربي ، تثبت ان المسلمين كانوا ابطالا ومعلمين في مجال اكتشاف مجاهل الدنيا ونشر المعرفة والحضارة بين الشعوب . اسمه مركب من كلمتين في اربعة عشر حرفا :
١ـ١٠ـ٧ـ١٢ـ٩ـ٥ـ١٤ يعمش المنقوس الظهر
٩ـ٢ـ٣ـ١٣ـ٤ تقاد به الدابة
٥ـ٨ـ١١ عضو في دولة الامارات العربية المتحدة

أين :
● [illegible] الوراق [illegible] الرحلة [illegible] احرف :
[illegible] اطول الانهار
[illegible] الظهر

ما :
● طيب الشعر في الشعر العربي كان مما تتهادى به الملوك . اسمه من خمسة احرف :
٥ـ٢ـ٤ الاخذ طريقا
٣ـ١ـ٤ حجر كريم

الجواب الصحيح

١ ـ اذاب جابر بن حيان الذهب في حامض الكبريتيك :
هل هذه العبارة صحيحة علميا وما الصحيح ؟

٢ ـ يصنع الورق من لب الخشب الذي قوامه مادة :
النشا ـ السليولوز ـ الجلوكوز

٣ ـ نفى الاحتلال البريطاني الزعيم المصري سعد باشا زغلول في جزيرة :
سرنديب ـ سيشل ـ سانت هيلانة

٤ ـ نقل رباعيات الخيام من الفارسية الى العربية الشاعر :
معروف الرصافي ـ احمد رامي ـ ابو القاسم الشابي

٥ ـ البرلمان المعرف باسم « برن » طاقته من عيار :
٩ مم ـ ٣٠٣ ـ ٧ر٦

٦ ـ صاحب العبارة التاريخية الشهيرة « ويل للمغلوب » هو :
خالد بن الوليد ـ هنيبال القرطاجي ـ فون مولتكة

٧ ـ ابو السيدة العذراء مريم ام السيد المسيح عليه السلام كان اسمه :
سليمان ـ عمران ـ زكريا .

٨ ـ اسم العملة « الريال » اصلها :
عربي ـ اسباني ـ صيني ـ فارسي

٩ ـ السمكة ذات الحبر تتبع فصيلة :
الرخويات ـ الغضروفيات ـ القشريات

١٠ ـ صدر وعد بلفور البريطاني في نوفمبر ١٩١٧ وصدر قرار الامم المتحدة بتقسيم فلسطين في نوفمبر سنة :
١٩٢٧ ـ ١٩٣٧ ـ ١٩٤٧ ـ ١٩٥٧

نتيجة مسابقة شهر يناير ١٩٨٠

● فاز بالجائزة الاولى ومقدارها ٣٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة ستة اشهر القارىء درمونري طارق ـ الجزائر

● فاز بالجائزة الثانية ومقدارها ٢٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة ستة اشهر القارىء : تاج الدين ابو الحسن ـ السودان

● فاز بالجائزة الثالثة ومقدارها ١٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة ستة اشهر القارئة : فوزية محمد عياد ـ جمهورية مصر العربية

الفائزون باشتراك مجاني لمدة ستة اشهر :
الزمان عبد الغني ـ الاردن
صديق علي عبد الله ـ السودان
السيد رحماني احمد ـ الجزائر
مريم عبد الله غلوم حسين ـ قطر
جمال حميد عمر ـ سلطنة عمان
مسعد عبد العاطة عبد العال ـ ج٠م٠ع
احمد مزيد ـ موريتانيا
مبارك مساعد حسين ـ السعودية
قاسم ذيب ـ سوريا
سلطان محمد حربان ـ البحرين
ابراهيم محمد سلمان ـ الاردن
محمد سامي سالم ـ ج٠م٠ع







من هو

فتاة تقرأ كتابا .. اسم لوحة للفنان فرنسي عاش في القرن التاسع عشر، وهو من اتباع المدرسة التأثيرية في التصوير .. ترى من هو ؟

صورة تاريخية



روائي فرنسي شهير .. هذه الصورة التقطت له في عام ١٨٥٥ .. وبعدها بعد شهور بعد بوازي ... بولاي .. له ابن يحمل نفس الاسم وهو روائي شهير أيضا .. هل يمكنك التعرف عليه ؟

حل مسابقة حاول أن تتعرف عدد ؟؟

مسجد أحمد بن طولون بالقاهرة - ٣٠٢٠٤

- اسماء الفائزين عن الصورة الاولى :
  - ● محمد رضا - ع٣٠٢
  - ● حسب الرزاق درويش - الجزائر
- اسماء الفائزين عن الصورة الثانية :

لا خير الشعر في عزة ولا أنس
ولو ندا ابدا بالقلب الاخرس

سيف الدين جميل - سوريا

- انتهت شريعة السباب عند الحيوانات .. فهل انتهى بين الادميين ؟

رائق السيد - مصر الجديدة

كاريكاتير وتعليق

ضع التعليق المناسب لهذه الكاريكاتير واربح ١٠٠ ريال

أسماء الفائزين في مسابقة كاريكاتير عدد ؟؟

● الزوج - اما زلت راغبا بخطبة ابنتي ؟
نزيه الشيحان - سوريا

● الزوج - الم اقل لك بالا اشرب سجائر امامها ؟
الين الجاليس ابراهيم - القاهرة

● الزوج للضيف - هذه هي الطريقة التي تستعملها زوجتي في اطفاء السجائر وكذلك المنع من التدخين !؟
ابراهيم بسيوني - الاسكندرية

الزوج : هذه عادتها في انهاء التاكسات من ابنا !!
عماد الدين اسماعيل - العراق



الورقة الأخيرة

نحو وجه مشرق

الإمتداد العربي لمؤتمر وزراء اعلام دول الخليج العربية الذي انعقد في الدوحة تكرس عبر دعوة نخبة من الاعلاميين والسفراء العرب في مختلف انحاء العالم خصوصا مناطق التاثر بالحملة التي تشن ليس على دول الخليج فحسب بل على العرب اجمعين .. والاكثر من ذلك على جوهر الإسلام ..

وادراك دول الخليج لأبعاد الحملة الغربية التي تستهدف تشويه صورة العربي واستحضار روح الصليبية في مواجهة البعث الإسلامي القادم مع مقدم القرن الخامس عشر الهجري . هذا الادراك حمل التأثيرات تأخذ الإطار العربي سواء من حيث الغيرات التي استقدمت او من خلال الحملة المضادة التي تعرض وقد كلفت بها دولة قطر ..

اننا يجب ان نعترف كعرب ومسلمين ان نظرة الغرب الينا لم تولد من فراغ ، فعلاوة عن النظرة الصليبية المتاصلة في ضمير الغرب ، والطمع بثروات المنطقة والحنين الى عهود الاستعمار فان اخطاءنا قد عززت من حملة الغرب علينا ، وحرضت الدهماء من خلال جملة ممارسات رعناء في الخارج لا توحي بشيء بقدر ما تشير الى جهلنا في استقطاب الاصدقاء او تحييدهم .

وليس من مفر في القول ان الصهيونية العالمية ـ وقولنا هنا ليس جزافا ـ قد وجدت في كل هذه الاجواء فرصتها السانحة لتختلق المزيد من الصور ، ولتضاعف الحملة ، ولتؤلب العالم كله ضدنا ليصب هذا كله في قناة انكار الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني العربي .

لقد اخذت اخطاؤنا علاوة على ذلك كله اكثر من وجه ومن الشجاعة ان نواجه انفسنا بنقد ذاتي يقودنا الى الرؤيا الواضحة ونحن نريد ان نستفيق من هواجسنا وهي شتى ..

اولا : يجب علينا ان نقر بعجزنا الذاتي عن خلق اعلام واع في صفوفنا يتولى عرض الحقيقة .. وخلق المجتمع الواحد التي يلتقي في مناحي كثيرة ولا تنقصه الا الارادة الموحدة .

وهذا يجرنا الى الحديث عن الدور الاعلامي للفرد الا ان الاعتماد الكلي على الاعلام الرسمي سيظل ناقصا مبتورا ، ويقينا ان هذا الدور للفرد العربي يمكن ان يكون ذا تاثير لو حرص كل منا على ان يكون اعلاميا واعيا .. سفيرا مشرقا لوطنه العربي الكبير أينما كان .

ثانيا : ان صورة الاعلام العربي الراهنة صورة باهتة لا تعكس الا الشرخات السائدة بين الدول العربية في خضم المشاحنات والخلافات واضطراب الواقع السياسي الذي اريد له ان يبقى كذلك لتكريس استحالة بناء الوطن العربي الواحد .. وقيام الامة العربية الواحدة لب وطليعة امة الاسلام .

ثالثا : على الرغم من الوسائل المختلفة التي استخدمت لتحسين صورة العرب في الخارج ولمواجهة الصهيونية فهي تنقصها الثقة بامكانياتها ، او انعدام الخبرة والاعداد في القائمين عليها ، او لخضوعها لزمرة من الطفيليين المستفيدين .

رابعا : لا زالت الرسمية العربية في كثير من مواقفها ترى ان عملية تنظيم الاعلام العربي في الخارج من قبيل الترف وهو ما يساهم في اخفاق كثير من الجهود لدفع العملية نحو الأمام ..

وبعد ...

فانا لا اقول انه ليس هناك من ايجابيات ، بل لانني اردت ان نعرف انفسنا قبل ان نعرف الآخرين ، فقد سجلت هذه النقاط وقد عايشت اجواء مؤتمر الدوحة والتقيت بنخبة الاعلاميين العرب المشاركين مما عكس كثيرا من الاوجه السلبية التي يجب ان نواجه بها ..

ان البدائل التي تفقر لنا هذه الاخطاء متيسرة وليس اقلها بناء الذات وخلق واقع سياسي واجتماعي سليم والحد من كل ما يسيء الينا من ذاتنا ، لان هذا بالتاكيد سيجدد فينا روح الحضارة العربية التي تنتشي بامجادها القديمة ونعيش بالقرب على اثارها التي في عصرنا هذا ..

فهلا عدنا الى الجذور .. مع مزيد من التطلع لمنجز حضارات العصر وتفاعلها مع ما يفيد الانسانية .. لتؤكد التوفيق بين الاصالة والحداثة ..

انها البداية لنقدم وجها مشرقا للعالم ..

صالح زيتون